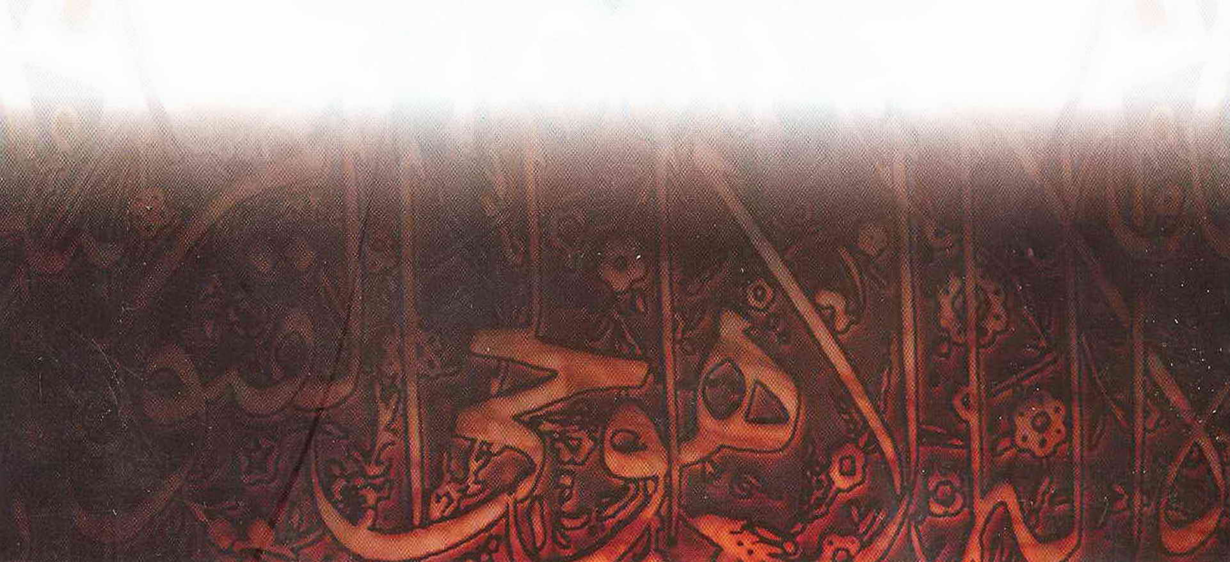
سلسلة مؤلفات للامام المرجع

السيد محمد الشيرازي حفظه الله






الفضيلة الإسلامية

الطبعة الثالثة

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الفضيلة الإسلامية

الإمام المرجع
السيّد محمّد الشيرازي
دام ظله

الجزء الأوّل



مقدّمة الجزء الأوّل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله والصلاة والسلام على سيد بريته محمد وآله الطاهرين

وبعد : هذا شطر من أخلاق الاسلام ، التي ينبغي ان يتحلى بها المسلم انتزعناها عن الكتاب الحكيم والسنة الطاهرة رغبة في نشر الفضيلة ورجاء تقويض دعائم الرذيلة والله المستعان .

المؤلف



الرُّوحَ وَالبَــدَنُ

الانسان له روح وله بدن ، والأول مصدر العلم والفضيلة ، والرضا والغضب ، والحزن والسرور ، والجبن والشجاعة ، والسخاء والبخل . . . وما اليها . . .

والثاني مصدر الادراك والذوق ، والسمع والبصر، والشباب والهرم ، والصحة والسقم وما اليها . . .

ولكل من هذين إستقامة وانحراف : فإنحراف الجسد المرض واستقامته العافية ، وانحراف الروح البخل والجبن . . . وما اليها واستقامته الكرم والشجاعة . . وما اليها .

وكما أن بدن الانسان لا يقوم إلا بالوقود ، من أكل وشرب وهواء وضوء . . .

كذلك روح الانسان لا يقوم ، إلا بعلم وعدل ، ومروءة وفضيلة . .

وكما ان المريض يحتاج الى الطبيب الجسماني وإلا هلك . .

كذلك المريض النفسي يحتاج الى الطبيب الروحاني ، وإلا هلك

و (الأخلاق) إنما وضعت لاصلاح الروح ، كما ان (الطب) إنما وضع لإصلاح الجسم .

فعلينا إذاً أن نزوِّد أنفسنا بالوقود الخُلُقي ، كما نزوِّد أجسامنا بالوقود البدني .

وعلينا ان نعالج روحنا المريض ، كما علينا ان نعالج جسمنا المريض .

الفضيلـةُ والرذيلة

لكل شيء كمية محدودة من الصلاحية ، ان تجاوزها كان وبالاً عليه ، مثلاً : من يكون اكله رغيفاً من الخبز ، إن تجاوزه الى رغيفين كان الرغيف الثاني موجباً لفساد معدته وربما أودى بحياته ، وان تجاوز الرغيف - في طرف القلة - بأن تناول نصف الرغيف ، أوجب ذلك ضعفاً في بدنه وربما آل به الأمر الى المرض . . . وهكذا . . وهكذا .

والروح ليس بدعاً من الأمور ، فله ميزان خاص وقسطاس مستقيم ، ان تعداه الشخص أوجب ذلك اختلالاً في توازنه ، وخذ مثلاً : يحتاج الشخص الى قدر من الشجاعة لمواجهة مصاعب الدهر ومتاعبه وتأمين حياته قبال الكوارث ، فإن زادت الشجاعة الى القدر المعين كان ذلك (تهوراً) يوجب اقتحام المهالك - بلا جدوى - ، وان نقصت عن القدر المعين كان (جبناً) يوجب الفرار عن المشاكل وفيه من المهانة والذلة والهلاك - احياناً - ما هو معلوم .

ان المتهور يلقي بنفسه في الهلكة ، والجبان يجبن عن فأرة وهرة .

إذاً فالفضيلة هي القدر المعين من الشجاعة .

وهكذا قُل : بالنسبة الى الجود ، والغَيْرة ، والحب . . وأضرابها .

ومن هذا نستنتج ان الفضيلة هي الحد الوسط بين الزيادة والنقصان وهذان هما الرذيلة .

وربما يكون قول نبي الأخلاق صلى الله عليه وآله وسلم : « خير الأمور أوسطها » إشارة الى هذا .

الرَّذِيلةُ تَحْجُب ...

المْتَرَف الذي لا يزال يدور في ترفه ،. محروم عن لذة السيطرة على النفس .

والجبان الذي يَجبنُ حتى عن خياله ، محروم عمّا للشجاعة من فَضْيلة وَثَناء .

والبخيل الذي لا يعطي لفقير درهماً ، محروم من آثار الجود وفوائد السخاء .

وهكذا قل في كل رذيلة .. انها تَحجب عن الفضائل فتكون النفس بها كالغرفة المظلمة التي حُرِمَت من أشعة الضياء ، أو كالأرض القاحلة المحرومة من بهجة الرياض ، ونظرة الأزهار .

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**لولا ان الشياطين يحومون الى قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماوات والأرض**)(١) .

ان الجاهل ينظر الى الهواء ، لكن العارف يعلم انها مما ركبت والغبي يحسب الاعطاء سفهاً ، والعاقل يراه جوداً وفضلاً ، فشياطين المنع والبخل والاستهتار .. تمنع عن إدراك حقائق الاشياء مما خلقها الله في الكون من آثار الملك ولطيف الصنع ، انها تحتاج الى قطع دابر الشياطين حتى يرى الانسان حقائق العالمين .

يقول الله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾(١) ان العلم سبيل من سبل الله ولا يحصل بمجرده ، انه يحتاج الى جهاده مع الجهل والايثار بسبيل من سبل الله ، ولا يحصل إلا بعد مجاهدة مع النفس الامارة بالبخل

وقل مثل ذلك في سائل الصفات .

وبهذا نفسر ما يقوله الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم : **(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم)**(٢) وهذا ناموس جارٍ في جميع الكون فإن الأمور كالحلقات يتبع بعضها بعضاً ، فمن عمل بما عرف ، بأن جعله في موضع اعتنائه ، ازداد شوقاً الى مجهول آخر وحيث عرفه وعمل به ازداد شوقاً الى مجهول ثالث وهكذا دواليك .

كما ان من تمرن على رفع عشرين كيلواً ، ازداد قوة حتى يتمكن من رفع ثلاثين وهكذا .

وليست الفضيلة مما تلقي على الانسان بمجرد التمني وإلا لأصبح كل فرد فاضلاً يقول الله : **﴿ ليس بأمانكيم ، ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزيه ﴾**(٢) .

بل إنما تحتاج الى تبصر في الأمور ، واكتساب دائم ودؤوب في التحصيل .

يقول الامام عليه السلام : **« ليس العلم بكثرة التعلم وانما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء »** لكن لا يقذفه اعتباطاً كما لا ينمي الشجرة والأرض مالحة، والماء اجاج ، وإنما يقذفه في قلب من اخلص وجد واجتهد .

ويفسر ذلك الامام امير المؤمنين عليه السلام : **« ان من احب عباد الله اليه عبداً اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف . فزهر مصباح الهدى في قلبه ! .**

إلى ان قال :

. . . قد خلع سرابل الشهوات وتخلى عن الهموم إلا هماً واحداً ، انفرد به فخرج من صفة العمي ومشاركة أهل الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق ابواب الردي ، قد ابصر طريقه ، وسلك سبيله وعرف مناره ، وقطع غماره واستمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها ، فهو

من اليقين على مثل ضوء الشمس»(٣) .

وقال عليه السلام : « قد احيا قلبه وأمات نفسه حتى دق جليله ، ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب الى باب السلامة ودار الإقامة ثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه ، في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه »(٤) .

انه كذلك . فالفاضل في قرار وراحة ، يرى طريق العمل ، ولا تزلق قدمه من الزحالف .

ويقول عليه السلام في كلام ثالث :

« هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الأعلى»(٥) .

لا بأبدان البهائم همتها بطنها ، أما جارها الجائع أما قريبها الطاوي أما . . . أما . . فلا تشعر بذلك أبداً . بل ارواحها معلقة بالمحل الأعلى أعلى من ذلك مرات ومرات . . .

دُنيًا وَآخِـــرَة

ينسلخ بعض الناس عن الدنيا فيترهب وينسلخ بعض الناس عن الآخرة فيلحد وكلاهما على خطأ .

ان البدن والروح إذا شبها بالحصان وراكبه لم يك بعيداً والعناية من هذا الوصول الى دار آخرة هي جنات عرضها السماوات والأرض . وكما أن على الراكب ان يتعاهد أمر فرسه بالعلف والسقي حتى يوصله الى مقصده ، كذلك على الانسان ان ينظم امور جسده من أكل وشرب ونوم وراحة حتى يكمل فضائله استعداداً لمقصده .

فاولئك الذين يتكالبون على الحطام دون اعتناء بالناحية الروحية يكون حالهم كراكب اغفل نفسه ، واعتنى بأمر دابته ، حتى مات جوعاً وعطشاً . . وليس قوله ، إلا كما حكى الله عنه : ﴿ يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ﴾[٣] .

واولئك الذين تبعد عيناهم عن البدن ويشتغلون بالآخرة المجردة ـ في زعمهم ـ يكون حالهم كالراكب اذا اغفل امر دابته واشتغل بنفسه فإنه ينقطع في الطريق ولا يصل الى المقصود وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الراكب امنبت لا سفراً قطع ، ولا ظهراً أبقى)(٦) .

وفي الحديث : (ليس منا من ترك آخرته لدنياه ، وليس منا من ترك دنياه لآخرته)(٧)

العلمُ والجهلُ

قد يتعلم الانسان العلم ، لكن علمه يصبح وبالاً عليه لتجاوزه حدود العقل والعرف ، فلا يزال يستخرج اشياء - لا واقع لها - حتى يورده العلم المطاطي الى الوسوسة والسفسطة ، وهذا هلاك للروح والجسد والدنيا والآخرة .

وقد لا يتعلم شيئاً فيكون جاهلاً وهذا كأخيه في المصيبة ! إلا أن الجاهل الذي يعلم بجهله أهون مصيبة من الجاهل الذي يزعم نفسه عالماً ، وهذا ما يسمى بـ : « الجهل المركب » إذ من يعلم انه جاهل ، ربما يطلب العلم ويستمع الى كلام العلماء ، أما من يرى نفسه عالماً وهو جاهل فإنه لا يزال يرتطم في جهله ، وكلما أراد أحد انتشاله من هوته استكبر واعتلا ! فيبقى في الجهل .

وينقل عن عيسى المسيح عليه السلام انه قال : « اني لا أعجز عن معالجة الأكمة والابرص ، واعجز عن معالجة الأحمق » فإن الله سبحانه جعل مفتاح شفاء المرض في يده ، أما شفاء الحمقى فكان بالطرق العادية وانه مما يعجز عنه المسيح !

والعلم في نظر نبي الاسلام وأوصيائه افضل شيء حتى أنه ربما يدهش الانسان ما ورد في فضله على لسان الرسول والأئمة عليهم السلام لكن الحقيقة تنفي الدهشة ، أليس بالعلم تقوم الدنيا وتعمر الآخرة ؟ إذاً فمستوى العلم رفيع جداً وجداً .

واليك نبذ مما ورد في العلم يقول الله تعالى : ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[٤] . انهم لا يستوون . وقال : ﴿ **ومن يؤتي**

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[٥] . واي خير اعظم من الحكمة التي هي معرفة وضع كل شيء في موضعه اللائق به ؟! وقال : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾[٦] ضرب المثل عام اما التعقل فهو خاص بأهل العلم ان الجاهل يمر على الشيء مرور الكرام أما العاقل العالم فهو وحده يدرك المغزى المراد .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (اللهم ارحم خلفائي ! قيل : يا رسول الله مَنْ خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي)(٨) أليس من يروي الحديث خليفة رسول الله ؟ وهل خليفته إلا من يعلم سننه ثم ينشرها بين الناس ؟ وهناك حديث قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الصحابي الجليل بشأن العلم وربما يستغربه من لا خبرة له : (أما والعلم هو اساس الاجتماع والتمدين ، وبه تناط سعادة الآخرة) فلا غرابة فيه وان كانت الارقام كبيرة جداً وجداً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر : (جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب الى الله تعالى من قيام الف ليلة يصلي في كل ليلة الف ركعة وأحب اليه من الف غزوة ومن قراءة القرآن كله اثني عشر الف مرة ، وخير من عبادة سنة صام نهارها وقام ليلها ، ومن خرج من بيته ليلتمس باباً من العلم كتب الله عز وجل له بكل قدم ثواب نبي من الأنبياء وثواب الف شهيد من شهداء بدر) (٩) . . .

وهنا ينبغي ان نقف قليلاً ثم نعود الى الحديث .

ان تراب قدم مبتغي العلم تراب قدم نبي وتراب قدم الف شهيد من شهداء بدر ، فلو اخذنا ان نبياً تخطى خطوة واحدة في سبيل العلم كان خطوة هذا الطالب تعادلها وكذا خطى الف شهيد ، أليس بالعلم يحفظ تراث الأنبياء وبالعلم يحفظ ما قصده الشهداء من إعلاء كلمة الله ورفاه البشر وسعادته ؟ إذاً ليس ذلك غريباً .

وكذا الأرقام التي ذكرت للعبادات ان العبادة بدون العلم مثلها مثل ما يصنعه الحيوان انه لا قيمة له ، أما بالعلم فهو ذو قيمة كبيرة فالعلم أحب من العبادات الكثيرة .

واستطرد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه يقول : (. . . **واعطاه الله بكل حرف يسمع أو يكتب مدينة في الجنة وطالب العلم يحبه الله وتحبه الملائكة والنبيون ،و لا يحب العلم إلا السعيد وطوبى لطالب العلم والنظر في وجه العالم خير من عتق الف رقبة ومن احب العلم وجبت له الجنة ، ويصبح ويمسي في رضا الله ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من ثمرة الجنة ولا يأكل الدود جسده ويكون في الجنة رفيق خضر عليه السلام**)(١٠)

ان العالم الذي كان لعلمه وزن عند الله تعالى لا يأكل جسده الدود ، أما كل عالم فلا ، ومن هذا السياق يعلم ان هذه المثوبات إنما هي لبعض العلماء

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **أيها الناس اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به ألا وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، ان المال مقسوم مضمون لكم ، قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله قد أمرتم بطلبه من أهله فأطلبوه** »(١٠) أرأيت حياً بدون رزق ؟ أما الجهال فكثيرون فالرزق مقسوم يطلبه كل احد حتى ينال حصته اما العلم فهو خاص لا يطلبه إلا البعض وهذا هو الفارق الذي يشير اليه الحديث .

وقال عليه السلام : « **إذا مات مؤمن وترك ورقة واحدة ، عليها علم كانت تلك الورقة ستراً بينه وبين النار واعطاه الله بكل حرف عليها مدينة اوسع من الدنيا سبع مرات** »(١١) .

وما احوج الانسان الى مدن كثيرة هناك انه يصبح ملكاً ـ كما في الحديث ـ وخدمه وحشمه الملائكة ، وهل للملك ارتواء من سعة البلاد وكثرة

المدن ؟ .

وقال الامام زين العابدين عليه السلام : « **لو يعلم الناس ما في طلب العلم ، لطلبوه ولوبسفك المهج وخوض اللجج** »(١٢)

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد** »(١٣) ان الكليني والصدوق والشيخ والمفيد والمرتضى واضرابهم لا يقاسون بملء الدنيا عُبّاد ، فالعباد ولو كانوا ملايين يذهبون ، ولا ينتفع بهم ، أما هؤلاء فهم نشروا العلم في ملايين وملايين وملايين . . فلو كان احدهم افضل من سبعين الف عابد لم يكن ببعيد .

ويروي الامام الرضا عليه السلام عن آبائه (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : (**طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فأطلبوا العلم في مظانه واقتبسوا من أهله ، فإن تعلمه ـ لله ـ حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح ، والعمل به جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة الى الله لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة ، والمؤنس في الوحشة ، والصاحب في الغربة والوحدة ، والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الاعداء ، والزين عند الاخلاء يرفع الله به اقواماً ويجعلهم في الخير قادة ، تقتبس آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى آرائهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، وفي صلاتها تبارك عليهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه**)(١٤) .

ان العلم حياة القلوب من الجهل ، وضياء الأبصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبيد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الآخرة والاولى ، الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام ، به يطاع الرب ويعبد ، وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام ، العلم أمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه .

إذاً : على الانسان ان يتعلم ويتعلم . . حتى تبدو له آفاق جديدة من المعرفة ، ويرتقي في مراقي رفيعة من الادراك ، والعالم بقدر علمه تكون سعة نفسه ، ورحابة ذهنه ، فالجاهل مطبق الفؤاد كالأعمى الذي لا يبصر .

المُعلّم والمُتعلم

العلم فضيلة ، والفضيلة لا تكون فضيلة إلا إذا أريد بها ذاتها ، أما لو أريد بها غيرها بأن جعلت قنطرة الى لذة عابرة ، أو شهوة طارئة أو مال أو جاه . . فهي بالرذيلة أشبه . أليس الجود حسناً ؟ ومع ذلك فإذا أراد المنفق غير الجود ذاته بأن أراد مدحاً أو شهرة أو ما اليهما أنقلب الجود رذيلة بعيدة عن القيم الانسانية والمثل العالية .

وهكذا العلم ، فمن تعلم لتكمل نفسه وليخدم الناس أو ما اشبه ، فهو حقاً طلب العلم لذاته وله من الله المثوبة ، ولدى الناس الذكر الحسن أما لو طلبه لجاه أو مال ، أو مراء أو مباهاة فيكيل له الناس الاهانة والازدراء ، ويجزيه الله الجزاء السيء .

قال الامام الباقر عليه السلام : **« من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح إلا لأهلها »**(١٥) . فالعلم المراد به المباهاة والمماراة ، والجاه ، لا يؤهل الانسان للرئاسة ، انه بالعكس عن ذلك يبعد عن هذا المقام فالناس تبع لكل متواضع مجامل ، لا كل متكبر مباهٍ . . .

وقد قسم الامام الصادق عليه السلام طلبة العلم الى ثلاثة أقسام ، بَيَنَّ علائم كل واحد كي لا يغتر الناس بمن جعل صدره صندوق الكتب وهو فارغ عن بهاء العلم وفضله ، ويكون حاله حال من حفظ كتاب البخاري فقيل لأحد العلماء : ان فلاناً حفظ البخاري ، قال : ازدادت نسخة في البلد ! يريد ان حفظه إياه ليس إلا كنسخة مطبوعة وما قيمة النسخة أنها على اكثر الفروض ثلاثة دنانير أو ما يقاربها .

قال عليه السلام : « **طلبة العلم ثلاثة ، فأعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ، صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل .**

فصاحب الجهل والمراء : مؤذٍ ممارٍ متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم وقد تسربل بالخشوع ، وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه .

وصاحب الاستطالة والختل : ذو خب وملق ، يستطيل على مثله من أشباهه ، ويتواضع للأغنياء من دونه ، فهو لحلوانهم هاضم ، ولدينهم حاطم فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره .

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه ، يعمل ويخشى وجلا داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه وأعطاه يوم القيامة امانه»(١٦) .

ونتوقف عند هذا الحديث ـ لا للشرح فشرحه طويل ـ بل لأن نقول : ان من الظريف ان الناس بطبيعتهم يعرفون هذه الاقسام فيعاكسون الأولين ويلتفون على القسم الثالث ومن نظر الى العلماء في كل زمان رأى صدق ما ذكرناه .

وكفى هذا خزياً للأولين ورفعة وسمواً للثالث !

ثم ان العلم مهما كان نوعه فإنه يحتاج الى العمل بخط مستقيم لا غير ، وإلا فسرعان ما يذهب العلم وتبقى الحسرة ،مثلاً :علم الطب والهندسة والرياضيات وما اليها . . . تحتاج الى اعمال مباشرة،وعلم اصول الدين والحكمة والفلسفة ونحوها تحتاج الى الممارسة والتكرار والعمل بمقتضاها ، فالعالم ينبغي له ان يراعي هذا الجانب المهم من العلم .

قال الامام الصادق عليه السلام : « **العلم مقرون الى العمل من علم**

عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه ! وإلا ارتحل عنه »(١٧) وكيف لا يرتحل ولا يستمـده ما يقضي بقاءه ؟وقال الامام زين العابدين عليه السلام : « **ومكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعملون ولما تعملوا بما علمتم ، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ، ولم يزدد من الله إلا بعداً »(١٨)** ان من يعلم ان الشيء الفلاني محرم ثم لا يبالي بفعله انه يبتعد عن الله اكثر مما يبتعد الجاهل ، فمن يعرف القانون ثم يخترقه اكثر جرماً ممن لا يعلم بالقانون .

وقد اشتد اللوم على تارك العمل حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناجٍ ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك ، وأن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله فأستجاب له ، وقبل منه ، فأطاع الله ، فأدخله الله الجنة ،وأدخل الداعي النار بترك علمه وأتباعه الهـوى وطول الأمل ، أمـا اتباع الهـوى فيصد عن الحق ، وطـول الأمل ينسي الآخرة)(١٩)**

ومما يزيد العلم بهاءاً والعالم سؤدداً ان يتحلى بالحلم والتواضع فالتواضع والحلم يزينان كل شيء ، والتكبر والخرق يشينان كل شيء يقول الامـام الصـادق عليه السـلام : « **أطلبوا العلم وتـزينوا معـه بالحلم والـوقـار ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم »(٢٠)** .

وما يجدر الاشارة اليه : ان العلم ثمين جداً فعلى العالم ان يتحرى موضع وضع هذا الجوهر الغالي فكثير من العلوم يسبب الدمار والهلاك إذا وضع بين يدي السفاكين وبالعكس يسبب العمران والرقي إذا بذل لمن يريد خـير البشريـة وازدهـارهـا ، فمثـلاً علم (جـراثيم الاوبئـة) سبب لنشـر الأمراض ، إذا تعلمه اعـداء البشريـة ، وبالعكس هـو بذاتـه سبب لقتل الأمراض ، ونجاة الناس من فتكها ، إذا تعلمـه الطبيب الشفيق .

والى هذه النقطة المهمة يشير النبي العظيم عيسى بن مريم عليه السلام كما يرويه الامام الصادق عليه السلام قال : « **قام عيسى بن مريم خطيباً في بني إسرائيل ، فقال : يا بني اسرائيل ! لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم** »(٢١) .

والاسلام يريد الصدق في كل شيء ، ويكره الالتواء والزيغ ولاجل هذا يحرم القول بغير العلم ويحرم التجديف بدون دراية قال الامام الباقر عليه السلام « **حق الله على العباد ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون** »(٢٢) فلا يبخلوا بالعلم - كي يتسع - ولا يسخو بالجهل - كي لا يستشري ضرره - فإن كل جهل ضار وكل علم نافع ، وفي معنى ذلك ما عن ولده الامام الصادق عليه السلام قال : « **ان الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه : ألا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا فقال : ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاقُ الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحقّ ؟ ﴾**[٧] **وقال ﴿ بل كذبوا بما لم يُحيطوا بعلِمِه ولما يأتهم تأويله﴾**[٨] »(٢٣) .

وليس الأمر يقف على هذا الحد بل ابعد من هذا فلا يريد الاسلام ان يقول الرجل ما يوهم انه يعلم - والحال انه لا يعلم - تحفظاً على موازين الصدق ومقاييس الاستقامة ، قال الامام الصادق عليه السلام : » **إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل : لا أدري . ولا يقل : الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكّاً ، واذا قال المسؤول : لا أدري ، فلا يتهمه السائل** »(٢٤) .

ليصفو قلب الطرفين هذا صادق في قوله والسائل مصدق له .

الشـــك واليقـــين

الايمان بالله اول الفضائل وهل فضيلة ارقى من الايمان بالخالق الرازق الحي الميت المعطي الوهاب . . ؟ . لكن النفوس الضعيفة ربما يخالجها الشك كالأبدان الضعيفة التي يعرضها الاسقام ، فعلى الشخص ان يعاهد نفسه كما يعاهد جسمه كي لا يقع في أحـابيل الاوهـام حتى تنجر الى الشـك ثم الانكار ، فإنه من أقبح الرذائل ، وهل اقبح من نكران الله العظيم الذي بيده ازمة الخلق والأمر ؟ .

والى هذا التدرج : وسوسة فشك فجحود يشير الامام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول : « **لا ترتابوا ، فتشكوا ، ولا تشكوا ، فتكفروا** »(٢٥) .

ومن كفر أو شك لا ينفعه عمله ، إذ العمل بلا يقين كالبناء من دون اساس ومتى استقام البناء بدون الاساس استقام العمل بدون اليقين ، قال الامام الباقر عليه السلام : « **لا ينفع مع الشك والجحود عمل** »(٢٦) وقال ولده الامام الصادق عليه السلام : « **إن الشك والمعصية في النار ، ليس منا ولا الينا**»(٢٧) لم يخرج هذان الأمران الخبيثان ، من الأئمة الطيبين ، ولا يعودان اليهم ﴿ **فالخبيثات للخَبيثين والطيِّبات للطيبين**﴾[٩] .

والثالث لا يرجو منه خير ، كيف وقد أوصد باب الخير على نفسه ؟ وابتلى بمرض لا يرجى له البرء قال عليه السلام : « **من شك في الله بعد مولده على الفطرة لم يفيء الى خير ابداً** »(٢٨) لكن المحذور ليس هو مجرد الشك إذ ربما يوسوس الشيطان في نفس الانسان بما لا يريد ، وإنما المحذور البقاء على الشك ولذا قال عليه السلام : « **من شك أو ظن فأقام على احدهما احبط الله عمله أن حجة الله هي الحجة الواضحة** »(٢٨) .

واية حجة أوضح من احتياج هذا الخلق الوسيع العظيم ، الى خالق ومدبر ؟ !

وكلما يكون الشك موغلاً في الدناءة والخسة فاليقين بعكسه فضيلة لا أفضل منها إذ الفضائل كلها من فروعه ، يقول النبي العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم : (**اليقين الايمان كله**)(٣٠) فالمتيقن لا بد وان يعمل إذ لا يجتمع اليقين والعطالة ، فهل سمعت بمن يتيقن ان خلفه الاسد ولا يفر منه ؟ أو هل تعلم احداً علم دواءه ثم احجم عن شربه ؟ كلا ! لا يكون ذلك إلا في السفهاء ، والكلام في العاقل . إذاً فاليقين هو الايمان ولو اخذنا انه لم يعمل بمقتضى اليقين فهو عرض زائل ومثله لا يضر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(**ما آدمي إلا وله ذنوب ، ولكن من كانت غريزته العقل ، وسجيته اليقين ، لم تضره الذنوب ، لأنه كلما أذنب ذنباً ، إستغفر وندم ، فتكفر ذنوبه ، ويبقى له فضل يدخل به الجنة**)(٣١) .

واليقين بالأضافة الى ذلك يوجب الهدوء والسكينة انه يعلم ان مقادير الأمور بيد الله تعالى وانه لو اصابته مصيبة في مال أو ولد أو نفس فإنما هي بأمر الله تعالى وسيجزيه على ذلك فلم يحزن ؟ قال الامام الصادق عليه السلام : « **ان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط** »(٣٢) .

لكن هذا اليقين بما له من فضل ليس كثير الوجود وان كثرت دعاوي الناس بأنهم أوتوه بل هو قليل وقليل جداً ، وقليلة ايضاً نافع فهو كالماء قليله يمنع الهلاك وان كان كثيره افضل يروي ويوجب النشاط والحياة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**أقَلّ ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أُوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل**)(٣٣) ان هـذين مستحبان ففوتهما غير ضائر أما فوت اليقين فمعناه فوت الايمان كله ، وليست قلة اليقين وعزيمة الصبر لجور القسمة وإنما هي لكون هذين بالاكتساب وقَلَّ من يطلبهما .

واخيراً فالعمـل ناشىء عن اليقـين فكلما ازداد اليقين ازداد العمـل وبالعكس فهو كالضوء كلما ازداد ازداد المضيء ، وكيف لا والعمل ناشىء عنه ومن ثمراته ؟ قال لقمان لابنه : « يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل إلا حتى ينقص يقينه » ومع ذلك فالعمل القليل باليقين أفضل من العمل الكثير مع الشك إذ العمل لا يقاس حجمه وإنما يقاس روحه ، فالأول كالماس والثاني كالحجر وقليل من الماس خير من كثير من الحجر ، قال الامام الصادق عليه السلام **« ان العمل الدائم على اليقين افضل عند الله تعالى ، من العمل الكثير على غير يقين »(٣٤)**

الخــواطــر والأفكـــار

الانسان مركب عجيب تتسع فيه الآفاق وتستحكم فيه الأجهزة فهو ذو ادوات وآلات لا يعرف كنهها ، وإنما القدر المعروف هو ظواهرها فله جسم وصفات جسم ، وروح وصفات روح ، ولكل ميدان وسيع واطراف مترامية رحبة ولا يكاد يعلم من هذه كلها إلا القليل النادر ، وان كان ربما يدعي أدعياء العلم أنهم وصلوا الكنه ، إلا انه كلام فارغ تشهد بـذلك قـرارة أنفسهم ، وخذ مثلاً : هذا الذي نسميه خواطر ـ في اليقظة ـ وأحلاماً ـ في النوم ـ مجهول الكنه الى يوم الناس هذا ، وإن كان (فرويد) ومن لفه لفه ، من المجازفين يرون انهم وصلوا العمق !

وهناك حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفسر الخواطر نقبله لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم ما وراء الظواهر وان كنا نحن لا نلمس ذلك لضيق حدود إدراكنا وانحصارها في المحسوسات وما اليها ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**في القلب لمتان : لمة من الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق ، ولمة من الشيطان إبعاد بالشر وتكذيب بالحق**)(٣٥) وقريب منه قوله الآخر صلى الله عليه وآله وسلم : (**قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن**)(٣٦) فكما ان الشيء المحاط بـأصبعين يقلب كيف يشـاء صاحبها كذلك يقلب قلب المؤمن حسب مشيئة الرحمن والقاء الملك المتمركز هناك .

وعلى أيٍ ، فالخواطر يلزم ان تهذب وإلا طالت السلسلة حتى تؤدي الى الوسوسة ، وتوجيه الخواطر الى الخير ، هو الذي يسمى بالتفكير ، وقد ندب اليه الاسلام لأنه مجلي العلوم ، وكاشف الرموز والداعي الى العمل الصالح

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**التفكر حياة قلب البصير**)(٣٧) وقال : (**فكرة ساعة خير من عبادة سنة**)(٣٨) ان فكرة ساعة ربما أدت الى خير الدنيا والآخرة ، كما نرى ذلك في شهيد الطف (حر الرياحي) فهي إذاً افضل من عبادة سنوات .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **إن التفكر يدعو الى البر والعمل به** » (٣٩)

قال عليه السلام : « **نبه بالتفكر قلبك ، وجافِ عن الليل جنبك وإتقِ الله ربك** »(٤٠) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **بـاجالـة الفكر ، يستدر الرأي المعشب** »(٤١) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **الفكر مرآة الحسنات وكفارة السيئات ، وضياء للقلوب ، وفسحة للخلق ، وإصابة في صلاح المعاد ، وإطلاع على العواقب ، واستزادة في العلم ، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها** »(٤٢) .

وقال الامام الرضا عليه السلام : « **ليس العبادة كثرة في الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله عز وجل** »(٤٣) إذ بالتفكر تُرسى دعائم الايمان ، وإلا فكم من صام وصلى يتزعزع بعاصفة واحدة تهشم إيمانه كما تهشم الريح اليابس من الاعشاب .

* * * *

أما الخواطر المذمومة فعلى الانسان ان يجتنبها مهما هجمت عليه وإلا أودت بجسمه ونفسه ، تحطم صحته البدنية والعقلية بالأضافة الى انه ربما اوجبت الكفر والالحاد . وقد اشفق من هذا الأخير احد الصحابة فعن (الكافي) انه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (**يا رسول الله هلكن ؟ فقال له : هل أتاك الخبيث ؟ فقال لك : من خلقك**

فقلت : الله تعالى . فقال لك : الله من خلقه ؟ فقال له : اي والذي لقبك بالحق لكان كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذاك والله محض الايمان)(٤٤) .

لأنه قطع سلسلة الوساوس ، بلجوئه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لدفع ما دهمه ، وكون هذا محض الإيمان واضح إذ لو لم يكن مؤمناً بالله لما اعتقد ان الآتي إبليس يريد ان يخدعه عن دينه .

ثم ان هذه الشبهة ، اعني شبهة : من خلق الله ؟ سخيفة جداً إذ كل ما بالغير لا بد وان يستند الى ما بالذات فهو بنفسه ، واليك مثلاً : نور كل شيء وضياؤه مستفاد من الشمس - كما اثبت ذلك العلم - أما نور الشمس فهو بنفسه ، لم تأخذه عن شيء آخر ، أي في سلسلة النور هي المصدر دون سواها - اما الخلق فهي مخلوقة كما لا يخفى - وكذا دهونة كل شيء من الدهن ، اما الدهن فهو دسم بنفسه لا عن غيره .

وهذا القدر من الخواطر المذمومة معفو عنه إذ لا يخلو عنه احد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**وضع عن امتي تسع خصال : الخطأ والنسيان وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا اليه ، وما استكرهوا عليه ، والطيرة ، (والوسوسة في التفكر في الخلق) ، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد**)(٤٥) وكتب رجل الى الامام الباقر عليه السلام ، يشكو اليه لمما ؟ فأجابه عليه السلام : « **ان الله تعالى - إن شاء ثبتك ، فلا يجعل لأبليس عليك طريقاً - قد شكى قوم الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمما يعرض لهم ، لأن تهوي بهم الريح ،أو يقطعوا احب اليهم من ان يتكلموا به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أتجدون ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : والذي نفسي بيده ان ذلك لصريح الايمان فاذا وجدتموه قولوا : آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله) (٤٦) .**

والوسوسة معفو عنها حتى عن الكثير منها ، لكونها من دون إختيار الشخص ، والله أعدل من أن يعاقب احداً على ما صدر منه كرهاً « سئل

الامام الصادق عليه السلام : عن الوسوسة ، وان كثرت ؟ فقال : « لا شيء فيها تقول : لا إله إلا الله»(٤٧) وقال جميل بن دراج قلت للصادق عليه السلام : انه يقع في قلبي أمر عظيم ! فقال : « قل لا إله إلا الله ، قال جميل : فكلما وقع في قلبي ، قلت : لا إله إلا الله فيذهب عني »(٤٨)

المكر والخديعة

ربما يتطلب الانسان شيئاً لكن لا يتمكن من التوصل اليه بالطرق المستقيمة ، وهنا يلتجىء لنيله بالطرق الملتوية وهذهالطرق وإن كانت ربما تهدف المقصد إلا أن بها يلتاث الضمير ويخدش كرامة الحق وهذا الالتواء - يسمى بالمكر والخدعة- وقد نهى الاسلام عنهما لما لهما من الضرر ، فالاسلام يريد كل شيء مستقيماً صريحاً ، أما المكر والخدعة فهما بعيدان عن الحق ، فإنه لا بد للماكر من الرياء والنفاق ، والكذب والغش . . وما اليها وكلها محرمة في نظر الاسلام .

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ليس منا مَنْ ماكر مسلماً)(٤٩) ويقول تلميذه الامام أمير المؤمنين عليه السلام : « لولا ان المكر والخديعة في النار لكنت امكر الناس»(٥٠) ولا يزال الماكر يمكر . . ويمكر . . . حتى يتجلى للناس مكره وخديعته فيُجْتَنب ويُرمى بكل شر ، وصحيح ان من لا يمكر تفوته منافع عظيمة ، إلا ان الابقاء على طهارة النفس وسلامة الضمير ، وحسن السمعة ، والذكر الجميل في الأجيال ، منافع تتضاءل امامها كل منفعة .

واليك مثلاً : ان امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عاصره معاوية وكان الامام يتجنب عن المكر وربما كان فوت بعض المنافع عنه عليه السلام مستنداً الى هذا التحرج ، اما معاوية فما من طرق ملتوية إلا كان يتبعها رغبة في الاستعلاء وطلباً لعلو الكلمة ، حتى ان التاريخ يحدثنا (بأنه كلما غضب على بطريق من علماء الروم -النصارى - كان يهدي اليه هدايا ، ويكتب اليه كتاباً يتشكر منه مواقفه تجاه معاوية على ضد حكومته ، وكان

يوصي الرسول ، بأن يتعرض الى مواقع الشرطة وامثالهم كي يقع في ايديهم.

وهناك الطامة الكبرى على ذلك البطريق ، فرسول معاوية كان يقع في ايدي السلطة ، وبعد التفتيش كانوا يظنون بذلك العالم كل شر وله الصلب أو الحبس أو ما اليهما ! . فيتشفى معاوية ويستلقي ضاحكاً !)

واخيراً : من حاز حسن الذكر ؟ أمعاوية أم الامام عليه السلام ؟ .

كان الامام عليه السلام : « **كثيراً ما يتنفس الصعداء ويقول : واويلاه ! يمكرون بي ويعلمون اني بمكرهم عالم ، واعرف منهم بوجوه المكر ولكن اعلم ان المكر والخديعة في النار ، فأصبر على مكرهم ولا ارتكب مثل ما ارتكبوا** »(٥١) .

ثم أليس الله رقيب الأعمال ؟ وأليس هو لا يصلح عمل المفسدين ؟ واذا مكر الانسان فهل يخفى ذلك على الله ؟ واذا مكر الشخص فالله اقوى مكراً ، وهو يقول في كتابه الحكيم : ﴿ **ومكروا وَمَكَر الله والله خير الماكرين** ﴾(١٠) وليس المراد من مكر الله معناه المصطلح عندنا بل معناه نقض المكر بما يخفى سببه .

جبن وتهور

قد يجبن الانسان حتى عن مواجهة مشكلات الحياة وهذا ليس بأنسان يستحق التقدير ، كما ان الشخص قد يكون متهوراً يقتحم المهالك لا لمبرر ، وهذا شخص اشبه بالسفه منه الى العقل .

والاسلام حذر منهما جميعاً وإنما يجب الوسط وهو الشجاعة .

يقول الله تعالى : ﴿ **ولا تَلْقوا بأيْديكم إلى التّهلُكَة** ﴾[11] فإن الانسان الذي يلقي بنفسه في المخاوف والمهالك ، لا لغاية شريفة ـ كالجهاد ونحوه ـ القى بنفسه الى التهلكة لكنه لهواه لا أمر عقلاني يستحسن في العرف والشرع .

ويقول نبي الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بصدد الجبن : (**لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً**)(٥٢) وقال صلى الله عليه وآله وسلم في كلام آخر له : (**اللهم إني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أنْ أُرَدَ الى ارذل العمر**)(٥٣) فهو والبخيل بمنزلة واحدة ، هذا بخل بماله وهذا بخل بحركته وكلاهما سبب وقوف الحياة ، فبالمال يزدهر العالم ويخطو نحو الامام ، وبالحركة والشجاعة يسحق الظالم ويخلص المظلوم من براثنه بألوانه والجبان لا يخاف إلا مما يخافه البخيل ، فالثاني يخاف الفقر ، والأول يخاف صدمة جاه أو مال ونفس ، وكلاهما وقعا في ما فرّا منه ، فالبخيل ـ بغريزته ـ لهم نهم الفقير وأكثر . . والجبان ـ بفطرته ـ في صدمة المال والجاه والنفس . . .

يقول الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **أشدَّاء على الكفَّار . . .** ﴾[12]

ويقول : ﴿ يا ايها النبي ! جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم﴾ ان من يجبن عن الحق معين للظالم ، وهو يرسم نصف خطة الظلم ، إذ الظلم إقدام من الظالم ، وإحجام من المظلوم، فالظالم دبر نصف الخطة ، والمظلوم رسم النصف الآخر .

يقول الإمام امير المؤمنين عليه السلام في وصف المؤمنين « نفسه أصلب من الصلد »(٥٤) ويقول الامام الصادق عليه السلام : « المؤمن اصلب من الجبل، إذ الجبل يستفل منه ، والمؤمن لا يستفل منه »(٥٥) فالمؤمن يحافظ على إيمانه مهما تبدلت الظروف وتغيرت الاحوال أما الجبل فالزمان والفأس فأنهما يستفلان منه ويقطعان بعضه .

إذاً لا جبن ولا تهور بل شجاعة وإقدام .

وكما ان الجبن مذموم ، كذلك الخوف الذي لا سبب له ولا مبرر ، كخوف كثير من الناس من الدخول في مواقع الظلمة أو ركوب نحو الطائرة أو خوفهم من الجن أو من الميت أو ما الى ذلك ، وإنما يكون هذا الخوف نقيصة لأنه شل لقسم من الحركة بأوهام وخيالات تدل على خفة النفس ، فإن النفس الرزينة ، لا تحركها الأوهام ، كما ان النفس الراسبة ، لا تحركها الحقائق وكلا الطرفين تَعدٍ عن الحق ، وتجاوز الى الباطل .

وهناك قسم من الخوف محبوب ، وهو الخوف من الله تعالى إذ بذلك تتوازن قوى الخير وتندحر قوى الشر ، ان من يخاف الله ويخشى عقابه لا بد وان يجتنب عما نهى الله عنه ، من ظلم وخيانة ، وسرقة وغيبة ، وفحش وتهمة وأكل اموال الناس بالباطل والجور في الحكم والرشوة والربا والغش والفلول . . .

فمن يخشى من الحكومة ، لا يرتكب ما يخالف القانون وكذلك من يخشى من الله حق خشيته ، والخوف من الله تعالى لا يكون إلا لمن علم ان الله بكل شيء محيط ، ولكل شيء رقيب ، ولذا ورد في القرآن الحكيم : ﴿ إنما يخشى الله من عِباده العُلماءُ ﴾[١٣] فالعلماء بالله هم الذين يخشونه ، أما

الجاهل بالله فلا يراه رقيباً حتى يخاف منه فهو كمن لا يعرف الاسد فإنه لا يفر منه .

وقد ورد في مدح الخوف من الله تعالى آيات وأخبار . .

قال تعالى : ﴿ هدىً ورحمةً للذين هم لربِّهم يَرَهبون﴾(١٤)

وقال : ﴿ رضي الله عنهم ورضوْا عنه ذلك لمن خشيَ ربَّه﴾(١٥) .

وقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجَلت قلوبهم﴾(١٦) .

فمن لا يخاف من الله ليس بمؤمن ، يعمل ما يشاء ، أما من يخاف فهو مؤمن ، لا يعمل إلا على طبق أوامر الله ، التي هي الصلاح الكامل للدنيا والسعادة الرابحة للآخرة .

ولذا ورد في آية أخرى : ﴿ وخَافُون إنْ كُنتم مُؤْمنين﴾(١٧) .

وقال تعالى : ﴿ سيذّكَر من يخشى﴾(١٨) .

والخائفون هم ورثة الجنة لأنهم ـ وحدهم ـ هم المطيعون لأوامر الله وقد ورد في الآية الكريمة : ﴿ وأما مَنْ خافَ مقامَ ربِّه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ فإنّ الجنة هي المأوى﴾(١٩) . خوف من الله ثم صلاح للنفس ثم جنة وهكذا . . . يكون ترتيب الخير ، ومن الطبيعي أن من يخاف الله في الدنيا لا يخافه في الآخرة ، لأن خوفه هنا سبب لعمله الصالح فلِمَ يخاف هناك ؟ وبالعكس من لم يخف الله هنا خافه في الآخرة ، لأن أمنه هنا سبب فساده وطغيانه فلا أمن له هناك ، والى هذا يشير الحديث القدسي عن لسان الله تعالى :

(وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ، ولا اجمع له أمنين ، فإذا آمنني في الدنيا ، اخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا ، آمنته يوم القيامة)(٥٦) .

ثم الانسان لا يحكم أمره ولا يضع الأمور مواضعها ، إلا إذا خاف الله ان الحكومة التي تستعمر البلاد ظلماً لا تخاف عدل الله وإلا لم تكن تستعمر المظلومين ، والقاضي الذي يرتشي لا يخاف الله وإلا كف عن الرشوة ،

والبنوك التي تخاف الله لا تأخذ الربا ـ الفائض ـ وإلا لم تجمع دماء الفقراء بمحاجم الصكوك . . . وهكذا الرجل لا يؤذي امرأته لو كان يخاف الله ، والمرأة لم تنشز على زوجها لو كانت خائفة من الله . . وهكذا . . وهكذا . . .

فالخوف يوجد الحكمة في الانسان ، حتى يعطي كل شيء حقه ويضع كل شيء موضعه .

يقول النبي العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم : **(رأس الحكمة مخافة الله)(٥٧)** فالمخافة تورث الحكمة والعدل لكل فرد ولكل مجتمع .

وهنا حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزعم الغر انه شطط في الكلام ، لكنه عند الذكر في غاية الوضوح ، كوضوح الشمس في رائعة النهار ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :

(من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله ، خافه الله من كل شيء)(٥٨) ان الخائف يعمل على الموازين ، فلهذا يخافه كل معتدٍ اثيم ، وغير الخائف يعمل على خلاف المقاييس فلهذا يخاف من كل احد ، ولذا نرى ان المنافق والغاشم والظالم يخاف حتى من ظله وإذا تصفحت احوال الحكام الظالمين رأيتهم في خوفٍ دائم وقلق وانهيار ولهذا يظلمون ويظلمون . . .

وقد ورد لتأكيد هذه المعاني السالفة احاديث ، نسرد منها :

قال الصادق عليه السلام : **« من عرف الله خاف ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»(٥٩)** .

وقال عليه السلام : **« إن من العبادة شدة الخوف من الله تعالى يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء ﴾[٢٠] وقال : ﴿ فلا تخشوا الناس وأخشوني﴾[٢١] وقال : ﴿ مَنْ يَتقِ الله يجعلْ له مَخْرجاً﴾[٢٢] . »(٦٠)** .

وقال عليه السلام : « ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب»(٦١)

الـرّجَــــاء

الرجاء هو توقع الشيء المطلوب ، مع تهيئة الشخص كل مقدمة يتمكن من الحصول عليها : الزارع ، يزرع الأرض ، ثم يسقي البذر ثم يحفظ الزرع من الآفات ويأتي بكل ما لديه من حول وطول ، للحفاظ على الثمار . . . وبعد ذلك يرجو لطف الله في بلوغ الثمرة كمالها المنشود . وإنما ذلك : لأن عوامل الطبيعة التي سخرها الله تعالى ليست تحت قدرة الانسان وطوع إرادته فهناك إعصار يتلف الزروع ، وحشرات تفسد البذور ، وبرد ينزل احياناً فيقصف الاشجار ودود يأكل الثمار . . . وهكذا .

أما من لا يزرع ثم يرجو الحاصل ، فهو احمق ، أو من يزرع ثم لا يهيء المقدمات المقدورة ومع ذلك يقول : اني ارجو ، فهو كاذب أو مخدوع .

ان الكون يبدره الله تعالى بقدرته الكاملة ، ونكن جعل لكل شيء سبباً والاسباب منها ما في متناول الشخص ، ومنها ما هو خارج عن ارادته ، فالراجي هو الذي يعمل ما في متناوله ، ثم يرجو جريان المقادير على الإلفة والعادة ، حتى يُؤ تى كل شيء حاصله ، ويصل كل سبب الى نتيجته .

وهكذا الرجاء بالنسبة الى المقامات العليا ، والدرجات الرفيعة في الآخرة والأولى مثلاً : لو بَعُد الشخص عن طلب العلم ، ثم رجاه ان يصبح عالماً فهذا حُمْقٌ كما أن تهاونه في العمل ورجاؤه التقدم جهل . . والعبادة هكذا فمن لم يطع الله ثم يقول : « ارجو ان اكون من اصحاب الدرجات الرفيعة ، أو ذوي المراتب السامية لدى الله تعالى جاهل أو مغرور .

كما ان من يعمل قدر المقدور ، ثم لا يرجو بعيد عن العادة والعقل .

وكلاهما خارج عن الحد المقرر لدى العقل والشريعة : مَنْ يرجو ولا يعمل ، ومَنْ يعمل ثم ييأس .

وقد وردت طائفتان من الآثار لتقويم هذين الرجلين من لا يرجو ومن لا يعمل .

قال تعالى : ﴿ يا عباديَّ الذين أسرَفوا على أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمة الله ﴾(٢٣) .

وقال علي عليه السلام ـ لرجل اخرجه الخوف الى القنوط ، لكثرة ذنوبه : « أيا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك»(٦٢) .

ورأى عليه السلام رجلاً عند النزع كان يقول : : اجدني اخاف ذنوبي ، وارجو رحمة ربي ، فقال عليه السلام : « ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا اعطاه الله ما رجاه وآمنه مما يخاف » »(٦٣) .

وقال الباقر عليه السلام: وجدنا في كتاب علي (ع): ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال ـ وهو على منبره « والذي لا إله إلا هو ما أُعطِي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين . والذي لا إله إلا هو لا يعذِّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه »)(٦٤) .

هذا وأضرابه انما ورد لتثبيت الرجاء في القلوب الواهنة والنفوس الضعيفة التي لم تذق حلاوة رجاء رحمة ربها .

وأما ما ورد لزجر النفوس المتكاسلة التي لا تعمل وترجو نهياً عن غيها وإرشاداً لها الى الصراط المستقيم فكثيرة وقد حصر الله الرجاء الصحيح في

قوله : ﴿ إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجَاهِدوا في سبيل الله أولئك يَرْجون رحمة الله﴾(٢٤) وذم أقواماً يرجون بلا عمل بقوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عَرْض هذا الأدنى ويقولون سَيغفِر لنا ﴾(٢٥) ومثل هذا في لسان نبي الاسلام يسمي بـ (الأحمق) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة)(٦٥) وكيف لا يكون احمق ويريد الثمرة بدون غرس الشجرة ؟ .

قيل للامام الصادق عليه السلام : « قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت ؟ فقال عليه السلام : هؤلاء قوم يترجحون في الأماني كذبوا ليس براجين ان من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه »(٦٦) .

ولقد صدق الامام عليه السلام ان من يرجو منصباً إنما يصح ان يقال له : راجٍ إذا طلبه اما من يقصد ويتمنى فهو كاذبٌ غير راجٍ ومن يخاف من الاسد يهرب منه أما من يقول اخاف وهو يعترضه فهو كاذب فمن يقول : اخاف الذنوب ثم يعملها فهو كاذب ومن يقول ارجو الرحمة ثم يعمل ضدها فهو مخدوع .

وقد بَيَّن الامام عليه السلام مقياس الخوف والرجاء حيث قال : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»(٦٧) .

كِبَرُ النفس وصغرهـــا

النفس كالوعاء ، منها واسعة ، ومنها ضيقة ، فالواسعة لا يملؤها شيء قليل ، من مال أو علم أو منصب أو ما اليها . والضيقة تفيض منها مقادير قليلة ، حتى تبدو على اطرافها ، مثلاً : اذا تعلم بعض العلم ، يقوم باظهاره في كل مجتمع ومنتدى ، واذا رزقه الله قليلاً من المال ، اعرض وتكبر ، وحسب لنفسه الف حساب ، واذا تسلَّم رتبة متواضعة ، رأيته وكأنه يمشي على السماء ، يُصعر خده للناس وهكذا يكون صغير النفس وبالعكس من ذلك من كبرت نفسه ، واتسع آفاق فكره ، فإنه كلما نال من خير ، رأى بعده افقاً ، وفوقه متسعاً فتتضاءل لديه نفسه ، ويزدري بما حصل ، لا ازدراء الكافر للنعم ، الجاحد للفضل ، بل ازدراء الفطن الحكيم ، فلا يقيم لما أوتي وزناً ، كي تبطره النعمة ، انه يطلب المزيد من العلم ، والزيادة من الفضل . . . فكيف يجتمع هذا مع كونه يرى ما عنده عظيماً كثيراً ؟ .

ان كل احد رأى في حياته، رجلاً ازداد مالاً ، فلم يزده ذلك إلا تواضعاً والفة ، كما رأى من ازداد علماً ، فلم يزده ذلك إلا طلباً واجتهاداً ، كما رأى من ارتفع منصبه ، ووصل الى مقام عالٍ ، فلم يزده ذلك إلا عملاً بالخير ، وحلاً للمشاكل ، وبشاشة وابتسامة .

وبالعكس رأى آخرين كافراً على طرفي نقيض مع هؤلاء . . . !

فالأولون كبراء النفس ، والآخرون صغراؤها .

والاسلام يحب الاولين ، يقول الامام الباقر عليه السلام : « **المؤمن اصلب من الجبل** »(٦٨) لا ينهار بمصيبته ، ولا تبطره نعمة ، كالجبل الذي لا

يتحرك بالعواصف ، فكيف بالرياح الاعتيادية ؟ وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال : « **ان الله تعالى اعطى المؤمن ثلاث خصال : العز في الدنيا والآخرة ، والفلح في الدنيا والآخرة ، والمهابة في صدور الظالمين** »(٦٩) .

فلولا كبر نفسه لم يكن عزيزاً مهاباً .

ان صغير النفس ذليل مهان .

وكما يحث الاسلام على العزة وكبر النفس ، يزجر عن صغر النفس والمهانة ، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام : « **إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أموره كلها . ولم يفوض اليه ان يكون ذليلاً ، اما تسمع الله تعالى يقول : ﴿ ولله العزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين ؟﴾**[٢٦] » (٧٠) .

والانسان وان خلق مختلفاً في جميع شؤونه ، إلا ان صغير النفس يتمكن من استبدال ملكته ، فيجبر نفسه على الكبر ، والاتزان ، حتى لا تحركه كل ريح ؛ والعزة وكبر النفس متلازمان ، كما ان الذلة وصغر النفس قرينان .

الغيـــرة

للانسان في الحياة شؤون ومتعلقات ، نفسية وبدنية . . واضرابها وحيث ان في الاجتماع تجاذب وتدافع فلا بد لكل من صفة دافعة تحفظ كيانه وتدافع عن متعلقاته حتى لا تقع نهباً في أيادي الطامعين ، وفرضاً لكل منتهز .

فالدين ، والفضيلة ، والأهل والولد ، والمال والعرض وما اليها من شؤون الانسان ولوازمه فاللازم المدافعة عنها والوقوف أمام الناهبين والطامعين وإلا لم يمضِ زمان إلا يكون حاله كحال (خواجه نصر الدين) في الأسطورة المشهورة :

(حيث كانت له زوجة ودار ونعجة وملابس فاتفقت اللصوص على ان يسلبوه ممتلكاته فجاء الأول وأقام عليه الدعوى حول زوجته وحيث انها مالت مع اللص الشاب سقط في يد الخواجة واذا هو بلا زوجة وجاء الثاني ونازعه في داره وأقام اللصين شاهدين فلم يمضِ زمان إلا وهو بلا دار وجاء الثالث مهرجاً وان النعجة خيالية وإنما هي كلب اشتبه على الخواجهة وحيث شهد له لصوص أُخَر اطلق سراح النعجة الى حيث اخذها اللص الثالث !! وجاء دور الرابع فقعد على بئر في طريق الخواجة ولما ان مر على البئر قال له الرابع بالله عليك خذ مني هذا الدينار وغص في البئر كي تخرج خاتمي الثمين الذي وقع فيها فاخذ الدينار ثم نزع ثيابه وفيها ديناره المعطى له فاخذ اللص الملابس وهو بعد في البئر ولما ان خرج علم بالمكيدة فاخذ عصا وجعل يدور حول نفسه فقيل له في ذلك ؟ قال : خوفاً من ان يسرقني الخامس !

وهذه الصفة المحافظة على الشؤون ، تسمى بالغيرة ، والاسلام يحرص

الحرص كله على تحلي الشخص بها فهناك سلسلتان من الأحاديث تمدح الغيرة وتذم عدمها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(اذا لم يغرِ الرجل فهو منكوس القلب)**(٧١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(وكان ابراهيم غيوراً وأنا أغْيَر منه وجَدَع الله أنف مَنْ لا يغار على المؤمنين والمؤمنات)**(٧٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث عجيب ، يمثل كيفية نداء الضمير بالانسان ثم خمود صوته حتى لا يسمع له ركز : **(اذا غَيَّر الرجل في اهله أو بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر بعث الله اليه طائراً يقال له القندر . حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله اربعين يوماً يهتف به : ان الله غيور يحب كل غيور فإن هو غار وغَيَّر وانكر ذلك اكبره وإلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه بعد ذلك روح الايمان وتسميه الملائكة : الديوث !)**(٧٣)

وهكذا تكون الصفات الفاضلة : انها اذا ديست تحت الاقدام لا يزال الضمير يهتف ويهتف ، حتى ييأس وهنالك يستحوذ الشيطان ، ويخمد الضمير فلا يزال يرتطم في الرذيلة حتى يرتكس فيها فلا منجي له ولا ملاذ ، أرأيت من يعمل القبيح ؟ انه لأول مرة يأبى عليه ضميره ، وتزجره نفسه ، ثم يقل الإباء والزجر في الثانية والثالثة حتى يكون القبيح لديه حسناً جميراً !

وقد شدد النكير الامام امير المؤمنين عليه السلام على بعض الرجال ، الذين سلبت منهم الغيرة فقال في كلام له : **« يا أهل العراق نُبِّئْت ان نساءكم يدافعْنَ الرجال في الطريق اما تستحون . . »** وقال (ع) : **اما تستحيـون ؟! ولا تغارون ؟! نسـاؤكم يخرجْنَ إلى الاسـواق ويـزاحمْنَ العلوج . . . !»**(٧٤) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لفاطمة (ع) : **(أي شيء خير للمرأة ؟ »** قالت : **« ان لا ترى رجلاً ولا يراها رجل »** فضمها اليه ،

وقال : (ذرية بعضها من بعض) .

لكن ربما افرط الجاهل فيضع الغيرة في غير موضعها ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

(من الغيرة غيرة يبغضها الله ورسوله : وهي غيرة الرجل على أهله ، من غير ريبة » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا تكثر الغيرة على أهلك ، فترمى بالسوء من اجلك »(٧٥) .

وقال عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : « اياك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعو منهُنَّ الى السقم ، ولكن احكم امرهُنَّ فإن رأيت عيباً فعجل النكير على الصغير والكبير . . . »(٧٦) .

الأنـــاء والعجلـــة

اذا هبت الرياح اضطربت الحشائش اما الأشجار الباسقة فإنها لا تهيب الأعصار فكيف بالريح ؟ والنفوس مثلها كمثل غيرها من الأشياء ، فيها الرزين المشين وفيها الجوف الهواء . فمن النفوس ما يحركه أقل شيء فتستعجل بالأمر ومنها ما تعمل بتروي وأناة وذو الأناة في غالب الأحيان يدرك ما لا يدركه ذو العجلة إذ بالتأني يرى الانسان طريقه ويهتدي لصالحه والمستعجل محروم عن هذه الفائدة فكثيراً ما يزلق حيث لا ينجيه ولقد احسن الشاعر حيث قال :

قـد يَدرِك المتـأني بعض حاجتـه   وقد يكون مع المستعجلِ الـزللُ

والأناة غير التكاسل فالمتكاسل بعد معرفة طريق الحركة لا يتحرك والمتأني انما لا يقدم حتى يعرف وجه الحركة وكيف ينبغي .

والأسلام يحب الأناة ويكره العجلة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**العجلة من الشيطان والتأني من الله**)(٧٧) .

وفي الحديث : **(انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقال : اصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها ؟ فقال : هذا حادث قد حدث مكانكم ، فطار جتى جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئاً ، ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد ، واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال : ان نبياً قد ولد البارحة ما حملة انثى قط ولا رضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذا فَيْأَسُوا ان تعبد الاصنام بعـد هذه الليلة ولكن ائتـوا بني آدم من قبل العجلة والخفة)**(٧٨) .

فإن من يعجل في الكلام أو الحركة أو العمل ربما افسد اكثر مما يفسد عُبَّاد الأصنام وكثيراً ما يقع العجلان في اغلاط ومشكلات لا ينجو منها مدى عمره فاللازم ان يجنح الانسان العاقل الى الاناة والتأني ويترك الاستعجال والخفة .

حُسْـــنُ الظـــن

القلب كالأرض منها مالحة اجاجة ، ومنها عذبة طيبة فالأرض المالَحة لا تنبت إلا نكداً والطيبة تؤتي نباتاً خضراً . . . وهكذا القلب منه طيب لا ينبت إلا الطيب ومنه خبيث لا يخرج إلا الخبيث فالقلب الطيب قوله طيب ونبته طيبة وفكره طيب والخبيث بالعكس .

ومن شؤون القلب الظن بالنسبة الى الناس والى خالق الناس ، فذو القلب الطيب لا يظن بالناس إلا خيراً ولا يظن بإله الناس إلا خيراً وعلى ضده خبيث القلب .

إنّ رأى الأول شيئاً مريباً حمله على محمل صحيح وإنْ سمع كلاماً بذيئاً قال : لَعْلّي لم افهم معنى الكلام والمتكلم يريد غير ما فهمت ، وإنْ نظر الى سيئة عفى وقال في صاحبه خيراً . . وهكذا وبذلك يصفـو قلبه وتنير نفسه ويخلص ذهنه فهو في راحة والناس منه في راحة وكذا بالنسبة الى خالق الأرض والسماء الإلـــه الحكيم العليم وإنْ سمع شيئاً سلّم امره الى الله وقال : الله اعلم بما يعمل وان ذاق شيئاً مراً قال : ﴿ **وعسىٰ أنْ تكرهوا شيئاً وهو خَيْر لكم**﴾[٢٧] وهكذا . . . وهكذا . . .

وذو القلب الخبيث على الضد من ذلك كله ، فهو سيء الظن بالناس سيء الظن بالله تعالى وهو بهذا يؤذي نفسه اكثر مما يؤذي مَنْ أساء بهم الظن .

والاسلام يحب الطيب من كـل شيء : ﴿ **وهُدُوا الى الـطيب من القول . .** . ﴾[٢٨] وهكذا يريد ان يكون المسلم حسن الظن ، يقـول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنـوا إجتنبوا كثيـراً من الظن ان بعض الـظنّ**

إثم﴾[٢٩] . إجتنبوا الكثير لأن بعضه رديء ، كمن يجتنب أدوية ، لأنه يعلم أن فيها سُمّاً قاتلاً وقال تعالى في آية اخرى : ﴿ **وظننتُم ظَنَّ السوءِ وكنتم قوماً بوراً**﴾[٣٠] هذا بالنسبة الى سوء الظن بالناس ، اما سوء الظن بالله تعالى فاستمع : ﴿ **ذلك ظَنُّكم الذي ظننتُم بربِّكم أرْدَاكم !** ﴾[٣١] ان الظن السيء بالرب يردي الانسان !

ثم ماذا يستفيد سيء الظن انه يسيء الى نفسه من حيث يحتسب انه يحسن فاذا استفسرتَ منه عن وجه هذه الظنون ؟ يقول : لئلا اقع في البئر ! عجباً ، انه في البئر وقع وافترسه الاسد الذي هرب منه اذ لا يزال الانسان ليسيء الظن حتى يظهر أمره على الناس وعند ذلك ينفر منه كل قريب وبعيد ويبقى في وحشة وعزلة . . .

ولو نظرت الى احوال الناس ، رأيت هذا الكلام صادقاً فكل سيء الظن ، بعيد متنفر منه ، وبالعكس ، كل حسن الظن قريب محبوب لدى الجميع .

فإذ يوصينا الاسلام بحسن الظن ، لا يريد من وراء ذلك الاحسان الى الآخرين ، فقط ، وإنما يهتم بالاحسان الينا اكثر . . فأكثر .

يقول الامام امير لمؤمنين عليه السلام : « **ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءاً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً** »(٧٩) .

ولا يزال سيء الظن يمادي في غيه حتى يظن كل خير شراً فمن سلّم عليه رآه هازئاً ، أو متكبراً في سلامه ومَنْ ترك السلام عليه اقام الدنيا واقعدها نقمة عليه فبالله قل له : ماذا يصنع من يلاقيك إذاً ؟ وهذا بالعكس من وصية الامام (على احسنه) فإن ترددتَ إنه سبَّك أو رحب بك ، أو سلّم عليك ، فقل : سَلَّم ، لأنه أحسن من الترحيب . . وهكذا يُلْقي الاسلام في القلوب المحبة ويحصد الشوك والحسد كي يسلم المجتمع من الانهيار والبوار .

والى جنب ما وصى الاسلام بحسن الظن ، يُوصي بالتنكب عن مواضع التهمة فهذا لا يضع نفسه موضعاً مثيراً للشكوك وذلك لا يسيء الظن أية جنة احسن من هذه ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **(إتقوا مواقع التهم)**(٨٠) وفي الحديث : **(ومن جلس مجالس السوء أُتهم)** .

وفي الحديث الآتي أروع الأمثلة ، لحياطة الاسلام عن مثار الشكوك .

روي : **(ان النبي صلى الله عليه ووآله وسلم كان يكلم زوجته صفية بنت حي بن اخطب فمر به رجل من الانصار فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا فلان هذه زوجتي صفية ، فقال : يا رسول الله ، أفنظن بك إلا خيراً ؟! قال : ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فخشيت ان يدخل عليك)**(٨١) .

وقد حدث قريباً ، حادث يدل على مدى الاشتباهات التي تقع من جراء سوء الظن واليك القصة : « كنت رجلاً اسكن إحدى الغرف في المحلات المعدة للسكنى وذات ليلة بينما كنت نائماً ، سمعت صوتاً رقيقاً كأنه صوت شاب يسنغيث إستغاثة مشجية ويقول : لا تفعل لا تفعل آخ آخ خلني خلني . حرقت حرقت وهكذا كان يكرر مثل هذه العبارات . . فلم أشك في انه عملٍ قبيح فقمت من فراشي وذهبت الى الغرفة التي كانت فيها القصة ، ومن شِق الباب نظرت فاذا رجل يقلع الزفت الذي كان وضعه على قرعة ولده .! قال : وهنالك تيقينت ان كل شيء هو خلاف الواقع » .

لكن ينبغي للعاقل ان لا يوقع نفسه في مثل هذه المآزق حتى يُساء به الظن وان فعل فهو السبب ولذا ورد عن الامام عليه السلام : **« مَنْ عَرَّض نفسه للتهمة فلا يلومَنَّ مَنْ أساء به الظن »**(٨٢) .

إنه هو السبب فكيف يلوم غيره ؟

الحِـــلمْ والْغَضَب

إذا هبت الرياح طارت الأوراق وما كمثلها من الأشياء الرقاق . . أما الثِقال فلا تحركها الرياح ولا الاعاصير . . وكذلك النفس منهـا حليمة لا تتحرك بشتم شاتم أو نهب لص أو إيذاء أحمق . . ومنها خفيفة تزعجها ادنى شوكة وأقل كلمة . .

والانسان كالغطاء على مواهبه وكوامنه وربما رأى الشخص غطاء براقاً وقالباً مزخرفاً فاذا استكنه تحته اذهله ما انطوى عليه من شيء تافه وأمر لا ثمن له والعكس بالعكس وكذلك الانسان فقد يكون مزوداً بمنظر جميل ولباقة آخاذة وإذا به عند الشدائد كحشيش في بحر مواج لا يقر له قرار ولا يسكن له هائج وقد يكون على الضد من ذلك فلا منظر له بهيج ولا منطق له خلال وهو في الشدائد والمشكلات كالجبل الراسي ، لا يتحرك كأنما فُطِر من صلد ، وكأنَّ فؤاده من زُبرُ الحديد .

والاسلام يريد من الانسان ، تنقيـة ملكاته ، وتقويم ما أعوًج منها ، حتى يكون إنساناً . . . ولذا يحرص على كل فضيلة وينفر عن كل رذيلة . .

وبما أن الحلم من افضل الفضائل نرى الأحاديث كالقطر تنهال على مسامع البشر من النبي وآله الطاهرين تحريضاً على هذه الفضيلة وتحذيراً عن الغضب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه : (**اللهم اغنني بالعلم وزيّني بالحلم**) فإنه زينة ونعمة الزينة هي ان الانسان بالحلم يرتقي مستوى إجتماعياً ولهذا زود الله انبياءه بالحلم فيما زودهم بها من فضـائل ومحاسن ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**خمس من سنن المرسلين . . . . وعدَّ منها الحلم**)(٨٣) ان الناس ليفرون من النضوب فرارهم من

الاسد فإنه ينكد عيشهم ويكدر صفوهم ويخرق هدوءهم باخلاقه الشرسة فكيف يكون مثله نبياً ؟ أم كيف يرتفع مثله عند الله منزلة وعد الناس مكانة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ابتغوا الرفعة عند الله ؟ قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك)**(٨٤) .

انها جواهر الاخلاق يقطعك انسان وأنت تصله ؟! اننا لا نصل من يصلنا فكيف بمن يقطع عنا ؟! واننا لنحرم من يعطينا فكيف بمن يحرمنا ؟! واننا نجهل على من يحلم عنا فكيف بمن يجهل علينا ؟! ولكن الاسلام يريدنا على غير ما نكون عليه من صفات ذميمة وانه يريد ان نكون من عباد الله الصالحين والبشر الخيرين .

فهذا هو الذي يحبه الاسلام ويريد ان يكون المسلم هكذا ويحبه الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان الله يحب الحي الحليم ويبغض الفاحش البذيء)**(٨٥) وهذا ليس لله فقط . بل عامة الناس يحبون الحي الحليم ، ويبغضون الفاحش البذيء ، ولو لم يقابلوه مرة في عمرهم ، أرأيت لو قيل لك فلان حليم ، فأنت تحبه لهذه الصفة الحسنة ، ولو قيل : فلان فاحش ابغضته ولو لم تعرفه !

والحلم يؤدي بالانسان الى درجة العبادة وأية عبادة افضل من الحلم ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم)**(٨٦) بل العبادة منوطة بالحلم فمن لا حلم له لا يعد عابداً لله تعالى وان صلى وصام قال الامام الرضا عليه السلام : **« لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً »**(٨٧) وبهذا المعنى ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **(ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله ، وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به الناس)**(٨٨) ان من لا تقوى له يعصى والعاصي لا يقبل منه قال تعالى : **﴿ إنما يتقبل الله من المُتقين ﴾**(٣٢) وان مَنْ لا يحلم ،لا بد وان يقع في سباب

وافتراء وباطل ، ومن لا خلق له يعيش مع الناس في جوّ مكفهر من سوء الاخلاق وكل هذه نقص في الاسلام وثلم لتعاليمه .

والناس غالباً يرون ان الخير في كثرة المال والولد ، كلا ! ان كثير المال والولد ربما يعيش نكداً في الدنيا بسوء خلقه وفي الآخرة بسوء عمله ولذا يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام « **ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن ان يكثر علمك ويعظم حلمك**»(٨٩) .

ومن الظريف ان الدنيا حليف الحليم وان تزود ضده بكل نشب وسبب وهذا مُودَع في فطرة الانسان ، فإذا رأيت احداً يسب صاحبه ويغلظ في الكلام منه . ، ورأيت صاحبه يحلم لا بد وأن تميل الى جانب الحليم ، قال الامام الصادق عليه السلام « **كفى بالحلم ناصراً** »(٩٠) وفي الحقيقة انه افضل الناصرين ، ان من يرد ، وان تشفى صدره ، لكنه في خاتمة المطاف لم يربح ، أما من يحلم فإنه لم يتشفَ ، لكن له عاقبة الأمر !

وقد ذم الاسلام الغضب وزجر الغاضب ونصحه بترك هذه الصفة الخبيثة .

قال الامام الصادق عليه السلام : « **ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم . وان احدكم إذا غضب احمرت عيناه ، وانتفخت اوداجه ، ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك** »(٩١) .

ولزوم الأرض لئلا يصطدم الطرفان فيحدث من ذلك جرح أو قتل أو ما اليها .

وربما جر الغضب اشياء لم يكن بالحسبان حتى انه لو خير الغاضب بين كظم غضبه وبين هذه العواقب السيئة لرأى الأول أهون بكثير ، قال الامام الصادق عليه السلام : « **كان ابي عليه السلام يقول : أي شيء اشد من الغضب ؟! ان الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ، ويقذف المحصنة** »(٩٢) .

والغالب ان القتل لا يقع إلا من جراء غضب ، وهكذا كل مفسدة ، ومكروه ، ولذا قال الامام عليه السلام « **الغضب مفتاح كل شر** »(٩٣) بمعنى ان الغضب ينتهي الى كل شر ، لا أن كل شر ينتهي الى الغضب .

والغضب إذا فسح له المجال سيطر على جميع القوى فَشَلَّها حتى انه لا يبقي معه سلطان للعقل اذ إي عاقل يقدم على ما يقدم عليه الغضبان من سب وقذف وجرح وضرب وقتل وما يظهر في ملامحه من آثار منكرة ؟ ولذا يقول الامام عليه السلام : « **من لم يملك غضبه لم يملك عقله**»(٩٤) ويقول في كلام آخر : « **الغضب ممحقة لقلب الحكيم** » ان قلب الحكيم وعاء للحكمة فاذا طاف به الغضب لم يبقَ للحكمة مجال .

انه يظهر في الدنيا بأبشع منظر ويكون في الآخرة من اصحاب النار ، قال عليه السلام : « **ان الرجل ليغضب فما يرضى حتى يدخل النار** »(٩٥) انه لو رضي ورجع وتخلص من ما اقترفه من آثام لكنه يمتد به الغضب ، فيحتقب إجرامات أُخَر وهكذا . . حتى يرد الجحيم .

هذا حال الغضب للأمور الدنيوية ـ كما هو الغالب ـ اما الغضب لله تعالى ـ حسب حدوده ـ فهو من الفضائل : قال امير المؤمنين عليه السلام ـ في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **لا يغضب للدنيا ، وإذا أغضبه الحق لم يصرفه احد ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له** »(٩٦) والانتصار يكون ـ طبعاً ـ بأعلاء كلمة الله .

كظـمُ الغيـظ

الانسان بطبعه يهتاج بما لا يلائمه ، قديساً كان أو شريراً إذ لكل احد ما لا يلائم ملكاته ونظرياته ، وهذا التوتر والاهتياج أول سلسلة من العمل فالرجل الهائج لا بد وان يبدي ما يكنه عصبه بلسان أو يد أو منجل أو تغيير قيافة .

وإذا كان الشخص مالكاً لأعصابه ، مسيطراً على اجهزته يتمكن من إخماد هذه الثائرة : حتى تصبح النار رماداً تذروه الرياح وهذا ما يسمى بكظم الغيظ فهو تَحلُّم لا حلم .

وكظم الغيظ فضيلة كما ان الحلم والعلم . . وما اليهما فضيلة ، يمدح الله عباده المؤمنين بقوله : ﴿ والكَاظِمْينَ الْغَيْظ﴾[٣٣] . ويقول نبي الاسلام العظيم (**من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه**)(٩٧) .

وكظم الغيظ يعقب روحاً وراحة ، وبالعكس الطيش وتنفيذ الهيج فأنهما يعقبان حسرة وندامة إذ لا أقل : من انهيار النفس وتعب البدن ودع عنك ما ينجم عن ذلك كثيراً . . من جرح وأذى وربما حبس وقتل ولذا يقول الامام السجاد عليه السلام : « **ما تجرعت جرعة احب إليَّ من جرعة غيظ لا اكافىء بها صاحبها** »(٩٨) ويقول ولده الامام الباقر عليه السلام ـ لبعض ولده ـ « **يا بني ما من شيء اقر لعين ابيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر وما يسرُّني ان لي بذل نفسي حُمُرُ النِعِم** » (٩٩) .

فإن في شفاء الصدر ذلاً عاجلاً في الدنيا ومرارة آجلة في الآخرة فإن من

ينفذ غيظه لا بد وان يقابل بالمثل وفيه مذلة قال الامام الصادق عليه السلام : **« ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ والكاظمين الغيظ والعَافَين عن الناس والله يحبُ المُحْسنين﴾(٣٤) وأثابه الله مكان غيظه ذلك»**(١٠٠) .

اما ثواب الآخرة فحدث ولا حرج :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما جرع عبد جرعة اعظم اجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى)**(١٠١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى)**(١٠٢) وانه كذلك فربما هاجه احد فيريد الانتقام منه بالغيبة والتهمة وكيل اللوم والذم والتشهير والقذف ، وما اليها . . الى من أغضبه فهو شفاء للغيظ بالمعصية ولا يكون محل هذا إلا النار .

الإنتقام والعفــو

الانسان قد ينقصه الغير في عرض أو مال أو ما اشبه فيهتاج لما فعله ويريد الانتقام منه لكن للانتقام في نظر العقل والعاطفة معياران مختلفان ، فالعقل لا يجيزه في كل مورد إذ كثيراً ما يكون دليلاً على صغر النفس ومهانة الذات مثلاً : الرجل الحكيم لا يقابل السبَّ بالسبِّ ، ولا القَذَف بالقذف ، انه امر سيء سواء صدر بدءاً أو مقابلة ، وهذا بخلاف العاطفة فإنها تميل نحو التنكيل بالبادىء ، وإن كان في ذلك حطاً من قَدَر المُنتقم نفسه .

والاسلام النظيف لا يحب الانتقام إلا في حدود معقولة انه لا يحب الانتقام حسب العاطفة ، وإنما يحبه حسب العقل يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (**إنْ امرؤ عَيّرك بما فيك فلا تُعيَّره بما فيه**)(١٠٣) وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم (**المستبان شيطانان يتهاتران**)(١٠٤) .

نعم لا يريد الاسلام ان يكون الانسان خنوعاً ذليلاً خصوصاً إذا كان سكوته موجباً لتجري المعتدي ولذا يقرر الله الحكيم رد الاعتداء بالمثل يقول : **﴿ فمن اعتدَى عليكم فاعْتَدوا عليه بمثلِ ما اعتدىٰ عليكم﴾**[٣٥] **﴿ إن النفس بالنفس . . . ﴾**[٣٦] .

ومع ذلك . . . فكلما كان مجال للعفو ، فهو افضل في نظر الاسلام واسمى في نظر الدين يقول الله تعالى : **﴿ خُذِ العفوَ وأمُر بالعُرْف ، وأعرض عن الجــاهلين﴾**[٣٧] فليعفــوا وليصفحــوا ، **﴿ وإن تعفــو أقــرب للتقوى﴾**[٣٨] . ان المنتقم ربما يجاوز قدر الاعتداء ، فيكون عمله ابعد عن التقوى ، اما العافي فإنه في نجوة من الافراط ، فهو أقرب الى التقوى وابعد عن نوازع النفس .

وقد حرص نبي الانسانية وآله الأطهار على العفو ، مهما وجد الانسان سبيلاً اليه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ثلاث ـ والذي نفسي بيده إن كنت حالفاً لحلفت عليهّن ـ ما نقصت صدقة من مال فتَصَدَّقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة ، إلا فتح الله عليه باب فقر)**(١٠٥) .

ان أقلبت الدنيا فلا تنقص الصدقة مالاً ، وان ادبرت فهو في نقصٍ تَصَدَّقَ أم لا .

والعفو محبوب لله فهو تعالى يزيد عز الرجل ليس في الآخرة فحسب بل في الدنيا أيضاً ـ وان كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكره هنا لعله لأمور ـ حتى ان الظالم ليَجِّل العافي ، ويعلم زنة نفسه ورجاحة عقله ، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : **(العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله)**(١٠٦) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(قال موسى يا ربِّ اي عبادك اعز عليك ؟ قال : الذي إذا قدر عفى)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ألا أخبركم بخبر خلائق الدنيا والآخرة ؟ العفو عن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاءك من حرمّك)**(١٠٧) أما ما يراه مثل هذا المتخلف في الدنيا فهو شيء ملموس عِزٌ ورِفعةٌ حتى عند الأعداء والخصماء وعيش هنيء رغد . . . واما ما يراه في الآخرة فيقول الإمام السجاد عليه السلام : **« إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي منادٍ أين أهل الفضل قال : فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما فضلكم؟ فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال فيقال لهم : صدقتم ادخلوا الجنة »**(١٠٨)

ولذا قال الامام الصادق : « **ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم اذا جهل عليك** »(١٠٩) .

ومهما فعل الانسان من عفو أو انتقام فإنه كثيراً ما يندم لماذا ما عفوت؟ أو لماذا ما عاقبت ؟! لكن ندم العفو ايسر ، انه ندم ولم يجرح عواطف ، ولم يؤذِ أحداً ، بخلاف ندم العقوبة ، قال الامام أبو عبد الله عليه السلام : « **الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة** »(١١٠)

والعافي ينتصر اخيراً ، وان كان المنتقم يُشفي نفسه ، لكن ما فائدة تَشفّي لا يعقبه نصر ؟ قال ابو الحسن عليه السلام : « **ما التقت فئتان قط إلا نصر اعظمهما عفواً** »(١١١) .

رفقٌ وعُنــفٌ

ربما يعالج الانسان الأمور ـ أيّاً ما كان ـ برفق ومداراة وخليق بهذا الانسان ان ينجح آخر الأمر وان بدأ في النظر بطيئاً أو سخيفاً وربما يعالجه بشدة وعنف وجدير بمثله ان يخفق ولو نجح . فإنه اتعب نفسه وعنَّف وازعج الآخرين ، فالنجاح لا يقدر بما يقدر به نجاح الرفيق وفي غالب الاحيان يكون العنيف مبتعداً مجانباً فلا يحظى بما حظي به اللين المداري ولذا يقول الله تعالى ـ مخاطباً لرسوله : ﴿ **فبما رحمةً من الله لِنتَ لهم ! ولو كنت فظاً غَلّيظ القلْب لانفَضُوا من حولك**﴾[٣٩] ان اللين والرفق يفعلان ما لا يفعله الدينار والدرهم ان الفَظَّ العنيف لا صديق له وان انفق حتى اسرف واللين الرفيق يكتنفه الاخلاء وان كان فقيراً مُعَدَماً كيف لا والدينار حظ الجسم ، واللين حظ الروح ؟ .

وفي احاديث النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام كثرة مَهَوُلَةَ من الحثّ على الرفق و المداراة لأنهما اساس كثير من السعادات الدنيوية والآخروية واليك بعضها :

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لو كان الرفق خلقاً يُرىٰ ما كان فيما خلق الله شيء احسن منه**)(١١٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلاّ شانه**)(١١٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إن لكل شيء قفلاً وقفل الايمان الرفق**)(١١٤) فمن رفق أقفل على ايمانه لا بسرقة شيطان أو نفس أما العنيف فإيمانه عرضة للسرقة والنهب .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : **(إن الله عزّ وجلّ رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)(١١٥)** .

ويقول صلى الله عليـه وآله وسلم : **(مـا اصطحب اثنـان إلا كان اعظمهما أجراً واحبهما الى الله عزّ وجلّ: ارفقهما بصاحبه)(١١٦)** .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : **(الرفق يُمنْ والخرق شؤم)(١١٧)**

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : **(من كان رفيقاً في امره ، نال ما يريـده من الناس)(١١٨)** .

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : **(اذا احب ألله اهل بيت ادخل عليهم الرفق)(١١٩)**

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم : **(مَنْ أعطي حظه من الـرفق ، اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومَنْ حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والآخرة)(١٢٠)**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :**(إن في الرفق الزيادة والبركة ، ومن يحرم الرفق يحرم الخير)(١٢١)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أتدرون من يَحرُمُ على النار ؟ كل هين لين سهل قريب)(١٢٢)** .

وقال الامام الكاظم عليه السلام : **« الرفق نصف العيش »(١٢٣)** اذ العيش بالروح والجسد والرفق يؤمن الناحية الـروحية . ، فتبقى النـاحية الجسدية .

وجرى بين رجل وبين قوم كلام فقال له عليه السلام : **« ارفق بهم فإن كفر أحدكم في غضبه ، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه »(١٢٤)**

وهذه الأحاديث لا تحتاج الى تحليل فلسفي ، أو تقريب منطقي أنها امور محسوسة ملموسة ، منتهى الأمر ، ان تطبيق الرفق العملي صعب جداً .

المُـدَارَاة

ومن الرفق المدا راة مع الناس بحسن صحبتهم واحتمـال اذاهم ، وعدم مجابهتهم بما يكرهون ، وليس هذا من النفاق كما يزعمه الغُرّ ، فالنفاق هو ان يكون الانسان ذا وجهين ، يلقى صاحبه بوجه ويغيب عنه بوجه . . . والمداراة ليست منه في شيء ، انها اللين مع الناس .

والمداراة تحتاج الى نفس جسور ، وعقل رزين ، وحِجى راجح ، فأنه كيف يتسنى للانسان ان يلاقي الناس برفق ، وفيهم الخرق والتحـامل ؟. ولكن عاقبة المداراة حلوة ، كعواقب الاخلاق الفاضلة ، بصورة عامة . ان من لا يتحمل من الناس جفاهم وخرقهم لا بد وان يختار احد طرفين : إما الفرار عن الناس ، وفيه كبت مواهب نفسه التي تنمو بالاجتماع والتعاون ، وإنسحاب عن ميدان الانسانية ، الى غاب الحيوان ! وإما الاصطدام بالناس في كل صغيرة وكبيرة و فيه من الارهاق والنصب قدر كبير ، يضئل امامه تحمل خرقهم .

ثم ان المداري نفسه في راحة اذا النفس المتفضلة فرحة مسرورة ، اما غيره فقد خسر راحة الروح وفضيلة النفس .

ولذا نرى الاسلام حَثَّ على هذه الفضيلة آكدَ الحثِّ قال النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم **(المـداراة نصف الايمـان والـرفـق بهم نـصف العيش)(١٢٥)** وقال : **(ثلاث من لم يكن فيه لم يُرَ له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وخلق يـداري بـه النـاس ، وحلم يـرد بـه جهـل الجـاهـل)(١٢٦)** وقـال : **(امـرني ربي بمـداراة النـاس كـما أمـرني بالفرائض)(١٢٧)** .

وقال الباقر عليه السلام: (في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام. يا موسى اكتم مكتوم سري في سريتك واظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي) (١٢٨) .

وقال الصادق عليه السلام : (جاء جبرائيل الى النبي (ص) فقال يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول دار خلقي) (١٢٩) .

وقال عليه السلام : (إنَّ قوماً من الناس قَلَّتْ مداراتهم للناس ففروا من قريش ، وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس . وإنَّ قوماً من غير قريش حَسُنَتْ مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع . ثم قال : من كَفَّ يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه ايدي كثيرة) (١٣٠) .

إنه الحق ، فإن المداري يداري وهو واحد ويداريه كثيرون . وكذلك من خرق مع الناس جرَّ على نفسه خرق جماعات ، وان قابلهم بخرقة وهو فرد . . ومن كان على شك من مدى صدق هذا الكلام فلينظر الى المداري وغيره ثم يرى ايهما في راحة وسعادة وأيهما في شقاء وهدىً .

حُسْـــنُ الخُـــلُـق

الصفات الحسنة تجمعها ملكة في النفس تبعث على الاستقامة في كل مورد وتسمى تلك بـ (حسن الخلق) كما ان الصفات الذميمة تشملها صفة عامة هي (سوء الخلق) .

والاسلام كما يحثّ على كل صفة صفة من الفضائل ويزجر عن كل صفة صفة من الرذائل . كذلك يُحرض على تجميع الصفات الحسنة وينهي عن تجميع الصفات الذميمة .

وهذه الضفة اعني حسن الخلق من أشد الملكات الحسنة صعوبة على النفس اذ طِيْبُ الكلام وحسن الجوار والرفق والمداراة وحسن العشرة ، وما اليها . كلها تتحمل مسؤولية نفسها اما حسن الخلق فإنه يتحمل مسؤولية جميع الصفات .

ولذا ورد في مدحه الشيء الكثير :

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأم حبيبة ـ : (**ان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة**)(١٣١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم**)(١٣٢)

وقال (صلى الله عليه وآلهوسلم : (**اكثر ما يلج به امتي الجنة ، تقوى الله تحسن الخلق**)(١٣٣)

وقال صلى الله عليـه وآله وسلم : (**أفـاضِلُكم : أحسنكم اخلاقـاً الموطؤون اكنافاً الذين يَألَفون ويُؤْلَفُون**)(١٣٤) .

وقــال صــلى الله عليــه ا وآلــه وسلم : (حسن الخلق خلق الله الأعظم)(١٣٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنّ احبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة احسنكم خلقاً)(١٣٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنَّ الخلق الحسن يميت الخطيئة ، كما تميت الشمس الجليد)(١٣٧) ومعنى يميت الخطيئة : يذيبها .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنَّ العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة واشرف المنازل وإنه يُضَعِّف العبادة)(١٣٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما يوضع في ميزان امرىء يوم القيامة افضل من حسن الخلق)(١٣٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس باموالكم فألقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر)(١٤٠) .

وقــال صلى الله عليـه وآله وسلم : (ان الله استخلص هـذا الدين لنفسه ، ولا يصلح لدينكم إلا السخـاء وحسن الخلق ألا فزيِّنـوا دينكم بهما)(١٤١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ثلاث مَنْ لم يكن فيه واحدة منهّن ، فلا يُعْتَّد بشيء من علمه . تقوى يحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السيئة وخلق يعيش به في الناس)(١٤٢) .

وسألته أم حبيبة : عن امرأة ، يكون لها زوجان في الدنيا ، فتموت ويموتـان ويدخلان الجنة لأيهما هي ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (انها لأحسنهما خلقاً)(١٤٣) .

وقد مثل صلى الله عليه وآله وسلم لحسن الخلق وسوء الخق أروع الأمثلة : قال صلى الله عليه وآله وسلم : (لما خلق الله الايمان قال : أللهم

قوني ! فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر ، قال : اللهم قوني ! فقواه بالبخل وسوء الخلق)(١٤٤) فالايمان يتقوّىٰ بحسن الخلق والسخاء ، ولِمَ لا يكون كذلك ؟ أليسا من الايمانْ . والكفر يتقوّىٰ بسوء الخلق والبخل ، ولِمَ لا يكون كذلك ؟ اليسا من رغبات النفس والشيطان .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل فوق ذلك ان الاخلاق السيئة لا بدّوأن تجرُّ الانسان الى النار ، قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تُؤْذي جيرانها بلسانها ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا خير فيها هي من أهل النار)(١٤٥) ولِمَ لا ؟ أليست الأذية محرمة والحرام يجرُّ الى النار .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنمْ)(١٤٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل)(١٤٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (سوء الخلق ذنب لا يُغفَرَ) (١٤٨) لأنـه لا يقلع صاحبه عنه فيموت عاصياً .

وقال صلى الله عليه وآله و وسلم : (أبىٰ الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة ! قيل وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : لأنه أذا تاب من ذنب وقع في ذنب اعظم منه)(١٤٩) انه يتوب من إيذائه أهله ، ويتوب من ذلك فيقع في إيذاء أبويه . . . وهكذا . . وليس هذا من الترتيب العقلي بل الترتيب الطبعي الخارجي ، ولذا فليس له غفران إلا بالانقلاع عن أصل سوء الخلق .

وفي كلام الأئمة عليهم السلام الشيء الكثير عن هذين الوصفين .

قال الامام الباقر عليه السلام : « إنَّ اكمـل المؤمنين إيمـاناً احسنهم خلقاً »(١٥٠) .

وقال عليه السلام : « أتىٰ رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال يا رسول الله أوصني فكان في ما أوصاه أنْ قال إلقَ أخاك بوجه منبسط »(١٥١)

وقال الامام الصادق عليه السلام : « ما يقدم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض احب الى الله تعالى من ان يسع الناس بخلقه »(١٥٢) .

وقال عليه السلام : « البر وحسن الخلق يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار »(١٥٣) .

وقال عليه السلام : « إنَّ الله تبارك وتعالى ، ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق ، كما يعطي المجاهد في سبيل الله ، يغدو عليه ويروح »(١٥٤) .

وقال عليه السلام : « ثلاث مَنْ أتىٰ الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة : الإنفاق من اقتار ، والبِشْر لجميع العالم ، والإنصاف من نفسه »(١٥٥) .

وقال عليه السلام : « صنائع المعروف وحسن البِشْر يكسبان المحبة ويدخلان الجنة ، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار »(١٥٦) .

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

العَداوَة وفُرُوعُها

الانسان الكبير لا يشتغل بالْمحقرّات انه اكبر من ذلك ولا وقت له يصرفه في التوافه ، ان وقته أثمن منها ولذا نرى ان العظماء لا يأبهون بكلمة تجرح كرامة النفس أو عداوة أورثتها نفس صغيرة ، وكلما كانت النفس اكبر وكان الشخص اعظم كان عفوه وصفحه اكثر ، وبالعكس صِغار الناس ذو نفوس ضيقة وعقول خفيفة لا تشتغل إلا بمعاداة فلان وتتبع عورات فلان . . .

والعداوة غالباً لا تقطن إلا في النفوس العَفِنة ولا تَوُرِق إلا في الأرواح القذرة وهي وفروعها ، من حقد وضرب وفحش ولعن وطعن وتربص للانتقام الى غيرها . . كلها دليل على وساخة النفس والتياثها بالأقذار مما ليس إلا من شأن رجل الشارع العديم الشرف .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(المؤمن ليس بحقود)**(١٥٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما كان جبرائيل يأتيني إلا قال يا محمد إتقِ شحناء الرجال وعداوتهم)**(١٥٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما عهد الى جبرائيل قط في شيء ما عهد اليَّ في معاداة الرجال)**(١٥٩) .

الرجل العادي يحتاج الى إتقاء شحناء الرجال حتى يعيش فكيف بنبي عظيم يريد ان يبث الدعاية الى كل خير وفضيلة ؟ وهذا تعليم جليل لمن يريد توجيه الناس انه يلزم ان يجتنب جهده عن معاداتهم إذ القيام بالتوجيه كافٍ في

جلب عـداوات من صِغار النفـوس وضِعـاف الأرواح ، فليَتقِ عن جلب عداوات بما يصنعه بنفسه !

ثم إن العداوة لا تسبب إلا الخسارة يقول الشاعر : انك لا تجني من الشوك العنب ، ولذا قال الامام الصادق عليه السلام : « **من زرع العداوة حصد ما بذر** »(١٦٠) .

وقد ارصد الاسلام لمكافحة العداوة وثمراتها احاديث كثيرة تـرغيبية وترهيبية ليأمن المجتمع الاسلامي من هذه الثمار البشعة .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**ليس المؤمن بالطعّان ، ولا اللعّان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء**)(١٦١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إياكم والفحش ، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش**)(١٦٢) .

وقـال صلى الله عليـه وآله وسلم : (**الجنـة حرام عـلى فـاحش ان يدخلها**)((١٦٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء**)(١٦٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق**)(١٦٥) والبيان كشف ما لا يجوز كشفه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**اربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى** - وعد منهم - **رجلاً يسيل فوه قيحاً هو من كان في الدنيـا فاحشاً**)(١٦٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة منهم**)(١٦٧) .

وقال صلى اللهعليه وآله وسلم : (**ان الله حَرَّم الجنة على كل فحّاش**

بذيء ، قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه)(١٦٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه فإنه لِغيِّه أو شرك شيطان)(١٦٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله ليبغض الفاحش البذيء والسائل المُلْحِف) (١٧٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه)(١٧١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (سِباب المؤمن كالمشرف على الهلكة)(١٧٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (المتسابان شيطانان متعاديان ومتهاتران)(١٧٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (سِباب المؤمن فَسُوق وقِتاله كُفرْ وأكْل لحمه معصية وحُرْمة ماله كحرمة دمه)(١٧٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة الذين يُكْرَمون إتقاء شرهم)(١٧٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (المؤمن ليس بِلعَّان)(١٧٦) .

أتريد أكثر من هذا ؟ إنَّ مَنْ يُقَوِّم الحق تكفيه واحدة منها ، ومن لا يعتدل لم تكفِه مجلدات .

وللأئمة من أهل البيت عليهم السلام احاديث بهذا النسق واليك بعضها :

قال الصادق عليه السلام : « من علامات شرك الشيطان الذي لا يُشَك فيه ان يكون فحّاشاً لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه »(١٧٧) .

وقال عليه السلام : « البذاء من الجفاء والجفاء في النار »(١٧٨) .

وقال عليه السلام : « **من خاف الناس لسانه فهو في النار** »(١٧٩) .

وقال عليه السـلام : « **إنَّ ابغض خلق الله تعالى عبـد إتقىٰ الناس لسانـه** » .

وقال الكاظم عليه السلام : « **في رجلين يتسابان البادىء منهما أظلم وَوِزْرُه وَوِزْرُ صاحبه عليه ما لم يعتذر الى المظلوم** »(١٨٠) .

وقال الباقر عليه السلام : « **ان اللعنة إذا خرجت من في صاحبهـا ترددت بينهما فإن وجدت مساغاً وإلا رجعت الى صاحبها** »(١٨١) .

وقال عليه السلام : « **إياكم والطعن على المؤمنين** »(١٨٢) .

وقال عليه السلام : « **ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات شر ميتة وكان قمناً ألا يرجع الى الخير** »(١٨٣) .

وليس عدم اللعن والطعن مختصاً بالانسان بل الاسلام ينزه الفرد من ان يخرج من فيه لَعْنٌ اصلاً وان كان على حيوان أو جماد ، أليس الاسلام دين النظافة والطهارة في اللسان والعمل والقلب ؟ وأليس اللعن قذراً مهما كان الملعون جماداً أو حيواناً أو إنساناً ؟ إذاً فالاسلام يمنع عنه فقد روي : (**ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انكر على امرأة لعنت ناقة وعلى رجل لعن بعيراً**)(١٨٤) بل فوق ذلك ، ففي الحديث : (**انه ما لَعَن احد الأرض إلا قالت : اللعن على أعصانا لله**)(١٨٥) ومَنْ أعصاهما ؟ انه اللاعن ، فالأرض مطيعة لأمر ربها : ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طَوْعاً أو كُرْهاً : قالتا : أتينا طائعين**﴾(٤٠) .

وهكذا يريد الاسلام ان يهذب امته حتى لا يبدر منهم ولا لفظ جافٍ وليس هذا فحسب ، بل يأخذ الاسلام جانب الايجاب شوطاً آخر ، فيحبذ دعاء الشخص للآخر وبذلك تتأكّد الأُخوة وتَقْوىٰ الصلة وينقلع جذر العداوة عن النفوس ، فإن من يتعاهد نفسه بالدعاء لشخص لا بد وأن تلين نفسه الى ذكره ، وتتصل بنفسه ، فللنفوس امواج تتصل كما إنَّ إلقاء الحجر في الماء

يحدث امواجاً ، ولذا من دعا لاخيه بظهر الغيب ، لا يمضي زمان ، حتى يحبه وبذلك يربح خير الآخرة ، مع ارتياح النفس في الدنيا (**المؤمن يدعو لأخيه مظهر الغيب فيقول له الملك : آمين ويقول العزيز الجبار : ولك مثلاً ما سألت وقد أُعطيت ما سألت بحبك إياه**)(١٨٦)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**يُستجاب للرجل في اخيه ، ما لا يُستجاب له في نفسه**)(١٨٧) .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام « **ان الملائكة اذا سمعوا المؤمن يدعو لاخيه المؤمن بظهر الغيب ، أو يذكره بخير قالوا : نعم الأخ انت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بالخِير ؟ قد اعطاك الله عز وجل ما سألتَ له ، واثنى عليك مثل ما اثنيت عليه ، ولك الفضل عليه** »(١٨٨) .

وافضل من الدعاء للحي الدعاء للميت انه انقطع عن الدنيا ويتحسر على ما قدمت يداه ، وليس له مغيث ولا مجير ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (**مثل الميت في قبره مثل الغريق ، يتعلق بكل شيء ، ينتظر دعوة من ولد أو والد وأخ أو قريب ، وانه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الاحياء من الأنوار مثل الجبال ، وهو للأموات بمنزلة الهدايا للاحياء ، فيدخل الملك على الميت ، معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان ، من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحي بالهدية**)(١٨٩) .

وبالعكس الدعاء على الأموات ولعنهم فإن وِزْره عظيم !

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا تسبوا الأموات فإنهم قد افضوا الى ما قدموا**)(١٩٠) .

ثم لَعْن الميت والدعاء عليه : يدل على خِسَة نفس الداعي اللاعن وإلا فما يأتي من الميت ؟ وأي نفع في الدعاء عليه ولَعْنه ؟

العُجْـــب

الانسان مجبول على حُبِّ الخير والسعي على تحصيله أيما كان نوعه دنيوياً أو أخروياً فهو يسعى لتحصيل الشرف والمجد والعز والجاه كما يسعى لتحصيل الثواب والرضوان والفضيلة والملكات الحسنة وهذه الفطرة هي التي تسوق الانسان نحـو الكمال وتسبب رقي المجتمعـات ، وتُباري الامم في الفضيلة أو الجاه ولولاها لاندثر عَقْد الاجتمـاع وتلاشت المـدنية واخـذت الانسانية تتقهقر الى حيث الفناء والانهيار .

والاسلام يحث على تربية هذه الفطرة في النفس مع توجيهها نحو الخير فهو يرغب في أنْ يرىٰ الانسان نفسه دون كماله المنشود ، حتى يجاهد ويجتهد ويكل ويعمد مدى حياته وقد ارصد الاسلام لهذه الغاية آيات وروايات وذم ما يخالف هذه الفطرة التي تُسمى بـ (العجب) ومعناه : ان يرى الانسان لنفسه كمالاً من غير فرق بين ان يكون متخيله حاصلاً له أم مجرد خيال !

ان العجب يَشِل القِوىٰ الخيرَّة ويُوجب الكسل والبطالة ويوقف النشاط عن العمل وبذلك يتدهور الانسان الى حيث النقص ! أليس مَنْ يرى أنه عَلِم القدر الكافي من العلوم يقف عند حده ولا يتعلم ؟ أم أليس مَنْ يرى انه حصل كماله المنشود ، لا يجري نحو الكمال ؟ أم أليس من يتخيل انه عَبَدَ الله حَقَّ عبادته ، يتكاسل عن الطاعة بعد ذلك ؟ وهكذا .

إذاً فليس عجيباً من الاسلام ان يجعل العجب من المُهلِكات ، إنه مهلكة للدين والدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ثلاث مُهلِكات : شُحٌّ مُطاع ، وهَوىً مُتّبَع ، وإِعْجاب المرء بنفسه)**(١٩١) ويلزم على الانسان ان يفر من هؤلاء ، حتى لا يتلوث بجرعتهم ، ولا يكتسب من

اخلاقهم ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **(إذا رأيت شُحّاً مُطاعاً وهوى مُتّبعاً ، وإعْجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك)(١٩٢)** .

والعجب في نظر الاسلام اعظم من الذنب ان المذنب يذنب وهو يعلم انه مذنب فلا يفتي حتى ينقلع ويتوب . اما المعجب بنفسه ، فأنه لا يرى لنفسه ذنباً حتى يتوب فهو كالجاهل المركب الذي يرى نفسه عالماً فلا يتعلم ! وخير منه الجاهل البسيط المعترف بجهله ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب)(١٩٣)** المذنب يرى نفسه مقصراً فيجاهد لرفع ذنبه ويتذكر ربه اما ذو العجب فهو لا يتذكر الله إلا قليلاً !

والأحاديث في ذم العجب كثيرة واليك نبذ منها :

في الحديث : **(بينما موسى عليه السلام جالس إذ أقبل عليه إبليس وعليه بُرْنُس ذو الوان فلما دنا منه خلع البرنس وقام الى موسى عليه السلام فسلم عليه فقال له موسى عليه السلام : مَنْ أنت ؟ فقال أنا إبليس قال عليه السلام أنت ، فلا قَرَّب الله دارك ، قال : إني إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من الله ، فقال له موسى فما هذا البرنس ؟ قال به اختطف قلوب بني آدم فقال موسى : فاخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذتَ عليه ؟ قال إذا أَعْجبته نفسه واستكْثَر عمله وصَغُر في عينيه ذَنْبُهُ)(١٩٤)** .

وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(قال الله عزّ وجل : ﴿ يا داود بَشرِّ المذنبين وأنذُرْ الصِّديقين﴾ قال : كيف أُبَشِّر المذنبين ، وأُنذِر الصِّديقين ؟! قال يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب ! وأنذر الصديقين أنْ لا يُعْجبَوا بأعمالهم ، فأنه ليس عبد أ نصِبه للحساب إلا هلك)(١٩٥)** والصِدِّيق مهما لم يبلغ العصمة لا بد وانه اقترف إثماً في حضرة الملك العلي الكبير والاثم إذا أُخِذ به هلك صاحبه .

قال الامام الباقر عليه السلام : **(دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد ، والفاسق صِدِّيق ، والعابد فاسق . وذلك**

انه يدخل العابد المسجد مُدِّلاً بعبادته يَدِل بها فتكون فكرته في ذلك ، وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله عزّ وجلّ مما صنع من الذنوب »(١٩٦) فيأثم العابد ، ويَطْهرُ الفاسق . وقال الامام الصادق عليه السلام : « ان الله علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب ابداً »(١٩٧) وقال عليه السلام : « من دخله العجب هلك »(١٩٨) وقال عليه السلام : « إنَّ الرجل لَيَذْنِب الذنب فيندم عليه .. ويعمل العمل فيسره ذلك ، فيتراخىٰ عن حاله تلك ... فلئن يكون على حالــه تلك خير له مما دخل فيه »(١٩٩) وقال عليه السلام : « العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له !!! »(٢٠٠) .

وقيل له عليه السلام : « الرجل يعمل العمل وهو خائف مُشفِق ثم يعمل شيئاً من البرِّ فيدخله شِبْه من العجب به ؟ فقال عليه السلام : « هو في الحالة الأولى وهو خائف احسن منه في حال عجبه »(٢٠١) .

وبالعكس من العجب إنكسار النفس ورؤ يتها دون مرتبة الكمال فإنه فطري البشر ، وهو سبب رقيهم في ميادين العلم والعمل والعبادة والزهادة .. في الحديث : (ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام أنْ يا موسى أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي ؟ قال : يا ربِّ ولِمَ ذلك فأوحى الله تبارك وتعالى اليه : اني قَلبّت عبادي ظهراً لبطن فلم اجد فيهم أحداً أذلّ نفساً لي منك ، يا موسى ، انك إذا صليت وضعت خدك على التراب)(٢٠٢)

التكبّـرُ والتواضـع

ان النفس البشرية تحب السمو المادي والأدبي . ولا يخلو من هذه الغريزة فرد ولا جماعة . . ولكنه قد يسيء في استغلال هذه الملكة ، فيصرفها في مصارف ضارة لا تؤتي ثمارها إلا بشعاً مراً وكأنها من رؤوس الشياطين ، وبذلك تتقهقر الكمالات والملكات الخيرة الى الوراء بالعكس مما زعم صاحبها من إنها تدفعه الى الامام .

وللنفس ميزان يوزن بها السمو والانحطاط والرفعة والضعة فاذا دخله نقص أو انحـراف ، أوجب خللاً في الكيـل والوزن وخيـالاً في المقـايسـة والموازنة . . . ان كل نفس لا بد وان يكون لها مقدار من الثقل أو الخفة ، فإرادة ان ترى اثقل أو اخف مداجات ورياء ومع ذلك فصعوبة يتحملهـا الانسان بلا أي فائدة .

ومصيبة المتكبر هذه :

انه ضَيّع مقياس نفسه ، فيريد ان ينفعها من حيث يعاكسـه القدر فيضرها .

ولا يقال : كبر أو تكبر أو كبرياء ، إلا إذا زاد الشخص في مقداره زيادة باطلة لا يسندها الحق ولا يقرها المنطق . . . كما لا يقال : مهانة وذلة وابتذال ، إلا إذا نقص الشخص في مقداره نقصاناً مخالفاً للحقيقة والواقع . . وكلاهما انحراف عن الواقع وزيغ عن الوسط العدل ولا يجران الى المتصف بهما إلا ضعة وانحطاطاً !

فالمتكبر يريد ان يسمو بنفسه ، حيث يضعها برغمه . والمتبذل يريد ان

يخدم ذاته حيث يُنقِّصها .

وفرق بين العزة والتكبر ، كما انه فرق بين التواضع والابتذال فالأولان ممدوحان والآخران مذمومان .

والاسلام حيث يتطلب الحقيقة ويأمر بها ، ويكره كل مداجات ورياء وكذب وانحراف،يأمر بالعزة ﴿لله العِّزةُ ولرَسولِهِ وللمؤمنين﴾(٤١) من غير كبر وينهي عن الابتذال والمهانة دون التواضع .

ونسرد بعض الآثار في ذم التكبر والمتكبر .

قال الله تعالى : ﴿ كذلك يَطْبَع الله على كلِ قلب مُتكَّبرٍ جبّار﴾(٤٢) .

وقال تعْالى : ﴿ سأصْرِفْ عن آياتي الذين يتكبرَون ﴾(٤٣) .

وقال تعالى : ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم إخرجوا أنفسكم . . . وكنتم عن آياته تستكبرون﴾(٤٤) .

وقال تعالى : ﴿ ادخلوا أبوابَ جهنّم خالدين فيها ، فبِئس مثوىٰ المتكَبِرين ﴾(٤٥) .

وقال تعالى : ﴿والذين لا يُؤمِنون بالآخِرَة قلوبهم مُنكرةَ ، وهم مُستْكبرون ﴾(٤٦) .

وقال تعالى : ﴿ إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدًخلِون جهَنّم دَاخِرين﴾(٤٧) .

وقال تعالى : ﴿ إنّ في صدورِهم إلا كِبْرٌ ما هم ببالغيه﴾(٤٨) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كِبْر)(٢٠٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ تَعظَّم في نفسه واختال في مشيته

لقي الله وهو عليه غضبان)(٢٠٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا ينظر الله الى رجل يجرّ إزاره بطراً)(٢٠٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (قال الله: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازعني في واحد منهما القيته في جهنم)(٢٠٦)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب)(٢٠٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ جعظري متكبر)(٢٠٨)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يدخل الجنة جبار ، ولا بخيل ، ولا سيء الملكة)(٢٠٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يخرج من النار عنق له أُذنان تسمعان، وعينان تبصران ، ولسان ينطق ، يقول : وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين)(٢١٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر اليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ ، وملك جبار ، ومقل مختال)(٢١١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (بئس العبد عبد تَجَبَّر واعتدىٰ ونسىٰ الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد تبختّر واختال ونسي الكبير المتعالي ، بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى ، بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدأ والمنتهى)(٢١٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إن أبغضكم الينا وابعدكم عنّا في الآخرة الثرثارون المتشدقون المتفيقهون)(٢١٣) أي المتكبرون .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى**)(٢١٤) .

انهم أرادوا أن يُظْهِروا للأعِين فوق حقائقهم التي هم عليها فعاكستهم الأقدار ، فهم في الدنيا مُهانون يُجتنب عنهم لكبرهم ونخوتهم فلا يُوقَّر لهم مجلس ولا يُحترم لهم مشهد ولا يُحفظ فيهم مغيبهم بل تُشرَّع عليهم الألسنة من كل مكان بالذم والأزدراء وفي الآخرة في صورة الذر تطأهم الناس ! يا للحقارة والهون !!

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**يُحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر تطأهم الناس ذراً في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ، ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له (يولس) تعلوهم نار شر أنيار ، يُسْقَون ، من طينة الخبال وعصارة أهل النار**)(٢١٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان في جهنم وادياً يقال له (هبهب) حَقٌ على الله أن يُسكِّنه كل جبار**)(٢١٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إن في النار قصراً يُجعل فيه المتكبرون ، ويُطبق عليهم**)(٢١٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إذا مشت امتي المطيطاء (مشية فيها اختيال) وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض**)(٢١٨) .

وقد ضرب المسيح عليه السلام أروع الأمثلة لقبول قلوب المتواضعين الحكمة دون المتكبرين .

قال عليه السلام : « **كما ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفاء ، كذلك الحكمة تنبت في قلب المتواضع ، ولا تعمر في قلب المتكبر ، ألا ترون أنه من يتشمخ برأسه الى السقف شجه ومن يطأطىء أظله واكنه** »(٢١٩) .

وليس التحذير عن الكبر خاصاً بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو المسيح عليه السلام وإنما حذر عنه كل الأنبياء لعواقبه الوخيمة ومضادته للفطرة الانسانية .

في الحديث : « إنَّ نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة ، دعا ابنيه فقال : (**إني آمركما باثنتين ، وأنها كما عن اثنتين : وأنها كما عن الشرك والكبر . وآمركما بلاإلـه إلا الله ، وسبحان الله وبحمده**)(٢٢٠) .

ثم المتكبر لماذا يتكبر ؟ انه يجد خفة في وزنه فيريد ان يسدها بالكبر ، ولكن الأقدار تعاكسه دائماً ، قال الامام الصادق عليه السلام : « **ما من رجل تكبَّر أو تجبَّر إلا لذلة وجدها في نفسه** »(٢٢١) فهو ذليل يريد ان يتعزز بالكبر ولكن هيهات ! . . .

* * *

وبالعكس من التكبر التواضع ، فهو رأس الفضائل ، ودليل على كبر النفس وسموها ، ولذا كان النبي العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم متصفاً بهذه الصفة الرفيعة وينبغي للمسلم ان يجتهد كي يحتذيه صلى الله عليه وآله وسلم .

قال أبو سعيد الخدري :

(كان صلى الله عليه وآله وسلم يعلف الناضح .

ويعقل البعير .

ويقم البيت .

ويحلب الشاة .

ويخصف النعل .

ويرقع الثوب .

ويأكل مع خادمه .

ويطحن عنه إذا أعيى .

ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى اهله .

يصافح الغني والفقير والصغير والكبير .

ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير ، أسود أو احمر ، حر أو عبد : من أهل الصلاة .

ليست له حلة لمدخله ولا لمخرجه .

لا يستحي من ان يجيب إذا دُعِيَ وان كان اشعث اغبر .

ولا يُحقِر ما دُعيَ اليه وان لم يجد إلا حشف الرِّقل .

لا يرفع غداء لعشاء ، ولا عشاء لغداء .

هين المؤنة .

لين الخلق .

كريم الطبيعة .

جميل المعاشرة .

طلق الوجه .

بساماً من غير ضحك .

محزوناً من غير عبوس .

شديداً في غير عنف .

متواضعاً في غير مذلة .

جواداً من غير سرف .

رحيماً لكل ذي قربى .

قريباً من كل ذمي ومسلم .

رقيق القلب .

دائم الاطراق .

لم يَتْشم قط من شبع .

ولا يمد يده الى طمع)(٢٢٢) .

وهذه الملكات الفاضلة كانت بعض ما اتصف به نبي الاسلام العظيم ، الذي يجب على المسلم ان يقتدي به كما يقول الله تعالى : ﴿ ولَكمُ في رسول الله إسوةٌ حسنةٌ ، لِمَنَ كان يرجو الله واليومَ الآخِرِ ﴾[٤٩] .

وحيث ان التواضع من الصفات الحسنة أرصد الاسلام له جملة من الأحاديث .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)(٢٢٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذمة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة) (٢٢٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأصحابه ـ (مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة ؟! قالوا : وما حلاوة العبادة ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : التواضع)(٢٢٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة)(٢٢٦) كناية عن مرتبة ليست فوقها مرتبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (إذا هدى الله عبداً للاسلام حسَّن صورته ، وجعله في موضع غير شائن له ، ورزقه مع ذلك تواضعاً ، فذلك

من صفوة الله)(٢٢٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أربع لا يعطيهَّن الله إلا مَنْ يحبه : الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضـع ، والزهـد في الدنيا)(٢٢٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه)(٢٢٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ تواضع لله رفعه الله ، ومَنْ تكبّر خفضِه الله ، ومَنْ اقتصد في معيشته رزقه الله ، ومن بذَّر حرمه الله ، ومن اكثر ذِكْر الموت احبه الله ، ومن اكثر ذِكْر الله اظله الله في جنته)(٢٣٠) .

وفي الحديث : (اتى رسول الله ملك فقال : ان الله تعالى يخبرك ان تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً ؟ فنظر الى جبرائيل عليه السلام فأومى بيده ان تواضع فقال : عبداً متواضعاً رسولاً فقال الملك مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئاً ، قال : ومعه مفاتيح خزائن الأرض)(٢٣١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان التواضع يزيد صاحبه رفعَة فتواضعوا يرفعكم الله)(٢٣٢) .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : (طوبى للمتواضعين في الدنيا ، هم اصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا ، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى (أي الى رحمته وفضله) يوم القيامة)(٢٣٣) .

وفي الحديث أوحى الله تعالى الى داود : (يا داود كما ان اقرب الناس الى الله المتواضعون ، كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون)(٢٣٤) .

وروي : (ان سليمـان بن داود إذا اصبح تصفـح وجـوه الاغنيـاء والأشراف حتى يجيء الى المساكـين ، فيقعد معهم ويقـول : مسكين مـع مساكين)(٢٣٥) .

وأئمة المسلمين عليهم السلام كانوا الزم الناس لهذه الخصلة الحميدة قولاً وعملاً .

فقد روي : « انه ورد على امير المؤمنين عليه السلام اخوان مؤمنان : أب وابن فقام اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين ايديهما ثم امر بطعام فأحضر فأكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل وجاء ليصبّ على يد الرجل فوثب امير المؤمنين عليه السلام واخذ الأبريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال : يا امير المؤمنين الله يراني وانت تصب على يدي ؟! قال : اقعد وأغسل فإن الله عز وجل يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا ، فقعد الرجل وقال له علي عليه السلام : اقسمتِ عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبحلّته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن ندبني لما شرّفك به من خدمتي لك ، لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر ، ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الأبريق محمد بن الحنفية وقال : يا بنيّ لو كان هذا الأبن حضرني دون ابيه لصببت على يده ولكن الله عزّ وجلّ يأبى أن يساوي بين ابن وابيه ، إذا جمعهما مكان ، لكن قد صبَّ الأب على الأب ، فليصبّ الابن على الابن ، فصبّ محمد بن الحنفية على الابن »(٢٣٦) .

والمتواضع لا يزال متواضعاً حتى يكون من الصدِّيقين .

قال الامام العسكري عليه السلام : « أعرف الناس بحقوق اخوانهم واشدهم قضاءً لها ، أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لأخوانه فهو عند الله من الصدِّيقين ومن شيعة علي بن أبي طالب حقاً (٢٣٧) .

وقد حدد الاسلام التواضع تحديداً دقيقاً حتى لا يقال ما هو ؟ ولا يعتذر بتركه معتذر قائلاً : لم أكُ اعرفه .

سئل أبو الحسن عليه السلام : « عن حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً ؟ فقال : « التواضع درجات منها ان يعرف المرء قدر نفسه

فينزلها منزلتها بقلب سليم ، لا يحب أن يأتي الى احد إلا مثل ما يؤ تى اليه ان رأى سيئة درها بالحسنة كاظم الغيظ ، عافٍ عن الناس ، والله يحب المحسنين »(٢٣٨) .

وفي حديث آخر قال عليه السلام : « **التواضع ان تعطي الناس ما تحب أن تُعطاه »**(٢٣٩) .

وإذا كان التواضع ممدوحاً فإن المذلة مذمومة فإن كلا طرفي التواضع خارج عن الاعتدال وعن الموازين الانسانية فأفراطهما : التكبر وتفريطهما: المذلة ، واللازم على الانسان أن لا يبذل نفسه حتى يُهان ويُحتقر بل يكون متواضعاً في غير مَهانة ولذا فإذا كان هناك متكبر طاغٍ يذل الانسان ويزدريه فالأليق أن لا يبالي به الشخص ويتكبر عليه ، اعتزازاً بالنفس عن مساقط الهوان وإرغاماً لكبريائه المصطنع .

والى هذا ينظر ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**إذا رأيتم المتواضعين من امتي ، فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغار**)(٢٤٠) .

ترفيعُ النفس

والمتكبر لا بد وأن يُنفِس عن كبريائه ، بقول أو عمل، فيجر ذيل الخيلاء ، ويتصدر المجلس ويستهين بكل احد ويفتخر ، ويبغي ويزكي نفسه . و . و . .

وكلها من فروع شجرة الكِبْر المرة ، وتوجب هوناً وضعة في اعين الناس .

وقد ورد النهي الأكيد في الاسلام عن جميع ذلك .

في الحديث : **(ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر - يوم فتح مكة - فقال : أيها الناس ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتفاخرها بآبائها ، ألا انكم من آدم وآدم من طين ، ألا أن خير عباد الله عبد اتقاه)(٢٤١)** .

وقال له صلى الله عليه وآله وسلم عقبة بن بشير الأسدي : أنا في الحسب الضخم عزيز في قومي فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : **(تمنَّ علينا بحسبك ؟! ان الله تعالى رفع بالايمان من كان الناس يسمونه وضيعاً ، إذا كان مؤمناً ، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً ، إذا كان كافراً ، فليس لأحد فضل على احد إلا بتقوى الله)(٢٤٢)** .

واتى رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **(فقال : يا رسول الله ، انا فلان بن فلان . . . حتى عد تسعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أما انك عاشرهم في النار)(٢٤٣)** .

لِمَ يتكبر الفخور ، هل لأنه صاحب مال أو جاه أو أولاد أو نفوذ ؟؟ انها

كلها طوارىء ، ألا ينظر الى نفسه المليئة بالأقذار ؟! قال سيد الساجدين عليه السلام : « **عجباً للمتكبر الفخور ! الذي كان بالأمس نطفة ، ثم هو غدا جيفة** »(٢٤٤) . وقال ولده الباقر عليه السلام : « **عجباً للمختال الفخور ! وإنما خلق من نطفة ، ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به** »(٢٤٥) .

ولقد فَهِم الاسلام سلمان الفارسي احسن فهم ولذا ورد ان قريشاً تفاخروا عنده فقال : « **ولكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فإن ثقل فأنا كريم وان خف فأنا لئيم** »(٢٤٦) .

وتنجم عن ترفيع النفس خلال كلها قذرة وكلها تنافي الانسانية الرفيعة والنفس الكريمة .

من تلك الخلال : البغي ، فيصعب للانسان ان ينقاد لكبيره ، ويكون طوع امره ونهيه وبذلك يُضيِّع على نفسه وعلى رئيسه ثمرات الطاعة الحلوة ، ولذا يكون عقاب البغي مزدوجاً : عقاب الهلاك وعقاب تضييع الحقوق .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان اعجل الشر عقوبة البغي**)(٢٤٧) وهذا امر مُشاهَد : ان من لا يطيع آمره لا بد وان يتضرر حسب الوقت المحدد للضرر الناجم من العصيان ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**حق على الله ان لا يبغى شيء على شيء ، إلا أذله الله ، ولو ان جبلاً بغى على جبل لهدَّ الله الباغي منهما**)(٢٤٨) ، لكن هذا البغي هو قسم من الظلم ليس بالمعنى الأول .

وعلى اي فكلا البغيين تعدٍّ على الحق وسدور في الغي بغى على الآمر أو بغى على الغير .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **أيها الناس ان البغي يقود اصحابه الى النار** ـ الى ان قال :

وقد قتل الله الجبابرة على افضل احوالهم ، وآمن ما كانوا»(٢٤٩) .

ومن هنا المثل المشهور : السلطنة مع الكفر تدوم ، ومع الظلم لا تدوم » .

وهذا منطقي مئة في المئة : ان الظالم لا بد وأن يأتي يوم يثور عليه المظلوم أو من يقظ مضجعه تفشي الظلم وكم اطاحت الظلامات بالتيجان ونكست بالعروش !

قال الامام الصادق عليه السلام : « **ألقوا بينهم الحسد والبغي ، فأنهما يعدلان عند الله الشرك** »(٢٥٠) . وكتب عليه السلام الى بعض أصحابه : « **انظر ! لا تكلمن بكلمة بغي ابداً ، وان اعجبتك نفسك وعشيرتك** »(٢٥١) .

وهكذا يريد الاسلام مجتمعاً خالياً من البغي ويريد الفرد مهذباً عن الظلم لا يبغي ولا يظلم !

ومن الخلال الناجمة عن ترفيع النفس : تزكية الذات بذكر المحاسن ، ونفي القبائح ، فهناك جملة من الناس بل كثرة غالبة منهم ، لا يفتؤن من ذكر مناقبهم ، ونفي المساويء عن انفسهم تعطشاً الى الرفعة ومن الجدير بهم ان يسقطوا عن الأعين فإن كل مدح للنفس يُورث صدمة في نفوس الآخرين فتريد ان تعاكس المادح حتى فيما له من المزايا ، ولذا قيل : « إذا أردت أن يمدحك الناس فأمسك عن مدح نفسك ، وإذا مدحت نفسك فلا تترجَ قبول الناس » .

قال الامام امير المؤمنين عليه السلام : « **تزكية المرء نفسه قبيحة** »(٢٥٢) .

ومن الخلال الناجمة عن ترفيع النفس : العصبية ، فتهاجم الأعصاب لنيل محبوب أو دفع مكروه مهما كلف الأمر إنْ حقاً وإنْ باطلاً .

والانسان قد يتعصب لنفسه وقد يتعصب لما يتعلق به من أثاث أو رياش، أو ذوي لِحْمَة وقرابة ، أو أهل محلة أو بلد أو قطر . . . أو ما الى ذلك . . .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**من تعصب أو تُعصِّب له فقد خلع ربق الايمان من عنقه**)(٢٥٣) انه مؤمن ما دام يمشي بالانصاف ويضع الحق في نصابه اما إذا تعصب فخرج عن الحق أو تعصب له فرضي فهو يسلك سبيل الباطل ، واجدر به ان يخرج عن عداد المؤمنين .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**من كان في قلبه حبة خردل من عصبية لعنه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية**)(٢٥٤) وقال الامام السجاد عليه السلام : « **لم يدخل الجنة حِمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب ، وذلك حين اسلم عصباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (في حديث السلا الذي أُلقي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم)** »(٢٥٥) انها دخلت الجنة لما ترتب عليها من نصرة الاسلام إذ هو غريب وتعزيز مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ هو كالمنفرد ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، حيث لم يكن يعبد إلا بالاضطهاد .

وكثيراً ما تكونُ الحِمِية مقدمة لسلسلة من الآثام والجرائم فيلزم على الانسان ان يجتثها من جذورها حتى لا يقع في موبقات لا منجي منها قال الامام الصادق عليه السلام : « **إنّ الملائكة كانوا يحسبون ان إبليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه بالحمية والعصب ، فقال : ﴿خلقتني من نارٍ وخلقْتَهُ من طين﴾**[٥٠] (٢٥٦) .

الإنصـــاف

جدير بمن دخل في الاسلام ان ينتهج على منهاجه ويمشي في سبيله وإلا فليس المسلم بـ (م ، س . ل. م) إنما هو من يمتثل أوامره ويتحلى بمثله وقيمه .

ومن افضل المُثلُ الإسلامية التي يجب ان يتحلى بها المرء الانصاف أنه يساير الانسان من يوم عَقِل الى حين يُقبرَ فالإنحراف عنه معناه : الانحراف عن الحق طول الخط وليس هو بالأمر الهَيِّن ، انه صفة وملكة ومن لا يتصف بها يجنح الى الباطل كل يوم مائة مرة والانسان يحتاج اليها في الدار وفي السوق وفي الطريق وفي المدرسة . . مع الأهل والصديق والمعلِّم والمتعلم . . والحاكم والمحكوم . . و . . و . . .

ولذا أرصد الاسلام لها اكبر قدر ممكن من الترغيب والترهيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**يا علي ثلاث من دقائق الإيمان : الانفاق من الاقتار ، وانصاف الناس من نفسك ، وبذل العلم للمتعلم**)(٢٥٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**طوبى لمن طاب خلقه وطَهُرت سجيته وصَلُحت سريرته ، وحَسُنَت علانيته وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله وانصف الناس من نفسه**)(٢٥٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**سيد الأعمال : إنصاف الناس من نفسك**)(٢٥٩) ان الأعمال بدون الأنصاف فوضى ، كما ان الناس بدون السيد المطاع فوضى .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من واسى الفقير من ماله وانصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً**)(٢٦٠) .

وقال صلى الله عليه وماله وسلم : (**ثلاث خصال ، مَنْ كُنَّ فيه أو واحدة منهنَّ ، كان في ظل عرش الله ، يوم لا ظل إلا ظله ! رجل اعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم**)(٢٦١) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : « **. . . إلا انه مَنْ يَنْصِف من نفسه ، لم يزده الله إلا عزاً** »(٢٦٢) .

وقال حفيده الامام الصادق عليه السلام : « **من يضمن لي اربعة بأربعة أبيّات في الجنة ؟ أنفق ولا تخف فقراً ! وأفشِ السلام في العالم ! واترك المراء وان كنت محقاً ! وأنصف الناس من نفسك** »(٢٦٣) انها جماع خيرِ الدنيا والآخرة بها يتحبب المرء الى الله والى الناس ولكن هل العمل بها هينٌ ؟ انها تحتاج الى تدريب طويل وقوة في النفس حديدية .

وقال عليه السلام في كلام آخر له ـ « **ألا اخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه ؟! ـ فذكر ثلاثة أشياء ـ أولها : انصاف الناس من نفسك** »(٢٦٤) .

وقال عليه السلام : « **من انصف الناس من نفسه ، رُضِيَ به حَكَماً لغيره** »(٢٦٥) .

وقال عليه السلام : « **ما تدارى اثنان في امر قط فأعطى احدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أُديل منه** »(٢٦٦) .

وقال عليه السلام : « **ثلاثة هم أقرب الخلق الى الله تعالى يوم القيامة حتى يُفَرغ من الحساب : رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه على ان يحيف على من تحت يده ، ورجل مشى بين اثنين فلم يَمِلْ مع احدهما على الآخر بشعيرة ، ورجل قال بالحق فيما له وعليه** »(٢٦٧) . انها اثقل من الجبال الراسيات وهل هناك من يتمكن من حملها ؟! .

وقال عليه السلام : « **ان لله جنة لا يدخلها إلا ثلاثة : احدهم من حكم في نفسه بالحق**»(٢٦٨) .

والانسان كثيراً ما يحاول ان لا يدين نفسه لكنه يرجع بعكس ما يتوخاه ، فيبوأ بالضعة عوض ما كان يترقبه من الرفعة . . اما إذا انصف ، وقال ما له وما عليه ، وادان ذاته كما يدين غيره ، فلا تذهب ايام وليالٍ إلا ويأخذ في السمو ويكون موضع ثقة الناس وأي مقصد انبل من هذا ؟ .

الرَّحَـــمَـــة

هي مبعث الخيرات ، ومعدن الفضائل ، فبالرحمة تتجمع الصلات وتتوحد البشرية ، بها يبر الولد اباه ، وبها يصل المرء قريبه ، وبها يألف الزوجان احدهما على الآخر . . . وبها . . ولشد ما يدهش الأنسان لو يتأمل في أول السور : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ فلم تبتدأ الآي إلا بصفتين كلتاهما من الرحمة ، وكذلك سورة الحمد : ﴿ **الحمد لله ربِّ العالمين . الرحمٰن الرحيم** ﴾(٥١) .

والاسلام يهتم بإيجاد هذه الصفة في القلوب ، ويؤكد لتركيزها في اعماق النفس ، حتى تعطي ثمارها الحلوة : صلة الرحم ، بِرُّ الوالدين ، العطف على الأولاد ، إشباع الافراد الجائعة إكساء الاجساد العارية ، حسن الجوار . . وكل خير . . وكل خير . .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:(يقول الله تعالى:﴿**اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي ! تعيشوا في اكنافهم ، فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم ، فإني جعلت فيهم سخطي**﴾)(٢٦٩) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **اتقوا الله ، وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين ، متراحمين** »(٢٧٠) .

وقال عليه السلام : « **تواصلوا وتباروا وتراحموا ، وكونوا اخوة بررة كما امركم الله** »(٢٧١) .

وقال عليه السلام : « **يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل ،**

والتعاون على التعاطف ، والمواساةلأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض ، حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل ، (رحماء بينكم) متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من امرهم ، على ما مضى عليه معشر الانصار ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »(٢٧٢) الى احاديث وأحاديث .

وبالعكس من الرحمة القساوة ، فهي مبعث القذارات الروحية ، ومجمع الرذائل الخلقية ، ولذا ورد في الحديث القدسي المتقدم : « ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي » .

والله لا يجعل سخطه في احد اعتباطاً ، وإنما هو لما ران على قلبه وتبع شهوته واسلس قياده الى المعاطب والمهالك ، وبذلك يستحق اللعنة في الدنيا بما يطبع عليه من القساوة التي هي منبع لذمائم الصفات .

العِفّـةَ وَالشَـرَّه

الانسان بطبعه ميال ، الى ملاذ الدنيا ، تواق الى تحصيل اكبر ، قدر ممكن منها ، فالبطن لا يَمل من الطعام ، كالآتون المتطلب للوقود . . والغريزة الجنسية دائمة الاشتعال ، تستعمل ما تجد ، وتطلب ما لا تجد . حتى انه كثيراً ما يعجز عن الزيادة في الأكل أو الغريزة ، ولكنه يدخر أعظم قدر ممكن منهما لمجرد الشَرَّه .

أرأيت من يجمع الطعام قدر ما يسد به جوعة بلدة ؟ وهل سمعت ان احداً من الملوك كانت له من الأزواج اثنتي عشرة ألف ؟! .

وكما ان النقيصة في هذين تُورِث خللاً في الأجهزة الحيوية من الجسم فيسبب الجوع الزائد ضعفاً وخبالاً في البدن ، والكف الناهز امراضاً فتاكة ، من جراء اختزان المـواد المنويـة في الأجهزة بـل وانقطاعـاً للنسل وخـراباً للعمران .

كذلك الزيادة فيهما ، فإنها مفسدة للجسم ، ومورثة للضعف والاختلال في التوازن .

والاسلام يحب الوسط في كل شيء وفي هذين فلا شيء يفسد ، ولا كف يخل .

وربما يتراءى للغر تضارب في الأحاديث ، فمن مانع عن الشهوات الدنيا الى حد التفريط . . كأخبار الزهد والجوع وحفظ الفرج وما اليها ومن دافع الى الملاذ الى حد الافراط . كأخبار أكل الطيب ونكاح النبي والأئمة بعديد من الزوجات . وما اليها لكن هذا نظر خاطىء يتلاشى أمام التدقيق ،

فالانسان حيث بطبعه يميل إما الى طرف أو الى آخر لا بد وأن يصلح طرفاه مرة هذا واخرى ذاك الى ان يعتدل كالميزان الذي تميل احدى كفتيه ، ثقلاً وخفة الى ان يعتدل ويستقيم .

فأحاديث الزهد للمكثرين واخبار التمتع للمقلين . . وهناك آثار للوسط وهو الاعتدال : ﴿ كلوا وأشربوا ولا تُسْرِفوا ﴾(٥٢)

وعلى أي حال ، فقد ورد الذم الاكيد ، من تسليس القيادة الى البطن والفرج . . الى حيث يشاء واليك نبذ منها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقة فقد وقى)(٢٧٣) والأول البطن والثاني الفرج والثالث اللسان .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ويل للناس من القبقبين . فقيل : وما هما يا رسول الله ؟ قال : الحلق والفرج)(٢٧٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اكثر ما تَلِج به أُمتّي النار إلا جوفان البطن والفرج)(٢٧٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاث اخافهّن على أُمتي من بعدي : الضلالة بعد المعرفة ومفضلات الفتن وشهوة البطن والفرج)(٢٧٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، بحَسِب ابن آدم لقيمات يُقِمْنَّ صلبه فإن كان لا بد فاعلاً ! فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه)(٢٧٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء)(٢٧٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اطولكم منزلة عند الله : أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم عند الله تعالى : كل نؤوم اكول شروب)(٢٧٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (المؤمن يأكل في معاء واحد ،

والمنافق يأكل في سبعة امعاء)(٢٨٠) فالمؤمن لا يملأ إلا سبع بطنه ، والمنافق يملأ بطنه كله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاء ، وما ترك عبد اكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة)(٢٨١)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد)(٢٨٢)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اطول الناس جوعاً يوم القيامة : اكثرهم شبعاً في الدنيا)(٢٨٣)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه)(٢٨٤)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش ، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله ، وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش)(٢٨٥)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(افضل الناس من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته)(٢٨٦)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(سيد الأعمال الجوع ، وذل النفس لباس الصوف) (٢٨٧)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اشربوا وكلوا في انصاف البطون ، فإنه جزء من النبوة)(٢٨٨)** فإن بعض النبوة مجموعة كمالات نفسية ، ومنها قلة الأكل والشرب .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(قلة الطعام هي العبادة)(٢٨٩)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا ، يقول : انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر**

وتركها ، اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها إلا ابدلته بها درجات في الجنة)(٢٩٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا) (٢٩١) .

ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ككثير من القادة يقول ما لا يعمل ، بل كان اشد الناس ورعاً والتزاماً بما يقول ولذا كان اسوة للمسلمين ﴿ ولكم برسول الله اسوة حسنة ﴾ .

قالت بعض ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان رسول الله لم يمتلأ قط شبعاً ، وربما بكيت رحمة مما ادى به من الجوع ، فامسح بطنه بيدي وأقول : نفسي لك الفداء ، لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع ؟ فيقول : (اخواني من اولي العزم من الرسل ، قد صبروا على ما هو أشد من هذا ، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم ، فأكرم مآبهم واجزل ثوابهم فأجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يصر بي غداً دونهم ، فأصبر أياماً يسيرة ، أحب ألي من أن ينقص بي حظي غداً في الآخرة ، وما من شيء احب إليَّ من اللحوق بأصحابي واخواني)(٢٩٢) .

وفي خبر : (ان فاطمة عليها السلام جاءت ومعها كسيرة من خبز ، فدفعتها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما هذه الكسيرة ؟ قالت قرص خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة فقال : اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث)(٢٩٣) .

ومن الناس من يتعجب من هذا الحديث فكيف يمكن للانسان الامساك عن الطعام ثلاث ؟ لكن اولئك غافلون عن مبادىء الصحة والطب ! . واعجب من هؤلاء من يصدق ان (غاندي) مثلاً صام تسعة أيام . . واكثر ويشك في صحة إمساك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام !

وقال الامام الباقر عليه السلام : « إذا شبع البطن طغى »(٢٩٤) .

وقال عليه السلام : « **ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من بطن مملوء** »(٢٩٥) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **ان البطن ليطغى من اكلة ، وأقرب ما يكون العبد الى الله إذا خف بطنه ، وابغض ما يكون العبد الى الله إذا امتلأ بطنه** »(٢٩٦) .

وليست قلة الأكل زهداً في الدنيا ، وورعاً فحسب ، وإنما هي مصحة للبدن ، فإن القلب لا بد وان يعمل ، ويعمل لتشغيل الأجهزة والحواس ، وكلما كان حمله أقل كان انشط في الشغل ، وابعد عن التعب ، مثله مثل العامل الذي يحمل حملاً الى مسافات ، فإنه كلما كان الحمل اخف يكون العامل ابعد عن التعب ، واكبر استعداداً للاستمرار .

قال الصادق عليه السلام : « **كل داء من التخمة إلا الحمى فإنها ترد وروداً** » والمعلوم ان كل واحد من المستثنى والمستثنى منه غالبي لا دائمي .

وقال عليه السلام : « **الأكل على الشبع يورث البرص** »(٢٩٧) .

وقد قال احد الحكماء : « لا ينبغي للانسان ان يأكل لاشتهاء فكه ، بل يأكل لاشتهاء جسده » وقال حكيم آخر : « الأكل للبقاء لا ان البقاء للأكل » .

* * *

ومن الناس من يسلس قياده الى الشهوة الجنسية ، فتراه يكثر من التزود بها ، حتى ليكاد يجعل نفسه من الهالكين ، تضعف قواه وتركد نشاطاته . ومنهم من يزم هذا النشاط بزمام من المنع والتجنب فيبقى عزباً . أو قريباً منه الى ان يدركه الأجل المحتوم .

وكلاهما خارجان عن نطاق الاعتدال ، مائلان الى اليمين أو اليسار . والاسلام يحب الاكثار من الشهوة الجنسية ـ لا بحد الافراط ـ بل في حدود

المصلحة والتوقي من المحرمات ، فإن الشهوة الجنسية لو لم تشبع من الحلال لطلب الحرام . ولو بنظرة أو لمسة أو كلمة .

ولذا منع الشريعة عن أسبابها ومهيجاتها . . قال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يَغضوا من أبصَارِهم ، ويَحفَظوا فُروجَهم . وقل للمؤمنات : يَغضضنَ من ابصارِهنّ ، ويَحفظْنَ فَروجَهن﴾(٥٣) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لكل عضو من اعضاء ابن آدم حظ من الزنا : فالعينان تزنيان وزناهما النظر)(٢٩٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تدخلوا على المغيبات : أي التي غاب عنها زوجها ، فإن الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم)(٢٩٩) .

الى غير ذلك . هذا كله بالنسبة الى الوقاية ، أما العلاج فالاسلام يحبذ التزويج ويكره العزوبة كراهة شديدة .

قال تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾(٥٤) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (النكاح سنتي فمن رَغِب عن سنتي فليس مني) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ تَزوج فقد أحرز نصف دينه ، فليتقِ الله في النصف الباقي)(٣٠٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أراذل موتاكم العزاب)(٣٠١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ليتخذ احدكم لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته)(٣٠٢) .

الى غيرها .

واخيراً : فإن العفة التي هي وسط بين تسليس القياد للبطن والفرج . . وذمهما بالمنع من المقدار المعتاد ، أفضل الأمور :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « افضل العبادة العفاف »(٣٠٣) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « ما من عبادة افضل من عفة بطن وفرج »(٣٠٤) .

وقال عليه السلام : « ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج »(٣٠٥) .

وقال عليه السلام : « اي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج ؟! »(٣٠٦) .

الــدُنيـــا

عَرَّف امير المؤمنين عليه السلام الدنيا في كلمة وجيزة ، فقال :

« الدنيا تَغرُ ، وتَضرُ ، وتَمرُ » فيا لها من عبارة ليس فوقها تعريف !

وهكذا تكون الدنيا في الأغلب : سبباً للظلم والعدوان والتعدي عن الموازين والجري وراء الشهوات ! أما الدنيا التي هي مزرعة العلم والعمل ، والفضيلة والعدل . . فهي ممدوحة ومن لوازم البشرية . ان الدنيا كالكهرباء ان احسن الفرد استعماله انتفع بضيائه ودفئه ومروحته ومسجلته وان اساء استعماله : اهلك نفسه وبدد جمعه ، أو كالماء ان شربه العطشان على قدر ارتوى وانتعش جسمه ، وجرت الحياة في عروقه وشرايينه . وإنْ أغرق نفسه فيه فنصيبه الموت وعاقبته وبال .

وهكذا الدنيا ولذا قال الامام زين العابدين عليه السلام : **« الدنيا دنياآن : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة »**(٣٠٧) .

وما ورد من الأحاديث في مدح الدنيا فإنها ناظرة الى دنيا البلاغ وما ورد في ذمها فهي ناظرة الى دنيا الظلم والعدوان والخروج عن المقاييس . . .

فمن الأخبار المادحة للدنيا وطلبها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(العبادة سبعون جزءاً : افضلها طلب الحلال)**(٣٠٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ بصدد طلبها ـ : **(ملعون من ألقى كَلَّه على الناس)**(٣٠٩) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : «من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس وسَعْياً على أهله وتعطفاً على جاره لَقِيَ الله عز وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»(٣١٠) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : «الكَادُّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»(٣١١) .

وقال عليه السلام : «ان الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق»(٣١٢) .

وقال عليه السلام : «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه»(٣١٣) .

وقال عليه السلام : «لا تكسلوا في طلب معايشكم ، فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها»(٣١٤) .

وقال له عليه السلام رجل : «إنَّا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال عليه السلام تحب ان تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي وعيالي ، وأصل بها وأتصدق ، وأحج واعتمر فقال أبو عبد الله عليه السلام ليس هذا طلب الدنيا ، هذا طلب الآخرة»(٣١٥) .

وهكذا يرى الاسلام الدنيا المطلوب منها اعمال البر والتعفف من طلب الآخرة ، فإنه لا فرق بين الدنيا وبين الآخرة فكلتاهما مملكة ملك قدير وإله عظيم وإنما قضاء الدنيا والآخرة في اعمال الشر والإثم ، فهذه الدنيا ليست من الله ، وإنما هي من الشيطان : ﴿ إنما الخمرُ والميْسرُ والأنصابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ من عملِ الشيطان ﴾(٥٥) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الشخصية الاسلامية العظيمة يعمل تاجراً ، وامير المؤمنين عليه السلام يعمل زارعاً ، وفاطمة (ع) تعمل غازلة .

وفي الحديث : ان ابا الحسن عليه السلام كان يعمل في أرض قد

استنقعت قدماه في العرق فقيل له : « جعلت فداك اين الرجال ؟ فقال : قد عمل باليد من هو خير مني - في ارضه - ومن ابي فقيل : ومن هو ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين »(٣١٦) .

ألم يزرع آدم عليه السلام ؟ ألم يخيط ادريس عليه السلام ؟ ألم يُتَجرِّ نوح عليه السلام ؟ ألم يصنع الدرع داود عليه السلام ؟ .

وهناك أحاديث كثيرة تذم الدنيا وهي ناظرة الى الدنيا الفاتنة الخادعة منها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة ماء)(٣١٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما ابتغى به وجه الله)(٣١٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)(٣١٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : هَمّاً لا ينقطع عنه ابداً وشغلاً لا يتفرغ منه ابداً ، وفقراً لا ينال غناه ابداً ، وأملاً لا ينال منتهاه ابداً)(٣٢٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود ، وهو يسعى لدار الغرور) (٣٢١) .

وقال صلى الله عليه وماله وسلم : (لتأتينكم بعدي دنيا ، تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب)(٣٢٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألهكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي .. وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأبقيت ؟ أو أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت ؟!)(٣٢٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أوحى الله تعالى الى موسى : لا تَرْكُنَنَّ الى حب الدنيا فلن تأتين بكبيرة هي اشد عليك منها)(٣٢٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (حب الدنيا رأس كل خطيئة)(٣٢٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أحب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته أضر بدنياه ، فآثِروا ما يبقى على ما يفنى)(٣٢٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله لم يخلق خلقاً أبغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها)(٣٢٧) .

ومر صلى الله عليه وآله وسلم على مزبلة فوقف عليها ، وقال : (هلموا الى الدنيا) ، واخذ خرقاً قد بليت على تلك المزبلة ، وعظاماً قد نخرت ، فقال : (هذه الدنيا)(٣٢٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له)(٣٢٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : لما هبط آدم من الجنة الى الأرض قال له : (إبن للخراب ولد للفناء)(٣٣٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لتجيئنَّ أقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار) فقيل يا رسول الله ، أمصلين ؟ قال : (نعم كانوا يصومون ويصلون ، ويأخذون هنيئة من الليل ، فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه)(٣٣١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمىٰ ، ويجعله بصيراً ؟ ألا انه من رغب في الدنيا وطال فيها أمله اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها اعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية**)(٣٣٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم إن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم .**)(٣٣٣) .

ولقد صَدَق ما قاله صلّى الله عليه وآله وسلم : فلقد اختزن بعض من كان يدعي خلافتهأموالاً تربو على كنوز قارون،ووقعت المنافسات العجيبة بين ارباب الأموال من المسلمين بما سود صفحات حياة أولئك النفر..وقد تَوارث أولئك الشواذ نفر من أثرياء المسلمين في هذه العصور ، متنكبين طريقة الإسلام في الأموال والثروة ، فتراهم يتهالكون ويتنافسون على زهرة الحياة الدنيا ولا يتورعون عن أية معصية يستغلون ويحتكرون ويستثمرون ، وو . كل ذلك تكالباً على الحطام وبهذا انحطت نفوس كثير منهم عن الموازين الإسلامية ، وأخيراً كانوا هم السبب في استعمار كثير من بلاد المسلمين فكرياً ومادياً .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (**أكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض**) **فقيل ما بركات الأرض ؟ قال** : (**زهرة الدنيا**) (٣٣٤) .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (**دعوا الدنيا لاهلها مَنْ أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر**) (٣٣٥) .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (**سيأتي قوم بعدي يأكلون أطايب الطعام وانواعها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألينَ الثياب وألوانها ويركبون أقوى**

الخيل وألوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها ، اتخذوها آلهة دون إلهِهم وربّاً دون ربهم ، الى امرهم ينتهون وهواهم يلعبون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الأمان : من عقب عقبكم وخلف خلفكم ، ابداً لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ومن فعل ذلك فقد اعان على هدم الإسلام) (٣٣٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(مالي وللدنيا ؟! إنما مثلي ومثلها : كمثل راكب رفُعتُ له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها)(٣٣٧) .**

وقال صلى الله عليه وماله وسلم : **(احذروا الدنيا ، فأنها أسحر من هاروت وماروت) (٣٣٨) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(حقّ على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه)(٣٣٩) .**

الى غير ذلك من إرشادات . وإرشادات .

فهل ترى المسلمين عملوا بذلك ، وساروا على الوسط ؟ إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا زال يوعظ ويجرُّ المسلمين الى الزهد كي يتوسطوا كمن تغلب عليه الحَمّىٰ ، فيصِف له الطبيب المبردات الكثيرة ، كي يعتدل مزاجه . . فهل توسَط المسلمون وأعتدلوا ؟ كلا ! إلا مَنْ عصَمِه الله تعالى .

وليس التزهيد في الدنيا خاصاً بنبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم بل يشاركه في هذا سائر اخوانه ، من الرسل . وأهل بيته الطاهرين .

في الحديث : : (مر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ، ورجع وهو يبكي ! فقال موسى عليه السلام : **يا ربِّ عبدك يبكي من مخافتك ؟! فقال تعالى يا ابن عمران لو نزل دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا)(٣٤٠) .**

ويُروى عن عيسى بن مريم عليهما السلام قال : (ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ! ويأمنها وتغره ؟ ويثِق بها وتخذله ؟ ويل للمغترين كيف الزمهم ما يكرهون ؟ وفارقهم ما يحبون ؟ وجاءهم ما يوعدون ؟ ويل لِمَنْ اصبحت الدنيا همّه ، والخطايا عمله ، كيف يفتضح غداً بذنبه ؟!)(٣٤١) .

اما الأئمة عليهم السلام ، وفي مقدمتهم امير المؤمنين عليه السلام فما أكثر كلماتهم في التزهيد في الدنيا ومنع الناس من ان يقعوا في حبائلها ، مما تؤدي بدنياهم وآخرتهم .

قال امير المؤمنين عليه السلام ـ بعد ما قيل له : صف لنا الدنيا ـ :

« وما أصف لك من دار مَنْ صحَّ فيها سقم ! ومن آمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ! ومن استغنىٰ فيها افتُتِن ! في حلالها الحساب ! وفي حرامها العقاب ! »(٣٤٢) .

وقال عليه السلام : « إنما مثل الدنيا كمثل الحية : ما ألين مسها ، وفي جوفها السم الناقع ، يحذرها الرجل العاقل ، ويهوي اليها الصبي الجاهل »(٣٤٣) .

وقال عليه السلام : « ما أصِف من دار أوّلها عَناء ، وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، من استغنىٰ فيها فُتنِ ، ومن افتقر فيها حزَن ومَنْ ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن بصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته »(٣٤٤) .

وقال عليه السلام : « أرفض الدنيا فإن حبَّ الدنيا يُعمي ويُصِم ، ويُبكِم ويذلّ الرقاب ، فتدارك ما بقي من عمرك ، ولا تقل غداً وبعد غد ! فإنما هلك من كان قبلك باقامتهم علىٰ الأماني والتسويف ، حتى أتاهم امر الله بغتة وهم غافلون ، فنقلوا على أعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة ، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون ، فأنقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه إنكسار ولا انخذال »(٣٤٥) .

وقال عليه السلام : « لا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دارٌ بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، فكل ما فيها الى زوال ، وهي بين أهلها دول وسجال ، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها ، بينا أهلها منها في رخاء وسرور ، إذا هم منها في بلاء وغرور ، أحوال مختلفة وتارات متصرمة ، ألعيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم .

وإنما أهلها فيها اغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها .

واعلموا عباد الله : إنكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ، ممن كان منكم أطول أعماراً وأشدّ منكم بطشاً ، واعمر دياراً ، وأبعد آثاراً ، فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها ، وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية ، إستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة ، في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والأخوان ، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار .

وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلاء ، وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد نضارة العيش رُفاتاً ؟ فجمع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراث وظعنوا فليس لهم إيأب ، هيهات ! هيهات ! .

﴿ كلا ، إنّها كَلِمةٌ هو قائلها ، ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبْعثَون ﴾(٥٦)

فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع وكيف بكم لو عاينتم الأمور ، وبُعثِرَتْ القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم

الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار ؟! هنالك ﴿ لتَجُزْىٰ كل نفس بما كسبت ﴾[٥٧] . »(٣٤٦) .

وقال عليه السلام : « اوصيكم بتقوى الله ، والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها ، المبلية اجسامكم ، وانتم تريدون تجديدها فإنما مثلكم ومثلها : كمثل قوم في سفر ، سلكوا طريقاً وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم ، فكأنهم قد بلغوه ، وكم عسى ان يجري المجرى حتى ينتهي الى الغاية ، وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا ، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها ، فلا تجزعوا لبؤسها وضَرّائها ، فإنه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه الى زوال ، وعجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه . وغافل وليس بمغفول عنه !! »(٣٤٧) .

وقال الامام زين العابدين عليه السلام : (إنَّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإنَّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنونٌ ، فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، ألا إنَّ الزاهدين في الدنيا : اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، وقرّضوا من الدنيا تقريضاً ، ألا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات !

ألا أن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين ، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة ، فصاروا بعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافّون اقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون الى ربهم ، يسعون في فكاك رقابهم ، وأما النهار فحلماء علماء ، بررة اتقياء كأنهم القداح قد برأهم الخوف من العبادة ، ينظر لها الناظر فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ،! أم خولطوا ؟! فقد خالط القوم امر عظيم : من ذكر النار وما فيها !! »(٣٤٨) .

وقال عليه السلام : « ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من بغض الدنيا ، وأنّ لذلك لشعباً كثيرةً ، وللمعاصي شعباً : فأوّل ما عُصِيَ الله به : الكِبْر معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين ، ثم الحرص : وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عزّ وجلّ لهما : ﴿ فكُلا من حيثُ شِئْتما ولا تَقربا هذه الشجرة فتكونا من الظَالمين﴾(٥٨) فاخذا ما لا حاجة بهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة ، وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه(*) .

ثم الحسد : وهي معصية أبن آدم ، حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك : حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعَنْ كلهنّ في حبّ الدنيا فقال الانبياء والعلماء : ـ بعد معرفة ذلك ـ حب الدنيا رأس كل خطيئة .

والدنيا : دنياآن دنيا بلاغ ودنيا ملعونة »(٣٤٩) .

وقال الامام الباقر عليه السلام لجابر : « يا جابر انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه ، يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا ؟؟ هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة اصبتها ؟؟ يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الآخرة يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدنيا أهل غفلة وكان المؤمنون ـ وهم الفقهاء ـ أهل فكرة وعبرة لم يُصممهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بأذانهم ولم يُعممهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم »(٣٥٠) .

(*): العصيان في اللغة مخالفة الأمر ولو كان ارشاديا كما يقول الطبيب امرته فعصاني والأمر بتجنب الشجرة كانت ارشادية للبقاء في الجنة كما في سورة طَهَ ﴿ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً ، حتى يقتله »(٣٥١) .

وقال عليه السلام : « فيما ناجى الله عز وجل به موسى : يا موسى لاتركُنْ الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأماً ، يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى نافس في الخير أهله واستبقهم اليه فإن الخير كأسمه ! واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا ولا تغبط احداً بكثرة المال فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطنّ احداً يرضى الناس عنه حتى تعلم ان الله راضٍ عنه ، ولا تغبطن مخلوقاً بطاعة الناس له فإن طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه »(٣٥٢) .

واوحى الله الى موسى وهارون ـ لما أرسلهم الى فرعون ـ! (ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا ، يعرف فرعون ـ حين يراها ـ ان مقدرتها تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكن ارغب لكما عن ذلك وازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لأزويهم عن نعيمها كما يزوي الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة واني لاجنبهم عيش سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مواقع الغرة وما ذلك لهوانهم عليَّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى »(٣٥٣) .

وقال الامام الكاظم عليه السلام : « قال ابو ذر رحمه الله : جزى الله الدنيا عني مذمة ، بعد رغيفين من الشعير : اتغذي باحدهما ، واتعشى بالآخر ، وبعد شملتي الصوف : اتزر باحداهما ، وأتردى بالأخرى) (٣٥٤) .

وقال لقمان لابنه : يا بني بعّ دُنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً .

وقال له : « يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها أُناس كثير ،

فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان وشراعها التوكل على الله لعلك ناجٍ . . وما اراك ناجياً !!! » .

وقال ابو عبد الله عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه : « يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبقَ ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له وإنما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل ، ووعدت عليه اجراً فأوفِ عملك واستوفِ اجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فأكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر ، جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر أخْربها ولا تُعِمرْ فانك لم تؤمر بعمارتها(*) .

واعلم انك ستسأل غداً اذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن اربع :

- شبابك فيما ابليته ؟
- وعمرك فيما افنيته ؟
- ومالك مما اكتسبته ؟
- وفيما انفقته ؟

فتأهب لذلك ! واعد له جواباً ! ولا تأْسَ على ما فاتك من الدنيا فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرك وجدَّ في امرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك ، وجدد التوبة في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يُقصد قصدك ويقضي قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد)(٣٥٥) .

اتريد اكثر من هذا ؟ وان تعجب . . فأعجب من الانسان كيف يصم عن جميع هذه الحِكَم . . . ويسرع وراء هلاكه ؟ يجمع الدنيا من الغش والخيانة . . والربا والفلول . . والغصب والفجور . . والعاقبة القبر والنهاية الحساب . . .

(*) عمارة المترفين من كل حل وحرام .

المـــال

وهل هناك احد لا يحب المال ؟ كلا ! كلٌ يحب المال ولكن فرق بين حب المال بميزان وحبٌ للمال بغير ميزان !! ان الحب الذي يكون في اطار من الحكمة : بأداء الحقوق ، وعدم السرف وعدم جعله شبكـة لصيد امـوال المعوزين فضيلة ، وإلا لم يكن تقام الدنيا ، أما الحب الذي يعمي ويصم ويفسد ويخبل فإنه رأس الرذائل .

وقد حدد الاسلام موقف المال من السعادة الاخروية بكلمـات قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(يُجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وما له بين يديه كلما يكفأ به الصراط قال له : إمضِ وقد أديتَ حق الله في . ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها ، وما له بين كفيه كلما يكفأ به الصراط قال له ما له : ويلك اما اديت حق الله فيّ ؟ ! فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور !!)**(٣٥٦) .

وفي الآيات والآثار كثرة هائلة من الـطرفين ، ففي جملة منهـا مدح للمال ، ويقصد به القسم الأول . . وفي جملة ذم له ، ويقصد به القسم الثاني .

يقول الله تعالى : ﴿ إنْ تَرك خيراً ﴾(٥٩) فالخير هو المال .

ويقول تعالى ـ ممتناً على البشر ـ : **﴿ ويمددكم بأموالٍ وبنين ، ويَجعلْ لكُمْ جناتٍ ويَجعل لكم أنهاراً ﴾**(٦٠) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : **(نعم المال الصالح للرجل الصالح)**(٣٥٧) .

الى غير ذلك .

واما القسم الثاني فاليك جملة منها :

يقول تعالى : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا ! لا تُلْهِكم أموالَكم ولا أولَادكم عن ذِكْر الله ومَنْ يَفعلْ ذلك فأولئكِ همُ الخَاسِرون ﴾[٦١] .

ويقول : ﴿ واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها ، وتركوك قائماً ، قل : ما عِنْدَ الله خيرٌ من اللهَوِ ومِنَ التِجارة﴾[٦٢] .

ويقول : ﴿ إنما أموالُكم وأولادُكم فِتْنة﴾[٦٣] .

ويقول : ﴿ألمالُ والبنون زِينةُ الحياةِ الدنيا﴾[٦٤] .

وقد رأيت التلميح في جميعها الى المال الشائن ، أما الأخبار في ذم هكذا أموال فهذه نبذة منها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (حب المال والشرف : ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل)(٣٥٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم)(٣٥٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (شر امتي الاغنياء)(٣٦٠) أتدري لِمَ ذاك ؟ لأنك لا تجد من كل ألف منهم إلا بعض نفر يؤدون الحقوق التي فرضتها الشريعة الاسلامية .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يقول الله تعالى : يقول ابن آدم : مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ! أو اكلت فافنيت ؟ أو لبست فأبليت ؟)(٣٦١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اخلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه الى قبض روحه : وهو ماله ، وواحد يتبعه الى قبره : وهو اهله ، وواحد يتبعه الى محشره : وهو عمله)(٣٦٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم**)(٣٦٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لكل امة عجل ، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم**)(٣٦٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**يؤتى برجل يوم القيامة ، وقد جمع مالاً من حرام ، وانفقه في حرام فيقال : اذهبوا به الى النار .**

ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال ، وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار .

ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حرام وانفقه في حلال فيقال : اذهبوا به الى النار .

ويؤتي برجل قد جمع مالاً من حلال ، وأنفقه في حلال ، فيقال له : قف !!

لعلك قصرت في طلب هذا لشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها ؟! فيقول : لا يا ربِّ كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئاً مما فرضت !!

فيقال : لعلك اختلت في هذا المال في شيء ، من مركب أو ثوب باهيت به ؟! فيقول : لا يا ربِّ لم أباهِ في شيء !!

فيقال : لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ؟! فيقول : لا يا ربِّ لم أضيعْ حق احد امرتني ان اعطيه !! فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون : يا رب اعطيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا ؟!

فإن كان قد اعطاهم ، وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض ، ولم يختل في شيء ، فيقال : قف الآن ، هات شكر نعمة انعمتها عليك : من اكلة أو شربة أو لقمة أو لذة . . !! فلا يزال يسأل)(٣٦٥) .

أكل هذا حق ؟ فأين نحن من هذا الحق ؟ .

ولا يزعم احد ان هذه الروايات تزهد في اكتساب المال ، انها ليست كذلك بل تزهد في الاكتساب المحظور . قال امير المؤمنين عليه السلام : « لو ان رجلاً اخذ جميع ما في الارض وأراد به وجه الله ، فهو زاهد !! ولو ترك الجميع ، ولم يرد وجه الله ، فليس بزاهد .

* * *

الـــزُّهـــدُ

جاء احد الزُّهاد الى سلطان مُتْرَف وهو في بذخه وسرفه وجاهه وإمْرَتَه فالتفت اليه السلطان قائلاً : انت زاهد ؟ قال الزاهد : وانت ازهد مني ! قال الملك : وكيف؟ قال الزاهد لأني زهدت في الدنيا الفانية ، وانت زهدت في الآخرة الباقية !

ان القصة على قصرها تعرفنا بمعنى الـزهد : انـه ترك لشيء رغبـة عنه . . . ويراد من الزهد في الدنيا ، الانصراف عن ملاذهـا المحظورة ، وشهـواتها الممقـوتة . . امـا ترك الـدنيا فليس من الـزهد ، إنمـا هو حمق وانحراف .

ولكن حيث ان الناس يتهافتون على الدنيا ولذاتها تهافت الفراش في النار ، جذب الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام الزمام كثيراً حتى يعتدل السير ، كراكب الدابة الجاذب زمامها بشدة في مواطن الهلكة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه صنيعته ، وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة)(٣٦٦)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فأستمع منه فإنه يلقن الحكمة)(٣٦٧)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا)(٣٦٨)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس)(٣٦٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يا علي ، من عرضت له دنياه وآخرته ، فأختار الآخرة وترك الدنيا ، فله الجنة ، ومن اختار الدنيا إستخفافاً بآخرته فله النار)(٣٧٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتَجَبرُ ، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل ، ولا المحبة إلا باستخراج الدين وإتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم ، فصبر على الفقر ، وهو يقدر على الغنى ، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل ، وهو يقدر على العز ، لا يريد بذلك إلا وجه الله ، أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً ممّن صدّق بي)(٣٧١) .

قال (ص) يا ابن مسعود : (فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فإن النور إذا وقع في القلب انشرح وانفسح قيل يا رسول الله : وهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم .. التجافي عن دار الغرور والأنابة الى دار الخلود والأستعداد للموت قبل نزوله)(٣٧٢) .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (استحيوا من الله حق الحياء) قالوا : إنّا لنستحي منه تعالى ! قال : (ليس كذلك تبنون ما لا تسكنون ؟ وتجمعون ما لا تأكلون ؟) (٣٧٣) .

وقَدِم اليه صلى الله عليه وآله وسلم بعض الوفود . . فقالوا : إنّا مؤ منون ! قال صلّى الله عليه وآله وسلم : (وما علامة إيمانكم ؟) فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء ! ! فقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون) (٣٧٤) .

فهذه الخصال هي الزهد وقد جعلها صلى الله عليه وآله وسلم من مكملات الايمان .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من جاء بـ (لا إله إلا الله) لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة)(٣٧٥) .**

وفسر (غيرها) بحب الدنيا وطلبها .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه فأنطق بها لسانه ، وبصرّه بعيوب الدنيا ودائها ودوائها وأخرجه منها سالماً الى دار السلام)(٣٧٦) .**

وروي : **(ان بعض زوجاته بكت مما رأت به من الجوع وقالت له يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك ؟ فقال : والذي نفسي بيده لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غِناها وحزن الدنيا على فرحها ، ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، ان الله لم يَرضَ لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرضَ لي إلا ان يكلفني مثل ما كلفهم فقال : ﴿ واصْبِرْ كما صَبِرَ أُولوا العَزْم من الرُسُل﴾(٦٥) والله ما لي بد من طاعته واني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله)(٣٧٧) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(لا يستكمل العبد الايمان ، حتى يكون ألا يعرف أحب اليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته)(٣٧٨) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إذا أراد الله بعبد خيراً فقهّه في الدين ، وزهده في الدنيا وبصرّه بعيوب نفسه)(٣٧٩) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار ترك الشهوات ومن ترقب الموت أعرض عن**

اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات)(٣٨٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان ربي عز وجل عرض عليَّ : ان يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ؟ فقلت : لا يا رب ، ولكن اجوع يوماً واشبع يوماً ، فأما اليوم الذي اجوع فيه ، فأتضرع اليك ، وأدعوك ، وأما اليوم الذي اشبع فيه ، فأحمدك واثني عليك)(٣٨١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (قال الله تعالى : ان من أغبط أوليائي عندي : رجلاً خفيف الحال ، ذا حظ من صلاة ، احسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس ، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه)(٣٨٢) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : « ثلاثة : زاهد ، وصابر ، وراغب فاما الزاهد فقد خرجت الأحزان والافراح من قلبه ، فلا يفرح بشيء من الدنيا ، ولا يأسى بشيء منها فاته فهو مستريح ، وأما الصابر فإنه يتمناها بقلبه ، فاذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشنأتها ولو اطلعت على قلبه ، لعجبت من عفته وتواضعه وحزمه ، وأما الراغب فلا يبالي من اين جاءته الدنيا من حلها أو حرامها ، ولا يبالي ما دَنَّس فيها عرضه وأهْلَكَ نفسه واذهب مروءته فهم في غمرتهم يعمهون ويضطربون »(٣٨٣) .

وقال عليه السلام : « ان من أعوان الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا »

وقال عليه السلام : « من جمع ست خصال ، لم يدْع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً : عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الدنيا فتركها وعرف الآخرة فطلبها ، وعرف الباطل فأتقاه وعرف الحق فأتبعه »(٣٨٤) .

وقال عليه السلام : « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف النار لهي عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا ، هانت عليه المصيبات »(٣٨٥) .

وقال عليه السلام : « ان علامة الراغب في ثواب الآخرة : زهده في عاجل زهرة الدنيا أما إنّ زُهْد الزاهد في هذه الدنيا ، لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإنْ زهد ، وإنّ حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وإنْ حرص فالمغبون من حرم حظه من الآخرة »(٣٨٦) .

وقال زين العابدين عليه السلام : « ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من بغض الدنيا »(٣٨٧) .

وقال الباقر عليه السلام : « اكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر انسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا »(٣٨٨) .

وقال عليه السلام : « قال الله تعالى : وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يُؤثر عبد مؤمن هَوَاي على هواه في شيء من امر الدنيا إلا جعلت غناه في نفسه وهمته في آخرته وضمنت السماوات والأرض رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر » (٣٨٩)

وقال عليه السلام : « اعظم الناس قدراً من لا يتناول الدنيا في يدِ مَنْ كانت فمن كَرمُت عليه نفسه صَغُرت الدنيا في عينيه ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه »(٣٩٠) .

وقال الصادق عليه السلام : « جُعل الخير كله في بيت وجُعِلِ مفتاحه الزهد في الدنيا »(٣٩١) .

وقال عليه السلام : « ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيء من الدنيا الا يكون فيها خائفاً جائعاً»(٣٩٢) .

وقال عليه السلام : « إذا أراد الله بعبد خيراً : زهده في الدنيا وفقهه في الدين ، وبصره عيوبها ومن أوتيهنَّ فقد أُوتيَ خير الدنيا والآخرة »(٣٩٣) .

وقال عليه السلام : « لم يطلب احد الحق بباب افضل من الزهد في

الدنيا ، وهو ضد لما طلب اعداء الحق »(٣٩٤) أي الرغبة فيها .

وقال عليه السلام : « ألا من صبار كريم ؟ فأنما هي أيام قلائل إلا أنه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا »(٣٩٥) .

وقال عليه السلام : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار ، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ، ولا عوض منها بل يرى فوتها راحة ، وكونها آفة ، ويكون ابداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا ، والذل على العز ، والجهد على الراحة ، والجوع على الشبع ، وعافية الأجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة (٣٩٦) .

وقال الرضا عليه السلام : « مَنْ أصبح وأمسى مُعافاً في بدنه ، آمناً في سربه : عنده قوت يومه فكأنما خُيِرَتْ له الدنيا »(٣٩٧) .

هذه جملة من روايات الزهد .

وقد اكثر الانبياء والأئمة عليهم السلام قولاً وعملاً في هذا الباب حتى ليظن الظان انهم يسوقون الناس الى تخريب الدنيا كما زعمت الصوفية ولكن الأمر بالعكس انهم يريدون عمارة الدنيا عمارة معتدلة لا غلو فيها ولا تفريط فكل غلو وتفريط تنكب عن الطريق و هلاك عاجل مع الغض عما يترتب عليه من خسارة الدار الآخرة .

فالماديون يتكالبون على الحطام وبذلك تصبح الدنيا بؤرة من القذارات الخلقية ، وأتوناً من الحروب المدمرة والكنيسيون الراهبون وأهل التصوف يطوون عن الدنيا كشحاً ، وبذلك تخرب الأرض وقد ارادها الله عامرة .

اما الاسلام فأنه يحب الوسط وفي سيرة الرسول والأئمة خير شاهد لذلك انهم (ع) وان اخذوا انفسهم بالزهد ولكنهم لم ينسوا نصيبهم من الدنيا .

وفي ظل مَنْ عمُرَت الدنيا وازدهرت الحضارة الحقيقية التي لم يَرَ العالم لها مثيلاً قبل الاسلام ولا من حين خلعت ربقة الاسلام من عنقه منذ نصف قرن ـ تقريباً ـ؟! انه في ظل الاسلام .

﴿ ربَّنا آتِنا في الدنيا حَسنةً وفي الآخرة حسنةً﴾[٦٦] .

وليس معنى هذه الأحاديث ترك الدنيا وإنما معناها عدم التكالب عليها وهذا هو مقتضى الجمع بين هذه الاخبار وبين غيرها اما من ينظر الى هذه فقط أو تلك ـ مما تدل على الغنى والدنيا ـ فقط فهو كبنّاء يريد ان يبني داراً من الأجْر فقط أو الجصُ فقط عمارته موهومة وبناؤه مزعوم .

﴿ سبُحانَ ربِّك ربِّ العِزَّة عما يَصفِون وسَلامٌ على المُرْسلَين والحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[٦٧] .

الجزء الثاني

مقدّمة الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلامٌ على محمد وآله .

وبعد : هذا هو الجزء الثاني من كتاب (الفضيلة الاسلامية) بقلم محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي أهدي ثوابه الى روح سيدي الوالد طاب ثراه الذي كان هو الآمر بكتابته . . انه قدس الله تربته لما قَدمْتُ إليه (الاخلاق الاسلامية) قال : هذا شطر من الاخلاق وحبذا اليَّ أن اكتب كتاباً على غراره يحوي الاخلاق الاسلامية بكاملها .

لكن قصور قلمي وفتور همتي حال دون ان اعجل في الأمر ليرى قدس سره هذا الكتاب في هذه الحياة . . ولعل الله سبحانه يتفضل عليَّ بالقبول ، ويبعثه الى روحه الطاهرة في جنان الخلد .

اللهم اني ارغب اليك في ان تملأ مرقده فضلاً وإحساناً وروحاً وريحاناً ، ومغفرة ورضواناً ، وان تبلغه مني تحية وسلاماً .



الغِنىٰ والفَقْــر

الاسلام لا يبغض الغنى ، ولا يحب الفقر بذاتهما . . وإنمـا يبغض ويحب ما يقارنهما فالغني - اكثرياً - بعيد عن المثل الاسلامية يبخل بمعروفه ويمنع رفده ، ويُؤذي الناس بثروته ، إنه بما أُوتيَ من ثروة ، يزعم ان له وزناً ، فيتعالى ويتكبر ، ويجثم على الدنيا والدرهم ، كالأفعى فوق الكنز .

وهكذا غِنىً عدمه خير من وجوده ، وأي عاقل يرجح لنفسه المثـل السفلى ، ولعامة الناس الايذاء والأهانة ؟ مما يصاحب الغنى دائماً .

وهناك الفقر ، يُصْهرِ في الانسان غالب الصفات الذميمة : كالكبر ، والنخوة والغرور . . . كما يمنع الانسان عن كثير من المـوبقات : كـالفساد والرياء والاعتلاء بالأضافة الى انه لا يؤذي المجتمع .

ان هاتين لمـا كانت مـلازمتين - في الأغلب - للغِنىٰ والفقـر وردت الاحاديث بذم الغنى ومدح الفقر . لا لذاتهما بل لعوارضهما يقول القـرآن الحكيم : ﴿ **إنّ الإنسان لَيطغىٰ إنْ رآه آستغنىٰ** ﴾[٦٨] فالطغيان علة ذم الغنى لا بذاته ، بل الغنى محبوب في نظر الاسلام بذاته والفقر مذموم بذاته اذ الغنى بنفسه سبب لكل بر وخير ، والفقر سبب للحرمان من كثير من المثوبات .

فالصدقة ، والضيافة ، وعمارة المساجد ، وبنـاء المدارس ، والخمس والزكاة والصلة ، والبر ، وتشييد المـلاجىء والمستشفيات ، واعـلاء شعائـر المشاهد والحج والزيارات ، وما اليها لا تكون إلا بالمال . والفقير محروم من غالبها ولذا يقول الرسول الأعظم صلى الله غليه وآله وسلم : **(نعم العون على الدين الغنىٰ)** وفي الحديث **(كاد الفقر ان يكون كفراً)**(٣٩٨) .

أما حيث ان طبيعة الغنى والفقر تُلازِمان ـ في الأغلب ـ صفات ذميمة بالنسبة الى الأول ، وخصال حسنة بالنسبة الى الثاني ، كما يشهد بذلك أقل نظرة الى المجتمعات ، قورن الغنى في كثير من الأحاديث بالضعة ، والفقر بالرفعة .

وهاك جملة من الأحاديث التي ترى في كثير منها الالماح الى ما ذكر :

قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي امتك اشر ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم (**الاغنياء**)(٣٩٩)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لبلال : (**إلقَ الله فقيراً ولا تَلْقه غنياً**)(٤٠٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**يدخل فقراء أُمتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام**(٤٠١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**أطلعت على الجنة ، فرأيت اكثر أهلها الفقراء وأطلعت على النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء**)(٤٠٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**خير هذه الأمة فقراؤها ، واسرعها تصعداً في الجنة ضعفاؤها**)(٤٠٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**اللهم أحْيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشُرْني في زمرة المساكين**)(٤٠٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنَّ لي حرفتين اثنتين ، فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني : الفقر والجهاد**)(٤٠٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**الفقر ازين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس**)(٤٠٦) .

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الفقر ؟ فقال : (**خزانة من خزائن الله**)(٤٠٧) .

وسئل ثانياً ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (كرامة من الله)(٤٠٨) .

وسئل ثالثاً ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (شيء لا يعطيه الله إلا نبياً مرسلاً أو مؤمناً كريماً على الله)(٤٠٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنَّ في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ، ينظر اليها أهل الجنة ، كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء ، لا يدخل فيها إلا نبي فقير أو مؤمن فقير)(٤١٠) .

وقال عليه السلام : (الناس كلهم مشتاقون الى الجنة ، والجنة مشتاقة الى الفقراء)(٤١١) .

وقال عليه السلام : (الفقر فَخْري)(٤١٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (تحفة المؤمن في الدنيا الفقر)(٤١٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الاخ الى اخيه في الدنيا ، فيقول : وعزتي وجلالي ، ما زويت الدنيا عنك لهوانك عليَّ ، ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرجْ يا عبدي الى هذه الصفوف ، فمن أطعمك فيَّ أو كساك فيَّ يريد بذلك وجهي ، فخذ بيده ، فهو لك ، والناس يؤمئذٍ قد الجمهم العرق ، فيتخلل الصفوف ، وينظر من فعل ذلك به ويدخله الجنة)(٤١٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اكثروا معرفة الفقراء ، واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة) وقالوا : يا رسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : (اذا كان يوم القيامة فقيل لهم : انظروا الى من اطعمكم كسرة . أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً ، فخذوا بيده ، ثم امضوا به الى الجنة)(٤١٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ؟)(٤١٦) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : (كل ضعيف مستضعف ،

أغبر اشعث ذي طمرين ، ، لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره)(٤١٧) .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل فقير ، ولم يَرَ له شيئاً فقال : (لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم)(٤١٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اذا ابغض النـاس فقراءهم ، واظهروا عمارة الدنيا ، وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير ، رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والجناية من ولاة الحكام ، والشوكة من الاعداء)(٤١٩) .

وروي : انه ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش : يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك .

وروي عن عيسى المسيح عليه السلام انه قال : (بشدة يدخل الغني الجنة)(٤٢٠) .

وقـال عليـه السـلام : « إنَّ أحبَّ الاسـامي إليَّ : أنْ يقـال : يـا مسكين »(٤٢١) .

وقال لقمان لابنه : « لا تحقرن احداً لخرقان ثيابـه فإن ربـك وربه واحد » .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « اذا كان يوم القيامة امر الله تعالى منادياً ينادي بين يديه(*) اين الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس كثير فيقول : عبادي فيقولون : لبيك ربنا ، فيقول : إني لم أُفقِرْكم لهونٍ بكم عليَّ ولكن انما اخترتكم لمثل هذا اليوم ، تصفحوا وجوه الناس فمن صنع اليكم معروفاً لم يصنعه إلا فيَّ ، فكافوه عني بالجنة »(٤٢٢) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « لولا إلحاحُ المؤمنين على الله في طلب الرزق لنقلهم من الحال التي هم فيها الى حال اضيق منها »(٤٢٣) .

(*) أي من الناحية التي يتوجه الأمر منها .

وقال عليه السلام : « إنَّ فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفاً . ثم قال عليه السلام : سأضرب لك مثل ذلك . إنما مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر ، فنظر في احدهما فلم يرَفيها شيئاً . فقال : إسربوها ونظر في الأخرى ، فاذا هي موقرة ، فقال احبسوها »(٤٢٤) .

وقال عليه السلام : « إنَّ الله جل ثناؤه ليعتذر الى عبده المؤمن المِحْوَج في الدنيا ، كما يعتذر الاخ من اخيه فيقول : وعزتي وجلالي ، ما احوجتُكَ في الدنيا من هوانٍ كان بك عليَّ فأرفع هذا السجف فانظر الى ما عوضتك من الدنيا قال : فيرفع فيقول : ما ضرني ما منعتني مع ما عوضتني ؟! »(٤٢٥) .

وقال عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة قام عنق ىن الناس حتى يأتوا باب الجنة ، فيضربوا باب الجنة فيقال لهم من انتم ؟ فيقولون نحن الفقراء فيقال لهم : أقبلوا الحساب فيقولون : ما أعطيتمونا شيئاً حتى تحاسبونا عليه فيقول الله عز وجل : صدقوا ادخلوا الجنة »(٤٢٦) ,

وقال عليه السلام ـ لبعض اصحابه ـ : « أما تدخل السوق ؟ أما ترى الفاكهة تُباع والشيء مما تشتهيه ؟ فقلت : بلى فقال اما ان لك بكل ما تراه فلا تقدر على شرائه حسنة »(٤٢٧) .

وقال الامام الكاظم عليه السلام : « إنَّ الله عز وجل يقول : اني لم أُغنِ الغني لكرامة به عليَّ ولم أُفقِر الفقير لهوانٍ به عليَّ ، وهو مما ابتليت به الاغنياء بالفقراء ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة »(٤٢٨) .

وقال الامام الرضا عليه السلام : « من لَقيَ فَقيراً مسلماً وسلم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان »(٤٢٩) .

* * *

ولكن اللازم على الفقير ان يكون صابراً راضياً بقسم الله تعالى ولا يكسل عن التحصيل . وإلا فليس الفقر بمجرده ممدوحاً ،؛ وإنما مدحه لما

يلازمه من رقة القلب وصَهْر الروح ، والتواضع وما اليها. أما اذا كان الفقير ناقماً على الله أو جزوعاً أو يكسل عن الطلب ، ويُلْقي كَلَّه على الناس فهو من مصداق ما ورد « الفقر سواد الوجه في الدارين » .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**يا معشر الفقراء اعطوا الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم**)(٤٣٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنَّ أَحَب العِباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى**)(٤٣١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضياً**)(٤٣٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**يقول الله تعالى - يوم القيامة- اين صفوتي من خلقي ؟ فيقول الملائكة : مَنْ هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون**)(٤٣٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**طوبى للمساكين بالصبر ، وهم الذين يرون ملكوت السموات والأرض**)(٤٣٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من جاع أو احتاج فكتمه عن الناس وافشاه الى الله تعالى كان حقاً على الله : أنْ يرزقه رزق السنة من الحلال**) .(٤٣٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنَّ لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء والصابرين وهم جلساء الله يوم القيامة**) (٤٣٦) بمعنى أنّهم كالجليس الذي يقدر حق قدره .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ لعلي امير المؤمنين عليه السلام ـ :(**يا علي ان الله جعل الفقر امانة عند خلقه ، فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل اجر**

الصائم القائم ومن افشاه الى من يقدر على قضاء حاجته ، فلم يفعل فقد قتله ! أما أنه ما قتله بسيف ولا برمح ولكنه قتله بما نكى من قلبه)(٤٣٧) .

ورُويَ : (ان الله اوحى الى اسماعيل (ع) : اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي قال : ومن هم ؟ قال الفقراء الصادقون ؟)(٤٣٨) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : « إنَّ لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة : أنْ يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ، ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته اذا كان عقوبة أنْ يسوء عليه خلقه ، ويعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط بالقضاء »(٤٣٩) .

السـؤال

يكره الاسلام السؤال أشدَّ كراهية ويذم السائل ذماً كبيراً ولِمَ يسأل الانسان؟ وقد أتاح له القدر فرصة الاكتساب والخدمة نعم اذا اضطر فلا بأس عملاً بقوله تعالى: ﴿ إلا ما اضطررتم﴾ وفي الحديث: (ما من شيء حرَّمه الله تعالى إلا وقد احله لمن اضطر اليه).

أما غالب الفقراء الذين يسعُهم الكسب والعمل ويحبون البطالة ويلقون كَلّهمْ على الناس، فهم في نظر الاسلام مجرمون من حيث البطالة ومن حيث إلقاءُ أنْفُسهم على الناس.

ومن ظرائف ما ينقل: «إن الميرزا الشيرازي الكبير الحاج السيد محمد حسن رحمه الله مَرَّ على فقير تام الخلقة، وافر النشاط، فاعطاه درهماً ليمد يده، ففعل ودرهماً ثانٍ ليمد رجله ففعل، ودرهماً ثالثاً ليقوم ويمشي ففعل فقال له الميرزا: فلماذا تكسل عن العمل وتُلَقي كلَّك على الناس؟!».

أما الأعانة مع مثل هؤلاء - إنْ علم الشخص بحالهم لا ان يعمل بالظن - فإن لم يكن من الاعانة على الحرام فإنه إعانة على المكروه وموجبة لتماديهم في الغِنىَ.

وعلى أيٍ فالاسلام يَنْهي عن هكذا سؤال.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**مسألة الناس من الفواحش**)(٤٤٠).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**من سأل عن ظهر غني فإنما يستكثر من جمر جهنم ومَنْ سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع**

ليس عليه لحم)(٤٤١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(مَنْ سأل الناس وعنده قوت ثلاثة أيام لَقِي الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم)(٤٤٢) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما من عبد فتح على نفسه باباً من المسألة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر)(٤٤٣) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إنَّ المسألة لا تَحلُّ إلا لفقر مُدْقِعٍ أو غُرْمٍ مفظع)(٤٤٤) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(السؤال عن ظهر غنى صداع في الرأس وداء في البطن)(٤٤٥) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(مَنْ سأل الناس اموالهم تكثراً ، فإنما هي جمرة ، فليستقل منه أو ليستكثر)(٤٤٦) .**

وكان صلى الله عليه وآله وسلم : غالباً يأمر بالتعفف عن السؤال ويقول : **(مَنْ سألَنا أعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومَنْ لم يسألنا فهو أحبُّ الينا)(٤٤٧) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما قَلّ من السؤال فهو خير)** قالوا ومنك يا رسول الله ؟ قال : **(ومني ولو ان احدكم اخذ حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويُكِفُّ بها وجهه خير له من أنْ يسأل)(٤٤٨) .**

وتدري لِمَ السؤال مكروه حتى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ انه يوجب مهانة النفس وضعف الثقة بالذات ، أما مَنْ يعتمد على نفسه ، ويُلقي بذاته في ضوضاء العمل فإنه قلما يفشل ، ولو كان العمل الاحتطاب والاحتشاش أما رأيت عمياناً يعملون ؟ انهم لثقتهم بأنفسهم وصلوا الى هذا الحد وأمام نظري الآن صورة رجل عُمِيَ بالجدري في الرابعة من عمره ومع ذلك فهو يُعدُّ من اكبر الكُتَّاب الآن وله كُتُبٌ جَنَىَ منها ثروة طائلة .

وقال الامام السجاد عليه السلام : « **ضمنت على ربي انه لا يسأل أحدٌ أحداً من غير حاجة ، إلا اضطرته المسألة يوماً الى ان يسأل من حاجة** »(٤٤٨) .

ونظر عليه السلام يوم عرفة الى رجال ونساء يسألون فقال : « **هؤلاء شرار خلق الله !! الناس مقبلون على الله ، وهم مقبلون على الناس** »(٤٥٠) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **اقسم بالله وهو حق : ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر** »(٤٥١) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **مَنْ سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر** »(٤٥٢) .

* * *

والاسلام يكره السؤال مطلقاً ولو سؤال عن المال باستثناء العلم ، الذي يُمْدَحُ السؤال فيه كما قال تعالى : ﴿ **فأسئلوا أهلَ الذِكْرِ** ﴾(٦٩) وذلك لأن الاسلام يريد من الناس النشاط والعمل والاعتماد على النفس والاعتزاز بالذات أما السؤال عن السؤال والقاء النصب عليهم فهو خلاف الرجولة والمروءة .

روي : (**انه جاء فخذ من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا يا رسول الله إنَّ لنا اليك حاجة ؟ فقال هاتوا حاجتكم فقالوا انها حاجة عظيمة ؟ فقال هاتوها ما هي ؟ قالوا تضمن لنا على ربك الجنة ! فنكس رأسه ثم نكث في الأرض ثم رفع رأسه فقال أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحداً شيئاً**)(٤٥٣) .

فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره ان يقول لانسان ناولنيه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء اقرب الى الماء منه ، فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب .

وبايَع صلى الله عليه وآله وسلم قوماً على الاسلام ، فأشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لهم خفية : ولا تسألوا الناس شيئاً . . فكان بعد ذلك تقع المخصرة من يد احدهم ، فينزل لها ، ولا يقول لأحد : ناولنيها » .

وقد حدثني سماحة السيد محسن الحكيم دام ظله : انه كان بخدمة الميرزا الشيرازي الثاني الشيخ ميرزا محمد تقي (ره) ، حين تشرفه الى السهلة ، ومعه جم غفير ، قال : ولما خرج من المسجد ومشى ما يقرب من غلوة سهم واذا به يرجع قافلاً وسألوا عنه هل من حاجة ؟ فلم يقل شيئاً حتى وصل الى مكانه الذي بارحه - من المسجد - واذا به قد نسي شيئاً هناك فاخذه وخرج الى مقصده وكان ذلك منه (ره) كراهية ان يكلف احداً ولو بمثل هذا التكليف البسيط) .

قال الامام الصادق عليه السلام : « **طَلَبُ الحوائج إلى الناس إسْتلاب للعز مَذْهَبة للحياء ، واليأس مما في ايـدي الناس عِـزٌ للمؤمن في دينه ، والطمع هو الفقر الحاضر** »(٤٥٤) .

* * *

وقد يأخذ بعض الناس - وخصوصاً الأغنياء - هذه الأحاديث حجة لبخلهم وعدم اعطائهم للفقير والسائل شيئاً .

فليتذكروا هؤلاء قوله تعالى : ﴿ **وأما السائلَ فلا تَنْهر**﴾[٧٠] وقـوله تعالى : ﴿ **وفي أموالِهِم حَقٌّ معلومٌ للسائلِ والمَحْروم**﴾[٧١] وقوله تعالى : ﴿ **وأطعموا القانع والمعتّر**﴾[٧٢] .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا تردوا السائل ولو بشق تمرة**)(٤٥٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لولا ان السائل يكذب ما قُدِّس مَنْ رَدَّه**)(٤٥٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (للسائل حق وان جاء على فرس)(٤٥٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تردوا السائل ولو بظلف محترق)(٤٥٨) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : (لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل احدٌ احداً ولو يعلم المسؤول ما عليه اذا منع ما منع احدٌ احداً)(٤٥٩) .

فهناك تكليفان :

١ ـ الشخص ان لا يسأل .

٢ ـ المسؤول ان لا يمنع .

أما أن يعتذر به البخلاء من ان الفقراء يكذبون ويلفقون لذلك قصصاً وخرافات فليس ذلك إلا التستر وراء المعاذير تبريراً لموقفهم السلبي وشحهم الكامن وهل ليس في السائلين من لا يملك شيئاً وقد اضطرته الظروف الى السؤال ؟ .

يقال : (ان فقيراً سأل غنياً فنهره وبعد أيام تفقده الغني واذا به في غرفته ميتاً من الجوع وقد أغلق على نفسه الباب !!) .

القَناعــة والحِــرص

من الناس مَنْ تَمكَّن الفقر من قلبه فلا يزال يطلب المزيد وان كانت مفاتيح خزائنه تنوء بالعصبة ذات القوة وإنْ سألته : لِمَ هذا الطلب ؟ رأيته يتمتم في الجواب وأيُّ جوابٍ له ؟ ولو كشفت عن أحشائه لرأيتها مطوية على الفقر .

وبالعكس من هذا مَنْ تمكَّن الغِنىَ في قلبه إنَّه غني وإنْ صفرت يده عن حطام الدنيا فتراه لا يبالي بما فات منه اذا حصل على أيسر عيش وما أهناه من معيشة ؟!

والشخص الاول يسمى بـ (الحريص) كما أن الشخص الثاني يسمى بـ (القَنُوع) .

والاسلام يذم الحِرْص أبلغ ذم .

كما وانه يمدح القناعة أفضل مدح .

إنه يريد ان يقلع جذور الفقر من القلب ، حتى لا يكون للشخص باعث داخلي يوخز ضميره ويقلق راحته ويُسهِد ليله ثم ما المنفعة ؟ انها لا شيء !!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لو كان لأبن آدم واديان من مال لتمنى وادياً ثالثاً ! ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على مَنْ تاب)(٤٦٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (منهومان لا يشبعان : منهوم العلم ، ومنهوم المال)(٤٦١) .

وقال صلى الله عليـه و وآله وسلم : (**يَشِيب ابن آدم وتَشِبُّ فيـه خُصْلَتان : الحرص وطول الأمل**)(٤٦٢) .

وقد مَثَّل الامام الباقر عليه السلام للحريص بأحسن مثال :

قال صلى الله عليه وآله وسلم (مَثَل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كـان ابعد لهـا من الخروج حتى تمـوت غماً)(٤٦٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**رُبَّ حريص على أمر قد شُقِيَ به حين اتاه ورُبَّ كارهٍ لأمر قد سَعُد به حين اتاه**)(٤٦٤) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **إن فيما ينزل به الوحي من السماء لو إنَّ لأبن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضة لأبتغى لهما ثالثاً ، يا ابن آدم ، انما بطنك بحر من البحور ووادٍ من الأودية لا يملأه شيء إلا التراب** »(٤٦٥) .

الى غيرها . . .

وليس الفرق بين الحريص والقنوع ان الأول يركض في طلب الدنيا دون الثاني انما الفرق ان الحريص يجمع قواه لطلب الدنيا ويمنع رفده خوفاً من الانفاق وليس هكذا القنوع انه يطلب الدنيا بقدر ويُؤدي مما يُحمد إداؤه فالحريص يضر نفسه أولاً ، وغيره ثانياً ، بينما القنوع ينفع نفسه ويفيد غيره .

* * *

وقد وردت الآثار في مدح القناعة انها صحة للجسم ، وراحة للنفس ، وبذل للغير فلِمَ لا تكون ممدوحة ؟ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافاً**)(٤٤٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ما من أحد من غني ولا فقير إلا وَدَّ يوم القيامة انه كان أُوتيَ قوتاً في الدنيا**)(٤٦٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أيها الناس إجملوا في الطلب فإنه ليس للعبد إلا ما كُتِبَ له في الدنيا ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة)(٤٦٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (نفث روح القدس في روعي : انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأتقوا الله واجملوا في الطلب)(٤٦٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن قانعاً تكن أشكر الناس وأحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً)(٤٧٠) .

وفي الخبر القدسي احتجاج ظريف قال :

(يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلتُ حسابها على غيرك فإنا اليك محسن)(٤٧١) .

وفي الحديث : (ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى : وقال : أي عبادك اغنى ؟ قال اقنعهم لما اعطيته ؟)(٤٧٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « ابن آدم إنْ كنت تَريد من الدنيا ما يكفيك فإن أيسر ما فيها يكفيك وإنْ كنت إنما تريد ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك »(٤٧٣) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « إيّاك أنْ تُطمِح بصرك الى مَنْ هو فوقك فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم﴾(*) ﴿ وقال : ﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متّعْنا به أزواجاً منهم : زهرة الحياة الدنيا﴾(٧٣) فإن دخلك من ذلك شيء فأذكر عَيْشَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده »(٤٧٤) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس)(٤٧٥) .

(*) سورة التوبة آية ٥٤

وهذه قاعدة عامة لراحة الدنيا : فإن من نظر الى من فوقه لا يزال يبغض عيشه ويراه نكداً فهو في عذاب دائم ، وقلق مستمر فإن الأفراد لا يزالون مختلفين من حسب المراتب والمعيشة . . أما من رضي بما قسم الله له فهو في رِضىً وراحة ويا لها من معيشة هنيئة سائغة ؟!

وقال الامام الصادق عليه السلام : « مَنْ رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومَنْ رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكّتَ مكسبته وخرج من حدة الفجور »(٤٧٦) .

وقال عليه السلام : « مكتوب في التوراة ابن آدم كن كيف شئت ؟ كما تَدْين تُدان ، من رَضيَ من الله بالقليل من الرزق قَبَل الله منه اليسير من العمل) (٤٧٨) .

وقال عليه السلام : « ان الله عز وجل يقول : يَحزن عبدي المؤمن إنْ قَتَرْتُ عليه ، وذلك اقرب له مني ، ويفرح عبدي المؤمن إنْ وَسّعتُ عليه وذلك أبعد له مني »(٤٧٨) .

وغيرها . . . وغيرها . . .

* * *

وربما يسأل الانسان : وما علاج الحرص لمن أبتُلِيَ به ؟ .

والجواب ان علاجه علاج سائر الملكات الرديئة فإن النفس كالورق الأبيض ؟ يلونه المجتمع والمحيط وما يتطبع فيها من المدرسة والكتب ووما اليها . . . وربما ساعدت ذلك الهواية النفسية ، فإن الأشخاص مختلفون من حيث الفطرة . واذا تلونت النفس بلون ، فلا بد من المجاهدة لازالتها ، والحرص بما انه يلائم الطبائع الزائفة وما اكثرها ؟! فالجهاد لازالته كبير . . . .

فليذكر الحريص : إنه لا ينال ما يريده بالحرص فلِمَ الحرص ؟ .

ويراجع الآيات والروايات الناهية عن الحرص ، ولينظر الى من هو دونه في المعيشة كي يَرْضىٰ بعيشه .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**اذا نظر احدكم الى مَنْ فَضَلَّه الله عليه في المال والخلق ، فلينظر إلىٰ مَنْ هو اسفل منه**) (٤٧٩) .

وقال ابو ذر (ره) :(اوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : (**انظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى مَنْ هو فوقك فإنه اجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك**)(٤٨٠) .

الإِسْتِغْنَاء وَالطمــع

قد يبتلي الانسان بمرض الطمع . كما قد يبتلي بمرض الجُذَام فينظر في ايـدي الناس ، ويتـرقب عونهم ، ويـراقب حركـة ايديهم ، تحـركت نحو صناديقهم . ولا يَفْرُق في المبتلي بهذا الداء ان يكون غنياً أو فقيراً ، فهو مرض ينشب في النفس ، كما ان الجذام ينشب في الجسم ، فيفسد الأعضاء : فإذا رأى مالاً تمناه ، أو لمس شيئاً اخذه أو سمع بدار طلبها وطمع فيها . وهكذا .

والمُبتلي بهذا الداء مهانٌ في المجتمع ، معذب النفس ، دائم الحركة نحو الأوهام .

ولذا ينهي الاسلام عنه أشدَّ النهي :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**إيَّاك والطمع ، فإنه الفَقر الحاضر**)(٤٨١) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « **إستغنِ عمَّنْ شئتَ تكِن نظيـره واحتَــجْ إلى مَنْ شئـت تكـن اسيــره . وأحِـسنْ إلى مَـنْ شئتَ تـكـن أميره** »(٤٨٢) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **بئس العبد : عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد : عبد له رغبة تذله** »(٤٨٣) .

وقيل للامام الصادق عليه السلام : « **ما الذي يُثبِّت الايمان في العبد ؟ قال : الورع والذي يخرجه منه الطمع** »(٤٨٤) .

وبالعكس من هذه الصفة الخبيثة : الاستغنـاء عن الناس فـإنه عـزٌّ

الدنيا ، وراحة النفس ومبعث الامن والاطمئنان . ولذا رَغَّب اليه الاسلام اكد ترغيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ليس الغِنىٰ عن كثرة العروض ، إنما الغِنىٰ غِنىٰ النفس)**(٤٨٥) .

وطلب اعرابي منه موعظة ، فقال (ص) : **(اذا صَليت فصلِّ صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً ، واجمع اليأس عمّا في ايدي الناس)**(٤٨٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اليأس عمّا في ايدي الناس عز المؤمن في دينه)**(٤٨٧) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : **« ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم ! فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك ، وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك »** (٤٨٨) .

وهذا من اعاجيب الأخلاق وقلما يتصف به الناس . فإن كثيراً ممن يستغنون عن الناس بالمال يثني استغناؤه ذاك باستغنائه عنهم في اللين والبشاشة ، فلا يعتني بهم ، وهكذا كثير ممن يرطب الكلام ويفتح اسارير وجهه للناس يعقبه بالمسألة واراقة ماء العز .

أما لِين الكلام وطِيب المجالسة مقروناً بالتعفف والاستغناء فذاك خلق كريم ، ودأب العظماء ، وقليل ما هم !

وقال الامام السجاد عليه السلام : **« رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في ايدي الناس ، ومَنْ لم يَرجُ الناس في شيء وَرَدَّ أمره الى الله تعالى في جميع اموره ، استجاب الله تعالى له في كل شيء »**(٤٨٩) .

وليس معنى هذا عدم التوسل بالأسباب - كما ربما يتوهم - بل معناه عدم الطمع كما قال الامام ، فإن الطمع شيء ، والتوسل بالأسباب اللائقة شيء آخر .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « سخاء المرء عما في ايدي الناس اكثر من سخاء النفس والبذل ، ومروءة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغِنىٰ اكثر من مروءة الاعطاء وخير المال : الثقة بالله ، واليأس مما في ايدي الناس »(٤٩٠) .

وقال عليه السلام :. « اليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن في دينه »(٤٩١) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « شرف المؤمن قيام الليل وعزّه استغناؤه عن الناس »(٤٩٢) .

وانظر الى هذا الحديث واعجب !

قال الامام الصادق عليه السلام : « شيعتنا من لا يسأل الناس ولو مات جوعاً »(٤٩٣) .

ولِمَ ؟ لأنه أبيٌّ النفس ، رفيع الشأو ، شريف عزيز ، وهل يوجد هكذا شيعي ؟ .

وكم عدده ؟ .

وقال عليه السلام : « ثلاث هن فخر المؤمن ، وزينته في الدنيا والآخرة الصلاة في آخر الليل ، ويأسه مما في ايدي الناس ، وولايته للامام من آل محمد عليهم السلام »(٤٩٤) .

وقال عليه السلام : « إذا أراد احدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا اعطاه ، فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكون له رجاء إلا عند الله . . فاذا علم الله ذلك من قلبه ، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه »(٤٩٥)

بخْلٌ وَسَخاء

لو سألتَ البخيل : لماذا تبخل ؟ لأجابك :

ـ لأني اخشى على نفسي وعلى عَقِبي الفقر .

ـ لأني احتاج الى زيادة سمعة والمال يوفرها لي .

ـ لأني احب المال لذاته .

ان ثالث الاقسام هو البخيل (رقم ١) فلماذا يحب الانسان المال ولا يحب الاحسان والمدح والأجْر ؟ .

انه اذا كان للأولَيْن بعض المنطق ـ المزعوم ـ فليس للثالث أي منطق .

ثم نأتي على الأولَين :

ـ فهل الفقر والغِنى بيدكَ ؟ كلا .. إنّ أُناساً بَخِلوا ، ولكن لم يغنِ بُخلهم شيئاً ، فوقعوا فريسة فقر مُدْقع .. وأناساً كَرِموا ولم يسىء اليهم كرمهم ، بل زادهم مالاً ومالاً .

يقول الشاعر :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طُراً قبل أنْ تتفلت
فلا الجود مُفْنِيها اذا هي أقبلتْ ولا البخل مُبقِيها إذا هي وَلَّت

ـ ثم هل السمعة تزداد بالغِنىٰ فقط ؟ أليست السمعة من عوامل وفرتها ذكرى حسنة وحبّ من الناس وولاء ؟ .

وهناك :

١) سرف . .

٢) وبخل . .

٣) وجود . . .

وكلا الأولَيْن مذمومان ، فمَنْ يبسط يده ، حتى لا يَبقى له شيء يسد به رمقه ، ويقيم به أُوَده مِتلاقاً مُنحرِفاً . . . كما إنَّ مَنْ يَقْبض يده ، فلا يرحم حتى اصحاب الصِفة ، بعيد عن موازين الانسانية مقلوب الفؤاد .

والاسلام يريد العدل والوسط من كل شيء يقول القرآن الحكيم :

﴿ ولا تجعلْ يدَك مَغلولةً الى عُنقِك ، ولا تبسطْها كلَّ البَسط ﴾(٧٤) .

ويقول : **﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا ، ولم يقتِروا وكان بين ذلك قوّاماً ﴾**(٧٥) .

أما البخل ، فالاسلام يَصِبُّ نقمته عليه .

﴿ ولا يحَسْبنّ الذين يَبْخلون بما أتاهم الله من فضلهِ هو خيراً لهم ، بل هو شرٌ لهم ، سيُطوقون ما بَخلوا به يوم القيامة ﴾(٧٦) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**إيّاكم والشُّح ! فإنه أهلَك مَنْ كان قبلكم ، فسفكوا دماءهم ودعاهم فأستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم**)(٤٩٦)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا يدخل الجنة بخيل ، ولا خب ، ولا خائن ، ولا سيء الملكة**)(٤٩٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**البخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة قريب من النار ، وجاهل سخي أحبُّ الى الله من عابد بخيل وأدوى الداء البخل**)(٤٩٨) .

وقال عليه السلام : « **الموبقات ثلاث : شُح مُطَاع ، وهوىً مُتّبع وإعجاب المرء بنفسه** »(٤٩٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان الله يبغض الشيخ الزاني ، والبخيل المنّان ، والمُعيل المُختال**)(٥٠٠) .

هذه الأحاديث كلها جلية الفلسفة ، لا تحتاج الى شرح وايضاح ولذا نسردها سرداً وما أجمل هذا الحديث الاخير : ان الشيخ أبعد ما يكون عن الشهوات الجسدية . . فلِمَ يَزني ؟ والبخيل مبتعد عن الناس لبخله ، فما امتنانه ؟ والفقير ليس فيه من دواعي الكبر شيء فما اختياله ؟ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إيّاكم والشُّح فإنما هلك من كان قبلكم بالشّح أمرَهم بالكذب فكذّبوا ، وأمرهم بالظلم ، فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا**)(٥٠١) اذ من أركان الصلة والعدل المال ، فالشح قطع وظلم !

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**البخل شجرة تنبت في النار ، فلا يَلِج النار إلا بخيل**)(٥٠٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**خُلِقَ البخل من مَقْت ، وجُعِل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ، ودُلِيَ بعض اغصانها الى الدنيا ، فمَنْ تَعلّق بغصن منها أدخله النار ، ألا إنَّ البخل من الكفر ، والكفر في النار**)(٥٠٣) .

« قتل في الجهاد رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكته باكية وقالت : واشهيداه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**وما يدريك انه شهيد ؟ فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه ، أو يبخل بما لا ينقصه**)(٥٠٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان الله يبغض البخيل في حياته والسخي عند موته**)(٥٠٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (السخي الجهول احب الى الله عز وجل من العابد البخيل)(٥٠٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الشح والايمان لا يجتمعان في قلب واحد)(٥٠٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخُلُق)(٥٠٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً)(٥٠٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يقول قائلكم : الشحيح أعذر من الظالم ! وأيُّ ظالم أظلم عند الله من الشح ؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل)(٥١٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اللّهمَّ اني أعوذ بك من البخل)(٥١١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (البخيل مُبْغَض في السماوات ، مُبْغَض في الأرضين خُلِق من طينة سبخة ، وماء عينيه من ماء عوسج)(٥١٢) .

وفي الحديث : « ان الله تعالى وكل ملكين ، يناديان في كل صباح ، اللهمَّ اجعل لكل ممسك تلفاً ، ولكل منفق خَلَفاً » .

الى غيرها . . وغيرها . . .

والبخل قد يكون تَطبُّعاً . أما التَطبُّع فأمره هين ، ليس اكثر من تشذيب شجرة واجتثاث اصله ، والطبع وإن كان صعب العلاج ، لكنه ليس عديمه ، فعلى الإنسان ان يجاهد ويجاهد ، حتى يفك اسره من هذه الصفة الخبيثة ، التي ما تأتي على شيء إلا تذره كالرميم .

* * *

أما الجُود فما أحسنه من صفة ، وأجمله من أرومة ينتحله حتى البخيل ، ويعذب لفظه عند الجميع ، وبعد ذلك كله لا يزيد المرء إلا علواً ، ولا يحصل الرجل المتصف به إلا ارتفاعاً .

والاسلام يحرص عليه ، حرصه على مكارم الصفات ومحاسن الاخلاق .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان الله جَوَاد يحب الجُود ، ويَحب مَعالي الاخلاق ويَكْره سفاسفها)(٥١٣) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان السخي قريب من الله ، قريب من الناس قريب من الجنة ، بعيد من النار)(٥١٤) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(لَشابٌ سخي مُرهق في الذنوب ، أحبُّ إلى الله من شيخ عابد بخيل)(٥١٥) .**

ولا غرابة في ذلك فإن البخل مرض قاسٍ ، ومَنْ ينتقل بين امراض يُرْجى له الأبلال ، أما مَنْ لازمه مرض فلا يُرْجىٰ له زوال . . .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(السخاء شجرة من شجر الجنة ، أغصانها متدلية الى الأرض ، فمَنْ أخْذ عنها غُصْناً ، قاده ذلك الغصن الى الجنة)(٥١٦) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان السخاء من الايمان ، والايمان في الجنة)(٥١٧) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(السخَاء شجرة تنبت في الجنة فلا يَلج الجنة إلا سخي)(٥١٨) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(قال الله سبحانه : ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخَاء ، وحُسْن الخُلُق ، فأكرموه بهما ما استطعتم)(٥١٩) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ما جَعَلَ الله أولياءه إلا على السخاء وحُسْن الخُلُق**)(٥٢٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنَّ من مُوجِبات المغفرة بَذْل الطعام ، وإفْشاء السلام وحُسْن الكلام**)(٥٢١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**تجافوا عن ذنب السخي ، فإن الله اخذ بيده كلما عثر**)(٥٢٢) .

وهكذا يكون في المجتمع ، فإن السخي يغطي سخاؤه سيئاته ، وبالعكس تماماً من البخيل فإن البخل يُبدي العورات . أرأيت لو زاحمك احد في المجلس لكنه كان مُحْسناً اليك ، تبدو مزاحمته كَلا شيء وبالعكس من ذلك لو كان بخيلاً لم يُسِد اليك معروفاً أبداً ، **فإنك** تراه اثقل من الجبال ، وهكذا . . . وهكذا . .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء**)(٥٢٣) .

ان نفسه تؤثر في الطعام ، وللنفس تأثير كبير ، كما ثبت في علم النفس بالأضافة الى التأثيرات الواقعية .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**أفضل الأعمال الصبر والسماحة**) (٥٢٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**خُلُقان يحبهما الله : وهما حُسْن الخلق ، والسخاء**)(٥٢٥)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**الرِزْق الى مُطْعِم الطعام أسرع من السكين الى ذَرْوة البعَير ، وإنّ الله تعالى لَيُبَاهي بمُطْعِم الطعام الملائكة عليهم السلام**)(٥٢٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع**

العباد ، فمن بَخِل بتلك المنافع من العباد ، نقلها الله عنه ، وحَوَّلها الى غيره)(٥٢٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الجنة دار الاسخياء)(٥٢٨) .

وهل يريد الشخص أكثر من هذا حتى يكون سخياً ؟ انه ينفعه في دينه ودنياه حسناً ، مع الغض عن هذه الأحاديث . وما أجمل قوانين الاسلام وشرائع السماء . وهل فوق هذا مَزيد ؟ نعم فأسمع :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إصْنع المعروف الى مَنْ هو أهله والى من ليس باهله ؛ فإنْ أصبتَ أهله ، فقد أصبت أهله ، وإنْ لم تُصِبْ أهله ، فإنت من أهله)(٥٢٩) .

إن هذا الحديث ـ على وجازته ـ يستوقف الانسان ليتأمل مدى اصابته لكبد الحق ، وكيف أنه يسد طريق البخلاء وتاركي المعروف لعلل مختلفة تفيدهم الفرار عن اسداء العون الى العباد .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنَّ بُدَلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بـ سخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للمسلمين)(٥٣٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه ، حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فِعالَه ووجَّه طلاب المعروف اليهم ويَسّر عليهم إعطاءه كما يُيسّر الغيث الى البلدة الجدبة فيُحييها ويُحيي بها أهلها !!)(٥٣١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (السخي مُحَبب في السماوات ومُحبب في الأرضين خلق من طينة عذبة ، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر)(٥٣٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنّ أفضل الناس أيماناً : ابسطهم كفاً)(٥٣٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(يُؤتىٰ يوم القيامة برجل فيُقال إحْتج ! فيقول : يا رب خلقتني وهديتني وأوسعت عليَّ ، فلم أزل أوسِعُ على خلقك وأنشر عليهم لكي تنشر عليَّ هذا اليوم رحمتك وتيسره ، فيقول الربُّ تعالى ذكره : صَدَق عبدي إدخلوه الجنة) (٥٣٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (كل معروف صَدَقَة ، ! والدال على الخير كفاعله والله تعالى يحب إغاثة اللهَفان)(٥٣٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (كل معروف صَدَقَة ، وكلما أنفق الرجل على نفسه وأهله كُتِب له صدقة ، وما وَقَىٰ المرء به عِرْضه فهو له صدقة ، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خَلَفها)(٥٣٦) .

وفي الحديث : (إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتاه وفد من اليمن ، وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً ، وأشدّهم استقصاءاً في مُحاجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى التوى عِرْق الغضب بين عينيه ، وتربَّد وجهه وأطرق الى الأرض فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال : ربك يقرؤك السلام ويقول لك هذا رجل سخي يُطْعِم الطعام فَسَكَن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغضب ورفع رأسه وقال :

لولا أن جبرائيل اخبرني عن الله عز وجل إنك سخي تطعم الطعام لَشرّدت بك ، وجعلتك حديثاً لمن خلفك . !

فقال له الرجل : إنَّ ربك يحب السخاء ؟ فقال : نعم .

فقال : إني أشهد ان لا إله إلا الله ، وإنّك رسول الله والذي بعثك بالحق لاردَدْت عن مالي احداً)(٥٣٧) .

ويعضد هذا الحديث ما روي :

(إنَّ الله أوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السَامِري فإنه سخي)(٥٣٨) .

وقال المسيح عليه السلام : (استكثروا من شيء لا تأكله النار) قيل : وما هو؟ قال : (المعروف)(٥٣٩) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « ومَنْ يبسط يده بالمعروف اذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه ، ويُضاعِف له في آخرته »(٥٤٠) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « إنَّ الشمس لتطلع ومعها أربعة املاك مَلَك ينادي يا صاحب الخير أتِم وأبْشِر . ومَلَك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر . ومَلَك ينادي أعطِ مِنفِقاً خَلَفاً وآتِ مُمْسكاً تلفاً . وملك ينضح الأرض بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض)(٥٤١) .

وربما ينبري بعض المثقفين ! قائلاً وما المَلَك ؟ فإنّا لا نراه ثم ما نزح الأرض بالماء ، والأجابة بسيطة جداً : فليس كل شيء يُرى . فما هو العقل ؟ وما هو الروح الذي يستحضره التنويم ؟ . وما هو الأثير ؟ وما هو؟ وما هو .؟ .

ونضح الأرض بالماء بواسطة هذه المياه التي تَتَكوَّن في الليل وتتساقط بالنهار وغيرها . . إنَّ لهذه الأمور عِلَلاً ، وما المانع من ان يكون الفاعل لهذه مَلَكاً ؟ .

ان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يتردد في قبول كل ما جاء به الوحي أو فاهَ به الرسول والأئمة عليهم السلام وإنْ لم يعرفه وكيف له حق الانكار ، وهو لا يعلم اكثر ما في السماوات والأرض ولا يعرف اجزاء بدنه الذي هو هو ؟!

وقال الامام الصادق عليه السلام - لبعض جلسائه - : « ألا أخبرك بشيء تَقْرَب به من الله وتقرب من الجنة وتُباعد من النار » (٥٤٢) .

فقال بلى :

فقال : عليك بالسخاء وقال : « خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم

ومن خالص الأيمان : البِرّ بالاخوان والسَعْي في حوائجهم وان البار بالأخوان لَيحبه الرحمنْ ، وفي ذلك مَرْغمَة للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان)(٥٤٢) .

وقال الامام الكاظم عليه السلام : « السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يستخلي الله منه حتى يدخل الجنة وما بعث الله نبياً ولا وصياً إلا سخياً ولا كان احد من الصالحين إلاّ سخياً وما يزال أبي يُوصيني بالسخاء حتى مضى »(٥٤٣) .

أما السَرَف فإنه حُمقَ وتعريض بالنفس الى المَذلة والمَهانة وتحطيم للمستقبل ، إنَّ مَنْ أسرف لا يزالِ يُسْرِف ، حتى تخلو يده من المال وهنا لا بد له من سؤال لقمة العيش وكم في ذاك من ذلة ومهانة . ولذا فإنَّ الاسلام يَذِم السرف على حد ذمه للتَرَف ، إنه يريد انساناً وسطاً لامِتْلافاً ولا مُمْسكاً ، وعلى ضوء هذه القاعدة نرى ان الاسلام جعل قانوناً ، لإبقاء المال في صناديق المُبَذَرين على حد جَعْلِهِ قانوناً لاخراج المال من صناديق البخلاء فمن يَسْرِف سفهاً يُحْجرَّ عليه ، كما إنّ مَنْ يمنع عن الزكاة والخمس يؤخذ منه المال قَسراً .

واذا فَكّر المسرف قليلاً ، واستجوب نفسه ساعة :

لِمَ يَسَرِف ؟ لم يُبَدِدِ ثروته شذَرَ مذر ؟ لم يضع المال في غير موضعه ؟ .

لم تجب إلا لأنه سفيه والعمل سُفَهائي .

ان المال قيام الأنفس ، به يصلح الانسان معاشة ومعاده ومنه يحصل غـذاءه ولباسه ومسكنه فلماذا يهدره في ما لا يصلح بل يفسد والى هذا تشير الآية الكريمة :

﴿ولا تُؤْتوا السفهاءَ أموالَكم التي جَعَلهَا الله لَكم قياماً﴾(٧٧) .

الإيثـــار

الانسان قد يجود بشيء من مال أو كساء أو غذاء وهو غني عن ذلك وهذا هو الجود الممدوح عند العقل والشرع وقد يجود الانسان بشيء وهو محتاج اليه وهذا افضل من الأول لأنه جَادَ عن ظهر غِنىً وهذا جاء عن واقع حاجته ، ويعبر عن هذه الخصلة بـ (الايثار) .

وما أجملها من صفة وأكْرمها من فضيلة : انه يَعطي ما يحتاج اليه !! وكم بين هذا الشخص وبين مَنْ لا يعطي وهو لا يحتاج !

والإسلام يؤكد على الإيثار تأكيداً بليغاً ويَعِد عليه من الثواب والجزاء ما لا يَعِده للاسخياء يقول القرآن الحكيم في الثناء على هؤلاء :

﴿ويُؤْثِرون على أنفْسهم ولو كان بهم خَصَاصة﴾(٧٨) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(**أيَّما إمرىء اشتهى شهوة فَرَدَّ شهوته و وآثر على نفسه ، غُفِر له**)(٥٤٤) .

وسُئِل عن الصادق عليه السلام أيّ الصدقة أفضل ؟ قال عليه السلام : « **جُهْد المُقِل ، أما سَمعت قول الله عز وجل : ﴿ ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾**»(٥٤٥) .

ان المُقل الذي يَجْهَد فيبْذُل ما عنده لمرضاة الله وبه خصاصة واحتياج لهو من افضل الناس انه آثر غيره على نفسه .

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي والزهراء والأئمة عليهم السلام من أروع الأمثلة للايثار فقد كانوا يؤثرون على انفسهم بقوتهم

ولباسهم ومسكنهم وضياعهم مما هو مذكور في كتب السِير والتواريخ فعلى المسلم ان يقتدي بهم : « ولكم برسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كان يَرجو الله واليومَ الآخــر »﴾[٧٩] .

الثـــرْوَة

يرى الاسلام المال مال الله ، جعل عباده مُستخَلَفين فيه ، ليمتحنهم أيّهم أحسن عملاً ؟ .

وقد جعل سبحانه ـ حسب حكمته البالغة ـ المال موزعاً بين الناس توزيعاً مُتُفاضِلاً . فمنهم مَنْ لا يملك ومنهم مَنْ يملك قليلاً ومنهم مَنْ يملك كثيراً ، ذلك ليتسبب النظام ويصلح المجتمع ، فلو كان الكل أغنياء بَقِيتْ كِثْرة من الأعمال بلا عامل ، فمَنْ يُكَنِس ومَنْ يغسل ومَنْ يُرَحِض ومن يسهر ليله كله لدراهم قليلة ؟؟ ومن ؟ ومن ؟ ولو كان الكل فقراء فمن يجلب الطعام ؟ ومن يستورد البضائع ؟ ومن يصدر الفائض من الأموال ؟ ومن ؟ ومن ؟ .

وبمثل هذه النسبة تتعطل الأعمال لو كان الكل متوسطين ، فإن ذلك يوجب وقوف بعض الأعمال المتطلبة لطائل الثروة وبعض الأعمال التي لا يأتيها إلا من اشتدتْ فاقته وبأي حال يقف رحىٰ الكون ودولاب الاجتماع عن الدوران .

وهكذا جعل الله وهكذا تقتضي الحكمة .

ولكن قد عَلِم الله سبحانه ان هذا التوزيع يَنْجِم عنه أمران يسببان انهيار المجتمع :

١ ـ تَرَفِ الاغنياء .

٢ ـ مَسْكَنة الفقراء .

فإنّ الغني اذا رأى ثروته الطائلة لا بد وأن يَطغىٰ ويَصْرف فاضل ماله في اللهو واللعب ، والخمور والفجور واحضان الترف وأعطاف السَرَف .

والفقير اذا لم يحصل على عمل أو مَرِضَ أو عُطِب لا بد وأنْ يبقى بلا غذاء وكساء ومسكن ومصح ومن جراء هذين العاملين يتوزع المجتمع الى طبقتين دانية وقاصية ، لا بد وأنْ يَنْجِم عن ذلك حزازات وشحناء وعداء وبغضاء بالأضافة الى أنَّ بقاء الفقير يُكابِد المَسَكنة تعَدٍّ وظُلْم ، وإطلاق سراح الغني يعمل ما يشاء جَوْر وإجّحْاف بالمجتمع .

فما هو العلاج ؟ .

ان الله كان قد عرف الأمرين وحلَّ المشكلتين من يوم ان خَلَق العالم .

وكيف الحل ؟ .

انه تعالى ـ أولاً ـ حرَّم السرف والترف ، والخمور والفجور ، وصبَّ كُل لعنته ونقمته على مَنْ يتعاطى هذه الأمور ، وذلك ليس لأجل الفقير والمجتمع فحسب ، بل لأجل الغني نفسه ،ان الترف والسرف يوجبان التَرَهُل، والبَطالة مفتاح الآفات . . و الخمور والفجور توجبان الأمراض والأسْقام والأدواء والآلام ، فتحْريمها وجَعْل العقوبات الصادقة لمتعاطيها وقاية للغني والفقير والمجتمع على حدٍّ سواء عن كل انحراف ومرض .

و ـ ثانياً ـ أوجب للفقراء والمساكين والمصالح العامة حقوقاً ، في اموال الاغنياء تتكافؤ وحوائجهم ، فلا يبقى ، في المجتمع فقير ولا مصلحة معطلة .

وبهذه الخـطة الحكيمة ، جمع الاسلام بين:

١ ـ حرية العمل والتجارة وجمع الثروة .

٢ ـ والمسايرة مع الرغبة الأصلية في النفس من حب المال .

٣ـ وحفظ الاغنياء من الافراط في الترف والترهل .

٤ ـ وضمان الطبقة الضعيفة فقيراً كان أم مريضاً أم عاجزاً .

٥ ـ سد فراغ المصالح العامة حتى لا تبقى مصلحة من غير رصيد فيا لها من خُطة حكيمة ، وشريعة عادلة وقانون عظيم !!!

الــزكــــاة

إنها أحدى تشريعات الاسلام التي جعلها لسدِّ فراغ الفقْر والمصالح العامة وهي تتعلق ـ على نحو الوجوب ـ بتسعة أشياء وهي :

الغلات الأربع : الحنطة ، الشعير ، التمر ، الزبيب

الأنْعام الثلاثة : الإبل ، البقر ، ألغنم .

النقدان : الذهب ، والفضة .

وتستحب في مال التجارة ، والخيل وغيرهما .

ولها مقادير معينة ، وأنصبة معلومة وأوقات محدودة ومصارف خاصة ، يُفَصِلها الفقه الاسلامي . . وليس هنا محل تفصيلها وانما القصد الالماح الى اصل وجوب هذه الفريضة المالية التي قررها الاسلام كضريبة على هذه الأشياء المعينة .

وفي الآيات القرآنية والسُنَّة المُطهرَّة تأكيدات حول هذا التشريع وقد كانت الزكاة ـ أيام الدولة الاسلامية التي انهارت منذ نصف قرن ـ تُجْنىٰ بصورة منظمة تحت نظام الدولة . أما بعد دخول المستعمرين بلاد المسلمين وتبديلهم قوانين الاجانب بقوانين الاسلام ! فقد تخلت مكانها ليقع شاغراً : وتُجْبىٰ بدلها الضرائب المستوردة !!

وعلى أيٍ فقد حَثَّ الاسلام على هذه الفريضة العظيمة .

وقال سبحانه : ﴿ وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزَكاة﴾[٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ الذين يُكنزون الذهبَ والفضة ،ولا ينفقونها في سبيل الله

فبشِرْهُم بعذابٍ أليمٍ يوم يحمَى عليها في نارِ جهنّم ، فتُكْوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون !! ﴾[٨١] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : (اذا منعت الزكاة مَنَعَتْ الأرض بركاتها)(٥٤٦) .

إن مَنْع الأرض بركاتها طبيعية بمقدار كونه بارادة خارقة من الله تعالى اذ الزكاة نظام الاجتماع وبها ينظر الفقير ـ ومنه الفلاح ونحوه ـ الى المُثري نظر احترام ، وتنشطه الى العمل أكثر فأكثر وهذه بدورها سبب لزيادة النشاط الذي يسبب وفرة الأنتاج .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « إنَّ الله عز وجل قَرَنَ الزكاة بالصلاة فقال : ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤتِ الزكاة فلم يقم الصلاة»(٥٤٧) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « ما من ذي مالٍ ذهب وفضة ، يمنع زكاة مَالِه ، إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر ! وسلَّط عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا رأى انه لا يتخلص منه ، أمْكَنه من يده ، فقضمها كما يَقْضم الفِجْل ! ثم يصير طَوْقاً في عنقه وذلك قول الله عز وجل تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[٨٢]

وما من ذي مال إبل أو غنم أو بقرٍ ، يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطأه كل ذات ظِلْف يظلفها وتنهشه كل ذات ناب بنابها .

وما من ذي مال نخل أو كَرْمٍ أو زَرْع يمنع زكاتها إلا طوقه الله تعالى ريعة أرضه الى سبع ارضين الى يوم القيامة »(٥٤٨) .

وقال عليه السلام : « ما فرض الله على هذه الأمة شيئاً أسدّ من الزكاة وفيها تهلك عامتهم »(٥٤٩) .

انه مال ! ومتى يسخو الانسان بماله ؟ وهذا الكلام من الصدق بمكان : إنَّا نرى الناس ـ اليوم يَحجون ويُصلون ويَصومون وهكذا ـ بكثرة ـ أما المُزَكّي فقليل وقليل جداً .

وقال عليه السلام : « من منع قيراطاً من الزكاة ، فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى : ﴿ قال: رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت﴾[٨٣] »(٥٥٠) .

ولا عجب من هذا الحديث فإن المؤمن هو الذي يعمل بشرائط الايمان والمسلم هو الذي يعمل بشرائط الاسلام والزكاة من الاسلام ومن الايمان فتاركها ليس بهما .

وقال عليه السلام : «إنَّ الزكاة ليس يُحْمَد بها صاحبها ، وإنما هي شيء ظاهر ، حَقَن بها دمه وسُمِيَ بها مسلماً ولو لم يؤدِها لم تُقْبَل له صلاة »(٥٥١) .

وقال عليه السلام : « إنما وُضِعت الزكاة اختباراً للاغنياء ، ومعوُنة للفقراء ولو أنَّ الناس أدّوا زكاة اموالهم ما بَقِيَ مَسلم فقيراً محتاجاً ولأستغنى بما فرض الله له وإنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروْا إلا بذنوب الاغنياء ، وحقيق على الله ان يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله .

وأُقسم بالذي خَلَق الخَلْق ، وبسط الرِزْق: إنّه ما ضاع مال في بَرٍ ولا بحر إلا بترك الزكاة وما صِيْد صَيْد في بَر ولا بحر إلا بتركه التْسبيح في ذلك اليوم .

وإنَّ احب الناس الى الله تعالى : اسخاكم كفاً وأسخى الناس من أدّى زكاة ماله ، ولم يَبْخَل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله »(٥٥٢) .

الى غير ذلك من الروايات الكبيرة .

ولكن . . كم تُقَدِر مَنْ يُؤدي هذا الواجب ؟ إنّه قليل وأقل من القليل !

وهل نَفَع المنع ؟ كلا بل عاد بالضرَر على المالك وعلى الفقير ـ على حدٍّ سواء ـ فالمالك يعاني الضرائب المرهقة وغيض الفقراء وغضبهم وانتقامهم في ثارات . والفقير يعاني آلام الفُقْر ووخزات المَسْكَنَة .

ولماذا يمنعون ـ بعد كل ذلك ـ ؟ ليس له سبب إلا الشَره والتكالب على الحِطام !!

كَـيْـفَ تَعْـطي

قد حَدَّ الاسلام حدود كل شيء ، لم يترك صغيراً ولا كبيراً إلا احصاه وهذا من خواص الاسلام وحده . فلا الأديان ولا المبادىء بهذا الشمول والاستيعاب !

وقد جعل الاسلام لكلٍ من مُعْطي الزكاة وسائر الصدقات ومَنْ أخذها موازين وحدوداً نذكر بعضها استطراداً :

من اللازم على مَنْ يدَفع الصدقة أنْ يجتنب المَنَّ والأذىٰ فلا يَمن على الفْقير ولا يُؤذيه بيد ولا لسان ولا هَمْز ولا لَمْز ، حتى إنه يُكْره له أنْ يتوقع من الفقير احتراماً فوق ما كان يتوقع منه حال عدم دفعها له . ولِمَ يتوقع ؟ إنه جَلب لنفسه مرضاة الله وخَيْر الدنيا . إنّك اذا أعطيت المهندس ثمناً لتعبه على دارك فهل تتوقع منه إحترامك ؟ كلا ! لأنه ثمن أزاء عملٍ وكذا الصدقة انها مال ازاء أَجْـر في الأولىٰ والأخرىٰ فلماذا المَنّ والأذى ؟

إنه ترك الصدقة بَقَوْلٍ حَسَنٍ أفضل من الصدقة بإيذاء !

يقول الله تعالى : ﴿ قول معروف ، ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى ﴾[٨٤] .

وهو كذلك : إنَّ الصَدَقة لَقَلْع الغَل من الصدور وثواب الآخرة والايذاء يُكْثِر الغَل ، ويُذْهِب بالأجر ، فتـركهـا افضل .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنَّ الله تبارك وتعالى كَره لي ست خصال وكرهتهن للأوصياء من وُلْدي وأتباعهم من بعدي :

١) العَبَث في الصلاة .

٢) والرَّفْث في الصوم .

٣) والمَنّ بعد الصـدقـة .

٤) وإتّيان المساجد جنباً .

٥) والتطلّع في الرَفَد .

٦) والضحك بين القبور) (٥٥٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « ومن علم ان ما صنع انما صنع لنفسه ، لم يستبطىء الناس في شكرهم ، ولم يَستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت الى نفسك ، وَوَقيتْ به عرضك ، واعلم ان الطالب اليك لحاجة لم يُكْرِم وجهه عن وجهك ، فأكرم وجهك عن رده »(٥٥٤) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال : تصغيـره ، وتستيره وتعجيله !!!

فأنت اذا صغَّرته عظَّمته عند من تصنعه اليه .

واذا سترته تممته .

واذا عجلته هنأته .

وإن كان غير ذلك محقته ونكدته »(٥٥٥) .

وقال عليه السلام : « إذا اعطيته فأغنِه » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إذا ناولتم السائل ، فليرُد الذي ناوله يده الى فِيه فليقبلها فإن الله عز وجل يأخذ الصدقات »(٥٥٦) .

ومعنى أخذه تعالى انه يتقبلها بقبول حسن ، ولذا ورد في الحديث إنَّ الصدقة تقع في يد الله !!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله)(٥٥٧)** .

ثم تلا هذه الآية : **﴿ ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ؟؟ ﴾**(٨٥) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : **« ان الله تعالى يقول : ما من شيء إلا وَكلتُ به مَنْ يقبضه غيري ، إلا الصدقة فإني أتلقَفُها بيدي تَلَقفاً ، حتى إن الرجل لَيَتصدق بالتمر أو بشِقَ تمرة ، فأرْبيها له كما يُربِي الرجل فلوه وفصيله . فتأتي يوم القيامة وهي مثل أحْد وأعظم من أحد »(٥٥٨)** .

ثم ان الاسلام قد ندب الى المُعطي أنْ يطلب من السائل الدعاء له . وفي ذلك فائدتان : طبيعته وتفضيلته ، أما الطبيعة فلأن للكلام إيحاءاً نفسياً ، يسير على هَدْيه الانسان ـ ولو كان قلبه ، باديء ذي بدء مخالفاً لما فاه به ـ فإنّ للكلام أثراً في القلب من غير فرق بين المُلقي والمُلقىٰ اليه وهذا ـ بدوره ـ يكفي لغسل السخائم ، ودَحْض البغضاء ، وقَلْع الشحناء عن القلوب ، وتكرار مثل هذا الايحاء كفيل بأنْ يفيض على النفس ملكة للمجتمع وأكْبر بهذا من أثر عظيم !!

وأما التفضيلة فلأن الله تعالى وعَدَ بذلك وهو لا يَخْلِف الميعاد :

روي: **« كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول للخادم إذا اعطى السائل أنْ يأمره بأن يدعو بالخير** .

وكان يقول ـ للخادم ـ أمْسِك قليلاً حتى يدعوَ فإنَّ دعوة السائل الفقير لا تُرَد »(٥٥٩) .

وعن احد الباقرين عليهما السلام : **« اذا أعطيتموهم فَلَقِنوهم الدعاء فإنه يُستجاب لهم فيكم ولا يُستجاب لهم في انفسهم »(٥٦٠)** .

والأفضل تخصيص الأقارب والأرحام والمؤمنين ومن اشبه . بالصَدَقات قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(لا يأكل طعامك إلا**

تقي)(٥٦١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إطْعِموا طعامكم الأتقياء**)(٥٦٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**أضف بطعامك من تحبه في الله**)(٥٦٣) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : « **لَئن أصِل أخاً من إخواني بدِرْهم ؛ أحَبّ إليَّ من أنْ أتصدق بعشرين درهماً : ولَئن أصِلهْ بعشرين درهماً أحّب إليَّ من أن اتصدق بمائة درهم ولئن أصِلْه بمائة دِرهم أحب إليَّ من أنْ أعتِق رقبة** »(٥٦٤) .

وفي الخبر : (**لا صدقة وذو رحم مُحتاج**)(٥٦٥) .

وفي خبر آخر : (**إن أفضل الصدقاتِ الأنفاقِ على ذي الرَحِم الكاشح**)(٥٦٦) والكاشح هو الذي طوىٰ كشحه مُعرِضاً وأفضليته معلومة إنه رَحِم وكاشح وفقير فالإنفاق عليه يزيح علته وصِلَّة لرَحِمه ودَحْض لغضبه ودخيلة نفسه !!

ثم إنه ينبغي للفقير الآخذ : أنْ يشكر المُعطي ويدعو له إنه إحسان في مُقابلة إحسان وتأليف للقلوب وتَبادل للودِاد فالغني يُشْبع حاجة الفقير الجسدية والفقير يُشْبع روح المُعطي فرَحاً وابتهاجاً .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**مَنْ لم يشكَر الناس لم يشكر الله**)(٥٦٧)

فإنه لم يَشكر الله لأنه أمره بالشكُرْ فلم يمتثل ثم النفس الشكور تشكر كل مُنْعِم ومُتَفَضل فعَدَم الشُكْر كاشف عن ملكة سيئة في النفس وهي تبعث على عدم شكر الله وبين هذين الشكرين تلازم كما إنّ بين كُفْران نِعَمَ الخالق وكُفْران فَضْل المخلوق أيضاً تلازماً !!

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **لعن الله قاطعي سبيل المعروف** »

قيل : وما قاطعو سبل المعروف ؟ قال : « الرجل يُصْنع اليه المعروف فيَكْفره فيمَنع صاحبه من أنْ يصنع ذلك الى غيره »(٥٦٨) .

وليس هذا خاصاً بالفقير بل الاسلام يرى المكافأة بالحُسْنى ادباً راقياً ويأمر به حتى تستحكم وشائج الاجتماع المتحابّ وأنما يأمر بالشكر اللساني وما أشبه من حيث لا يتمكن الفقير على أزيد من ذلك وإلا فيندب الى المكافأة بالمثل وأكثر :

﴿ واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾(٨٦) هكذا يقول القرآن الحكيم !!!

ويقول الامام امير المؤمنين عليه السلام : « مَنْ صَنَعَ بمثل ما صُنِع اليه فإنما كافاه ! ومن ضَعفَّه كان شكوراً ومن شكر كان كريماً »(٥٦٩) .

تزكيــة البَــدن

إذا أنجرّ الكلام بنا الى الزكاة ـ نمواً واستزادة ـ لا بأس بأن نذكر طرفاً من زكاة البدن . . فإن لكل ما وُهِب للانسان من بدن وروح ومال تزكية وتنمية .

وليس القصد من تنمية البدن وتزكية التوصل الى اكتناز العضلات بالرياضة البدنية وإنما القصد تطهير الجسم عن القذارات المعنوية وتطهير الروح بالآلام والأسقام فإن من يصرف أجهزة جسمه الى حيث الفضيلة والأخلاق يُزكي جسمه وروحه ومَنْ يُصاب بالآم وأوصاب يُزكي روحه ونفسه ولذا يتوسم الاسلام الخير في الطوارىء المؤذية اذا تمكن الشخص من الاستفادة منها والاستقاء من وحيها الاليم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوماً لأصحابه ـ **(ملعون كل مال لا يُزكى ، ملعون كل جسد لا يُزكى ، ولو في كل اربعين يوماً مرة .**

قيل له : يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الأجساد ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أنْ يُصاب بآفة !!)**

فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك .

فلما رآهم قد تغيّرت الوانهم قال :

(هل تَدرون ما عنيت بقولي ؟)

فقالوا لا يا رسول الله !؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إنّ الرجل يُخَدَش الخدشة ويُنْكب**

النَّكْبة ، ويُعَثَر العثرة ، ويَمرُض المرضة ويُشاك الشوكة وما اشبه هذا . . حتى ذكر في حديثه اختلاج العين)(٥٧٠) .

إنها زكاة الابدان وتطهير لها عن الغلظة والقسوة والتهور . . انها تُعلِم الانسان الرأفة والرِقة والرحمة إنها تُوحي الى الانسان بالهدوء و السكينة وحب المسكين والأرملة .

وإضافة الى ذلك . ان الانسان اذا علم بهذه الحقيقة المهمة استغلها لتشفيف روحه وترقيقها بالفضيلة والخير ، وترقية مشاعره وترقيق حواسه وما أعظمها ـ اذاً ـ من نعمة وزكاة !!

والى هذا يشير النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :

(لكل شيءٍ زكاة وزكاة الابدان الصيام)(٥٧١) .

إنّ الصيام ترقيق وتطهير وتنمية !!

ويُروى عن الامام الصادق عليه السلام تفصيل لهذه الحقيقة قال عليه السلام :

(على كل جزء من أجزائك زكاةٍ واجبة لله عز وجَلّ .

بل على كل مَنْبتَ شعر من شعرك .

بل على كل لحظة من لحظاتك زكاة !

فزكاة العين : النظرة بالعَبْرة والغَض عن الشهوات وما يُضاهيها

وزكاة الأذن إستْماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك وبالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباههما !

وزكاة اللسان : النُصْح للمسلمين والتَيْقُظ للغافلين وكِثْرة التسبيح والذكر وغيرها !

وزكاة اليد : البَذْل والعَطاء والسخَاء بما أنعم الله عليك به وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى القبض عن الشر !

وزكاة الرجل : السعي في حقوق الله ، من زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، وإصْلاح الناس ، وصِلَة الأرحام ، والجِهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك)(٥٧٢)

هذه الأمور زكاة ، وشكر .. وترقية - على حدّ سواء -

وما أحوج للمسلمين - اليوم - الى هذه التعاليم الحيَّة المتُحركة . التي هي أساس سعادة الآخرة ورفاه الدنيا وبها يَتكوِّن المجتمع الصالح العام ، ولكن !

الخُمْس

من الفرائض المالية التي جعلها الله تعالى لمحو الفَقْر وإصلاح المجتمع الخُمُسُ .

وذلك ضَرِيبة بسيطة واضحة مصدرها وموردها ومقدارها .

فمصدرها الغنائم وكل فائدة يستفيدها الإنسان والغَوْص والكَنْز والمعدن وقسم من الأرض ، وما اختلط من الحلال والحرام .

وموردها : اليتامى والمساكين وابناء السبيل من ذرية الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم والمصالح الإسلامية بنظر الإمام ونائبه ـ على تفصيل ـ

ومقدارها : من الخمسة واحد !

يقول القرآن الحكيم :

« واعلموا : إنما غنتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما نزلنا على عبدنا »[8] .

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام : **« هلك الناس في بطونهم وفروجهم لأنهم لا يؤدون الينا حقنا»**(٥٧٣)

يأكلون حراماً . . وينكحون بمال حرام ! إذاً يهلكون !!

وربما يَظن الغُرّ إنه مجعول لذرية الرسول جُزافاً ! كلاّ إنَّ الاسلام الحكيم لا يُشرِع أمراً جُزافياً . بل جُعِلِت الزكاة لسائر الفقراء وجُعِل الخمس لفقراء آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبهذين الغرضين سدَّت

خلة الفقراء عامة . وسَهْم الامام : الذي هو نصف الخمس يُصرَف في مصالح المسلمين على حد صرف الزكاة فيها .

فهما فريضتان تقومان بتنظيم المصالح المالية خير قيام[1] .

وهنا أمر لا بأس بإيراده استطراداً في الموضوع وهو :

ان الاسلام حبَّذ الى الناس توقير ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإحترامهم ولكن ليس ذلك جُزافاً بل لأمرين :

١ ـ توجيه الناس الى ناحية الرسول فإنه إحترام احد مثار السؤال عن سائر الناس : لم يوقر ؟ فيقال : انه من ذرية الرسول . . ومَنْ الرسول ؟ وبهذا يُحيي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الاذهان ويتحرك الشخص نحو الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم طلباً للسمو ، وبذلك يكون تقريب للناس نحو الخير والفضيلة والسلام والاسلام . وأعظِم بها من فائدة !

٢ ـ حِفْظ مقام النبوة في الذرية وهذا أمر منطقي معقول ، أن الانسان يرى احترام الاولاد من لوازم احترام الأباء كما ان اهانتهم اهانة بالنسبة الى الاباء وبهذا ينظر الحديث « المرء يُحَفَظ في وِلْده » .

إذاً : فليس الإحترام لذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جُزافاً بل انه نوع من الدعوة الى الفضيلة والخير .

كما ان الاسلام لا يَغْفل عن طبيعة البشر التي تتعالى اذا وجد جاهاً وتوقيراً فيتقدم الى النهي الأكيد عن الكبرياء والبَطالة بالنسبة الى السادة وقد نهىٰ نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم إيّاهم عن أن يأتوا بأنسابهم بينما يأتي سائر الناس بأعمالهم . وأبو لهب القرشي عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير مِثال لنظرة الاسلام الى الاشخاص انه قد ورد فيه آي من الذكر الحكيم ذماً له ولزوجته ﴿ وتبت يدا أبي لهب وتب﴾[88] .

ولتفضيل الكلام مجال آخر وانما المقصود الاشارة الى بعض ما ورد في احترام السادة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (حقت شفاعتي لِمَنْ أعان ذريتي بيده ولسانه وماله)(٥٧٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أربعة أنا لَهم شفيع يوم القيامة : المُكْرِم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في امورهم عند ما اضطروا اليه والمِحَب لهم بقلبه ولسانه)(٥٧٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اصْطنَع الى أحدٍ من أهل بيتي يداً ، كافيته يوم القيامة)(٥٧٦) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أيها الخلائق إنْصتوا فإن محمداً يكلمكم فتنصت الخلائق .

فيقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول :

يا معشر الخلائق مَنْ كانت له عندي يد ، أو مِنة أو معروف فليقم حتى أكافيه ؟ .

فيقولون : بأبائنا وامهاتنا وأيّ يدٌ ، وأي منةٍ ، وأي معروف لنا ؟! بل اليد والمِنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق فيقول لهم بلى من آوى احداً من أهل بيتي ، أو بَرّهم أو كساهم من عِري أو أشبع جائعهم فليقم حتى أكافيه .

فيقوم اناس قد فعلوا ذلك .

فيأتي النداء من عند الله : يا محمد يا حبيبي قد جعلت مكافأتهم اليك فأسكِنهم من الجنة حيث شئتَ قال : فيسكنهم في (الوسيلة) حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيت محمد ، صلوات الله عليهم »(٥٧٧) .

وهذا الحديث للعاملين بالاسلام المتقين عن المحارم أما مَنْ يعمل ما يعمل ! ثم يحترم سيداً أو يكسوه أو يطعمه فلا يقبل ذلك منه أسمعتَ قول الله تعالى :

﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ؟﴾(٨٩) و (إنما) كلمة حصر !!

الإنفـــاق علىٰ العِيـــال

ان الانفاق على العائلة في نظر الاسلام من الواجبات .. لكن مع ذلك يرى الاسلام له أجْراً كبيراً ، وثواباً عظيماً ، كما هو شأن الاسلام في جميع واجباته ومندوباته ، فإنه لا يُلْزم بشيء ، إلا إذا كان ذا فائدة دنيوية وآخروية .. وذلك جَلي لدىٰ من درس الاسلام باستيعاب وعمق !

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**الكَادّ على عِياله ، كالمُجاهد في سبيل الله**)(٥٧٨) ولِمَ لا يكون كذلك ؟ كلاهما يوجبان عِمارة الأرض ، وازدهار الحياة ، وإطاعة لأمر الله ...

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**خَيَركم : خيركم لأهله**)(٥٧٩) .

ليس هذا فحسب بل جعل الاسلام النزول عند رغبات الأهل في المأكل ... من سمات المؤمنين ، وعكسه من سمات المنافقين .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**المؤمن يأكل بشهوة أهلِهِ والمنافق يأكلُ أهلهُ بشهوته**)(٥٨٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**أفضل الصدقة : صدقة عن ظَهْر غني ، وإبدأ بمن تَعول ! واليد العُليا خير من اليد السفلى ، ولا يلوم الله على الكفاف**)(٥٨١) .

غُرَر من الحكم ، ودُرَر من الكلم ، جمعتها هذه الألفاظ السهلة العذبة القليلة !!!

فكيف يتصدق الانسان وهو فقير مُعدَم، لا يملك شيئاً يسيراً ؟! وهل الصدقة إلا لرفع الفَقْر عن المجتمع ، وإزالة السخائم ؟ وصدقة مَنْ يفقر

بصدقته لا تنتج شيئاً منها ، يقول القرآن الحكيم : ﴿ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً﴾(٩٠) أما الإيثار ، وما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من تقديم غيرهم على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة .. فله بحث آخر ، وجمع وجيه ...

إذاً : فأفضل الصدقة عن ظهر غنى يتصدق وهو غني ...

وإبدأ بمن تعول .! انه ليس له أحد سواك .. أما غيره فكثيراً ما يجد غيرك ، بالإضافة الى ان القيام بمهام العائلة يُقوي الصلات العَذْبة ، ويفشي الحب والوَدَاد بين الأسرة ..

ومَنْ يشك في ان اليد العليا خير من اليد السفلى ؟ فإذا صَاحَبَ الانسان أحداً فليَجَهْد لأن تكون يده العليا . وهذا بدوره تحفيز للرقي والتقدم وشدّ الناس بعضهم بعض ، ونشر الفضيلة والخير فيهم ، والكَفاف هو الحد الوسط في العيش ، والله هو الذي يأمر بالقصد . انه يكره السَرف والقَتْر ، أما الكَفَاف فلا لوم من الله عليه ، بل ولا من الناس ...

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

(ديناراً انفقته على أهلك ..

وديناراً انفقته في سبيل الله ...

وديناراً انفقته في رقبة ..

وديناراً تصدقت به على مسكين ..

واعظمها أجْراً الدينار الذي انفقته على أهلك !!)(٥٨٢) .

انه يجمع الخير كله فالأهل مسكين ، ورقبة ، وسبيل الله ، وأهل .. فلماذا لا يكون الأنفاق عليه أعظم أجراً ؟

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما انفق الرجل على أهله ، فهو صدقة ، وان الرجل ليؤجَر في دفع اللقمة الى فم امرأته)(٥٨٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من الذنوب ذنوب لا يُكَفِرها إلا الهم بطلب المعيشة**)(٥٨٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من كان له ثلاث بنات ، فانفق عليهن وأحسن عليهن ، حتى يغنيهن الله عنه ، أوجب الله تعالى له الجنة**)(٥٨٥) إلا ان يعمل عملاً لا يغفر الله له » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوماً لأصحابه ـ : (**تصدقوا** . . .

فقال رجل : إنّ عندي ديناراً ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم **أنفْقه على نفسك** .

فقال : إنَّ عندي آخر ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : **إنِفقه على زوجتك** .

قال : ان عندي آخر ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : **إنِفقه على ولدك** . . .

قال : ان عندي آخر ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم **إنِفقه على خادمك** .

قال : ان عندي آخر ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : **أنت أبَصْر به**)(٥٨٦) .

هنا موضع الإنفاق في سبيل الله ، من صدقة أو عمارة مسجد أو بناء مدرسة أو إكساء مْسِكين أو ما أشبه . . . اما الواجب فهو مُقدَم على المستحب ، وقد قال الامام امير المؤمنين عليه السلام : « **لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض** » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ملعون ملعون مَنْ ألقَ كلّه على الناس ! ملعون ملعون من ضيَّع مَنْ يَعوله !**)(٥٨٧) إنَّ الاسلام يريد ان يقوم كل فرد بعمل مُضاعفَ لنفسه ولغيره وأقله من يَعوله . . أما أن ينعكس المطلب ولا يقوم الانسان حتى بنفقة نفسه ، بل يُلقي كلَّه على الناس ، فهو

ملعون ملعون !!!

وقال الامام السجاد عليه السلام : « أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله »(٥٨٨) .

نعم : انه كذلك بنظر الاسلام ، الاسلام الذي يريد الخير والرفاه والسعادة ، للبشر كافة ، وللعائلة خاصة إنْ أسبغهم أرضاهم ولا تعجب .

وقال عليه السلام : « لئن ادخل السوق ومعي دراهم ، ابتاع لعيالي لحماً ، وقد قرموا اليه ، احب اليَّ من أن أعتق نسمة »(٥٨٩) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « كفى بالمرء إثماً أنْ يُضيِّع مَنْ يعوله »(٥٩٠) .

وقال عليه السلام : « من سعادة الرجل : ان يكون القَيِّم على عياله »(٥٩١) .

وقال الامام الكاظم عليه السلام : « إنَّ عيال الرجل اسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة ، فليوسع على أسَرائه ، فإن لم يفعل أوشك ان تزول النعمة »(٥٩٢)

وقال الامام الرضا عليه السلام : « ينبغي للرجل أنْ يُوسِع على عياله ، لئلا يتمنوا موته »(٥٩٣) .

وقال عليه السلام : « صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله »(٥٩٤) .

الى غير ذلك من الأحاديث ، التي كلها تشير الى هذا المعنى : وجوب الانفاق وندب التوسعة .

الصـــدقـــات

نَدَب الاسلام الى الصدقة ، وأكّد إيتاءها ووعد من تصدق الثواب الجزيل ، والأجْر الكبير ولفظة الصدقة مشتقة من الصِدْق كأنها لملازمتها تصديق الله والرُسلُ أُشتقَت منها، وعلى أيٍ فالاسلام يرى استحبابها بكل ما امكن ، ولو بشق تمرة !

وليس الصدقة خاصة بنحو من المال بل تشمل بذل النقود والاسكان ، والإكساء ، والإطعام ، والقيام بخدمات أحد ؛ كما أنها ليست خاصة بتلك الأمور المذكورة بل : إن بناء المدارس والملاجىء والرياض ، والمستشفيات والمساجد ، والاعقاب وحَفْر الآبار في الطرق ، ومد الجسور ، وإضاءة الشوارع والبيوت وما اليها ، وبناء المساكن للفقراء والعَجَزة ، وطبع الكتب ، ووقف المطابع والمكائن والسيارات ونحوها .

كلها من الصدقة المندوبة ، اذا كانت فيها مصلحة للمسلمين أو ما أشبه .

والاسلام وسَّع في معنى الصدقة ، فلم يقتنع بما ذكر ، بل جعل الكلمة الطيبة ، وتنمية الأذى عن الطريق واشباه هاتين من الصدقة .

وفي القرآن الحكيم ، والأحاديث . . . تأكيد عجيب حول الصدقة .

﴿ أنفقوا من طيبات ما كسبتم و مما اخرجنا لكم من الأرض ﴾ (٩١)

﴿ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين﴾(٩٢) .

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون﴾(٩٣) .

الى غيرها .. وغيرها .. مما يزخر به القرآن الكريم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسدّ من الجائع وتُطْفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار)(٥٩٥)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إتقوا النار ، ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة)(٥٩٦)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما من عَبْد مسلم يتصدق بصدقة من كَسْب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - إلا كان الله أخذها بيمينه ، فيربيها له ، كما يُربي أحدكم فَصِيله حتى تبلغ التمرة مثل احد)(٥٩٧)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما أحَسَنَ عبدٌ الصدقة ، إلا أحسن الله عزّ وجلّ الخلافة على تركته)(٥٩٨)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(كل امرىء في ظل صدقته ، حتى يقضي بين الناس)(٥٩٩)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أرض القيامة نار ، ما خلا ظل المؤمن ، فإن صدقته تظله)(٦٠٠)**.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إنَّ الله لا إله إلا هو ، ليدفع بالصدقة : الداء ، والدبيلة ، والحرق ، والغرق ، والهدم ، والجنون . . .)(٦٠١)** .

وعد سبعين باباً من الشر .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(صدقة السر تطفىء غضب الرّبّ عز وجل)(٦٠٢)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إذا أطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه)(٦٠٣)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :**(أعطِ السائل ، ولو على ظهر فرس)**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تقطعوا على السائل مسألته ، فلولا ان المساكين يكَذِبون ما أفلح مَنْ ردّهم)(٦٠٤) .

وفي الحديث : (ان الله سبحانه ، أوحىٰ الى موسى بن عمران يا موسى إكرم السائل ببذلٍ يسير أو بردٍّ جميل ، انه يأتيك من ليس بأنسٍ ولا جان ، بل ملائكة من ملائكة الرحمن ، يبلونك فيما خولتك ويسألونك فيما نولتك ، فأنظر كيف انت صانع ! يا ابن عمران)(٦٠٥)

وقال الامام الباقر عليه السلام : « البِرّ والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان في العمر ، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء »(٦٠٦) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء ! واستنزلوا الرزق بالصدقة ! فإنها تفك من بين لحى سبعمائة شيطان !! وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهي تقع في يد الرب ، قبل ان تقع في يد العبد »(٦٠٧) .

وهذا كناية عن ان الله تعالى يقبلها ، قبلما تصل الى يد الفقير !

وقال عليه السلام : « الصدقة باليد تقي ميتة السوء وتدفع سبعين نوعاً من البلاء وتفك من لحى سبعين شيطاناً ، كلهم يأمره : أن لا يفعل »(٦٠٨) .

ولعل الفرق بين السبعين والسبعمائة ، باختلاف المتصدقين أو المتصدق عليهم ، أو الصدقات أو الأزمان والأمكنة أو ما أشبه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يستحب للمريض : ان يعطي السائل بيده ويأمره أن يدعو له)(٦٠٩) .

وقال عليه السلام : « باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطاها ، ومن تصدق بصدقة أول النهار ، دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم ، فإن تصدَّق أول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة »(٦١٠) .

« وقد كان الامام الصادق عليه السلام اذا صلى العشاء ، وذهب من الليل سطره ، اخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم . فحمله على عُنُقُه ثم ذهب به الى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه فيهم ، ولا يعرفونه ، فلما مضى ابو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك ! فعلموا انه كان ابا عبد الله عليه السلام » .

الهــدايــا

ان الهدية مما ندب اليها الاسلام ، لما فيها من تقوية الصلات وتوثيق عُرىٰ الحب والوداد ، وإيجاد الالفة والمحبة بين افراد المجتمع .

ولا تختص الهدية بالفقير ، بل الهدية تعمّ الغني ايضاً ، كما إنها لا تختص بشيء خاص بل تشمل كل ما توجب الالفة والوداد .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (تهادوا تحابوا فإنها تذهب بالضغائن)(٦١١) .

وهذا من خطط الاسلام الحكيمة ، لبث الحب في المجتمع فإن الهدية تسبب تقارب القلوب ، وتتألف الأفراد ، وترخص الضغائن الكامنة ، والاحقاد والعداوات .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : « لئن أُهدي لأخي المسلم هدية أحب اليَّ من أن أتصدق بمثلها »(٦١٢) .

ثم ان الاسلام ، يؤكد الاهداء وقبول الهدية ولو كانت ضئيلة ثم ردها بمثلها أو أحسن منها ، كل ذلك لاشاعة الحب وبث الالفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لو أُهديَ اليَّ ذراع لقبلت) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « من تكرمة الرجل لأخيه المسلم ان يقبل تحفته ، وأنْ يتحفه بما عنده ولا يتكلّف شيئاً »(٦١٣) .

الضِيـــافَة

من بواعث الإلفة الضِيافةُ فإنَّ الانسان يَحْنو نحو أخَيه اذا حَنيَ الأخ اليه ولهذا العطف القلبي الذي هو السر في الوداد والحب اثارٌ وعلائم كحُسْن البشر والتحية والإهداء والضيافة .

ولذا أكّد الإسلام على الضيافة ، تأكيده على سائر بواعث الحب والأئتلاف . بالأضافة الى ان الانسان قد يكدر قلبه على اخيه لهنّات اجتماعية . والضيافة صيقل يُجلو القلب وينير الفؤاد عن الكدورات .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا خير فيمن لا يَضِيف)(٦١٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الضيف اذا جاء فنزل بالقوم جاء برزقه معه من السماء فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله)(٦١٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما من ضيف حلَّ بقوم ، إلا ورزقه في حجره)(٦١٦)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم ضيفه)(٦١٧) .

وما الربط بين الايمان بالمبدأ والمعاد وبين إكرام الضيف ؟ .

أليس ان الله الذي بيده البدء والعود أمَر بذلك ؟ إذاً : فإكرام الضيف يلازم الايمان بالله واليوم الآخر وما أجمله من اسلوب ؟ واكده من حث ؟ .

ومرَّ صلى الله عليه وآله وسلم برجل له إبل وبقر كثير فلم يضيفه ، ومرَّ

بامرأة لها شويهات ، فذَبَحتْ له فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «(انظروا اليها فإنما هذه الاخلاق بيد الله عز وجل ، فَمن شاء أنْ يمنحه خُلُقاً حسناً فعل) .

وهل يمنح الله إعتباطاً ؟ تقول الآية الكريمة : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[٩٤] . . وتقول : ﴿ وأنْ ليس للانسان إلا ما سعى﴾[٩٥] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما تزال أُمتي بخير ، ما تحابوا وأدّوا الامانة واجتنبوا الحرام وأقرأوا الضيف ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقَحْط والسنين)(٦١٨) .

فهل يصح ذلك ؟ نعم : ألسنا نحن المسلمين اليوم في قَحْط ؟ ان من يُقِيس اسعارنا اليوم بعد ما تركنا ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسعارنا قبل نصف قرن ، حينما كنا نعمل بأوامرِ النبي وارشاداته ، يعرف مدى كوننا في قحط !

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا أراد الله بقوم خيراً ، أهدى اليهم هدية قالوا : وما تلك الهدية ؟ قال الضيف يَنزِل برزقه ، ويَذْهب بذنوب أهل البيت)(٦١٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (كل بيت لا يدخل فيه الضيف ، لا تدخله الملائكة)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الضيف دليل الجنة) (٦٢٠).

وقال امير المؤمنين عليه السلام : « ما من مؤمن يحب الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر فينظر أهل الجمع فيقولون : ما هذا إلا نبي مرسل ! فيقول مَلَك : هذا مؤمن يحب الضيف ويُكْرم الضيف ولا سبيل له إلا ان يدخل الجنة »(٦٢١) .

إنه مؤمن يحب الضيف لا انه يرى لا مَفَر له من الضيف ولك ان تسأل وهل يمكن ان يحب الانسان الضيف اذا كان يَخل بشؤونه أو يأكل

قوته ؟ .

والجواب : نعم يمكن ان الانسان اذا فكّر في فوائد الضيف الدنيوية والآخروية ، ونظر الى اولئك الذين يضيفون الناس والى الذين لا يضيفون ثم رأى عدم الفرق بينهما من أي ناحية لا المادية ولا المعنوية يُذْعن بأن الضيافة حَسَنة واذا أذْعن بذلكِ لم يفتىء إلا ويحب الضيف .

وقال عليه السلام : « ما من مؤمن يسمع همس الضيف وفرح بذلك ، إلا غُفِرتْ له خطاياه ، وإن كانت مطبقة بين السماء والأرض »(٦٢٢) .

وبكى عليه السلام يوماً فيقيل له : ما يبكيك ؟ قال : لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف ان يكون الله قد أهانني !)

ومعنى الإهانة عدم ارسال الهدية فقد تقدم في الحديث : إنَّ الضيف هدية .

عن أبي محمد الوابشي قال : ذكر اصحابنا عند ابي عبد الله (ع) فقلت : والله ما أتغذى ولا أتعشى إلا ومعي منهم الأثنان أو الثلاثة أو أقل أو اكثر فقال عليه السلام : « فضلهم عليك اكثر من فضلك عليهم » قلت جُعْلِت فداك كيف ؟! وأنا أطعمهم طعامي وأنفِق عليهم من مالي ويخدمهم خادمي فقال : « إنهم اذا دخلوا عليك دخلوا برزق من الله عز وجل واذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك » (٦٢٣) .

ويُروى : ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه وكان يُكنى أبا الضيفان) .

وانما كان يخرج لأنه كان ساكناً في البادية برهة من عمره الشريف .

ثم انه كما يُستحَب الضيافة يُستحَب إطعام الطعام وسَقْي الماء وما اشبه وان لم يكن بطلب الضيف الى الدار فإن في ذلك ما في الأضافة من خير وبِرّ وإحسان وإئتلاف وود وحب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(مَنْ أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات : الفردوس وجَنة عَدْن وطوبىٰ شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربُّنا بيده)(٦٢٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنّ في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها يسكنها من أُمتي من أطاب الكلام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام)(٦٢٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أحب الأعمال الى الله تعالى : إشباع جوعة المؤمن وتنفيس كربته وقضاء دَيْنه وإن من يفعل ذلك لقليل)(٦٢٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنّ الله يحب الإطعام ويحب الذي يُطعِم في الله والبركة في بيته أسرع من الشفرة في سنام البعير)(٦٢٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (خيركم من أطعم الطعام)(٦٢٨).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بَعدّه الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام)(٦٢٩) .

وقد حرَّض الاسلام على الإطعام حتى جعل إطعام فقير مؤمن بمثوبة إطعام إله الكون ! وكيف ذاك ؟ انظر الى هذه الرواية :

(إن الله تعالى يقول للعبد ـ يوم القيامة ـ يا ابن آدم جُعْتُ فلم تُطْعمني فيقول : كيف أطعمك وانت رب العالمين ؟! فيقول : جاع أخوك فلم تطعمه ، ولو اطعمتَهَ كُنتَ اطعمتنيَ !)(٦٣٠).

وكما يَندِب الاسلام الى الإطعام يحبذ سَقْي الماء .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من سقى مؤمناً من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم)(٦٣١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من سقى مؤمناً شربة من ماء ، من حيث يقدر على الماء ، أعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة ، وإنْ سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكأنما أعتق عشر رقاب من وِلْد اسماعيل)(٦٣٢)

وهل بعد ذلك من مزيد ؟ .

لكن المسلمين - اليوم - حيث ضعف الاسلام في نفوسهم وابتعدوا عن مناهجه القويمة ، أثّر الضُعْف في كثير من الاحكام الاسلامية ولذا ترى قلة الضيافة والإطعام .. ولِمَ ؟ لأنَّ ذلك مما يضر بالماديات ! وهل المسلم مادي ؟ نعم : انه حيث فَقَد الروح ، لم يبقَ لديه إلا المادة !!

حَــقُّ الحصـــاد

من الأحكام الاسلامية ما قَلَّتْ حصته من العاملين ، فلا عامل له أو قَلَّ العاملون به ، كما إن من الأحكام ما كَثُر من يطبقه .. سواء في ذلك الواجب والمُسْتَحب والأحكام الثلاثة الأُخَر .

فترى الصلاة تُقام بكثرة ، بينما الزكاة وهي شقيقتها لا تُعطىٰ إلا نادراً والزنا لا يُستباح إلا بشذوذ ، بينما الغيبة وهي اختها في الحرمة تتعاطى في غالب المجامع والأندية .

والقنوت في الصلاة مستحبة في ذات جدّ وحظَ ، بينما تقليب الكفين حالته - كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعله - لا يُرى أصلاً .

ومن المندوبات - أو الواجب على بعض الأداء - التي لا حظ لها من المسلمين إلا نادراً : حَقّ الحَصَاد والجذاذ .

وما ذاك ؟ .

ان الاسلام قرر ان يُعطى حين حصاد الحب ، وجذاذ التمر .. وما أشبه ، قبضات وحفنات .. الى الفقراء الذين يحضرون ..

فكم ترى حظ هذا الأمر الاسلامي من التنفيذ ؟ .

بينما ترى الاخبار تؤكد هذا الحق بضروب من التأكيد .

روى زرارة ومحمد بن مسلم وابو بصير عن الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل :

﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾[٩٦] ؟ قال : « هذا من الصدقة تعطي

المسكين القبضة بعد القبضة ، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة ، حتى يفرغ »(٦٣٣)

وعن أبي مريم عن أبي عبد الله عليه السلام ، في قول الله عز وجل : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده﴾ قال : « تعطي المسكين يوم حصادك الضغث ثم اذا وقع في البيدر ، ثم اذا وقع في الصاع العشر ونصف العشر » .

وعن شعيب قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام ، عن قول الله عز وجل : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ قال : « الضغث من السنبل ، والكف من التمر إذا خرص ، وسألته هل يستقيم إعطاؤه اذا دخله ؟ قال : لا ، هو اسخى لنفسه قبل ان يدخله بيته » .

وسأل الحلبي الامام الصادق عليه السلام : عن قول الله عز و جل : ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ كيف أعطي ؟ قال :« تقبض بيدك على الضغث ، فتعطيه المسكين والمسكين حتى تفرغ منه » .

الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

وقد أكَد الاسلام على هذا الحق ، حتى جعل الصرم بالليل مكروهاً شديداً ، مخافة ان لا يحضر المساكين :

روى أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال : « لا تصوم بالليل ولا تحصد بالليل ، ولا تضح بالليل ، ولا تبذر بالليل ، فإنك ان فعلت لم يأتك القانع والمُعترّ ! فقلت : ما القانع والمعتر ؟ قال : القانع الذي يقنع بما اعطيته ، والمعتّر الذي يمر فيسألك ، وان حصدتَ بالليل لم يأتك السؤال ، وهو قول الله : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ عند الحصاد يعني : القبضة بعد القبضة اذا حصدته ، فاذا خرج فالحفنة بعد الحفنة ، وكذلك عند الصرام ، وكذلك البذر ، لا تبذر بالليل لأنك تعطي في البذر كما تعطي في الحصاد »(٦٣٤) .

وهنا سؤال يَفرِض نفسه ، هو ان المسكين كيف ينتفع بالقبضة وما

اشبهها ؟ ولِمَ يجعل الاسلام اكثر من الحِفْنة حقاً للسائل ؟ .

والأجابة على هذا السؤال : ان مَنْ يمر من السائلين كثيرون ، ومن يصرم ويحصد ويبذر كثيرون ايضاً ، فوُزِعَت الحاجة على المالكين كي لا يتضرر المالك ، ولا يبقى الفقير مُعْوَزاً إنّ الفقير يجمع من بساتين متعددة ما يكفيه ، والمالك يعطي للسائلين حفنات اذا جمعت صارت شطراً من ماله لا يُستهان به . وهذا من حكمة الاسلام وكل الاسلام حكمة .

ثم أن الاسلام لم يُخصِص هذا الحق بالمسلم ، فإنه الاسلام الذي يرأف حتى بالكافر والمُشرِك ، انه مَبْدأ إنساني يحب للانسان كل خير ويعطف على كل انسان ولو كان معتنقاً لمبدأ غير مبدأه ، ودين غير دينه .

قال هاشم بن المثنى قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « وآتوا حقه يوم حصاده » ؟ قال : « إعطِ مَنْ حضرَك من مشرك أو غيره » .

وعن عبد الله بن سنان سُئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ ؟ قال : أعطِ من حضرك من المسلمين ، وإنْ لم يحضرك إلا مشرك فأعطِه » .

وفي حديث آخر عنه : « تُعطي منه المساكين الذين يحضرونك ولو لم يحضرك إلا مشرك » .

حَــقٌ معَــــلوُم

﴿في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾[97] .

هكذا يقول القرآن فما ذلك الحق المعلوم يا ترى ؟ .

ان ابتعاد المسلمين عن القرآن والسنة أوجب اختفاء هذا الحق عن الأذهان حتى انك تكاد تجد الكثرة الغالبة من المسلمين لا يعلم بهذا الحق وأجْدر بهم ان لا يؤدوها وكيف يُؤدي حقٌ لا يُعلم ما هو ؟ !

روى سماعة بن مهران عن الصادق عليه السلام قال : « الله عز وجل فَرَض في اموال الاغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال الله عز وجل : ﴿ والذين في اموالهم حق معلوم للسائل﴾ فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله ونفسه يُحب له ان يفرضه على قَدر طاقته ووسعة ماله »(٦٣٥) فيؤدي الذي فرض على نفسه إنْ شاء في كل جمعة وان شاء في كل شهر .

وقد قال الله عز وجل ايضاً : ﴿ اقرضوا الله قَرْضاً حسناً﴾[98] وهذا غير الزكاة .

وقد قال الله عز وجل ايضاً : ﴿ وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ﴾[99] .

والمانعون ايضاً وهو القرض يقرضه ، والمتاع يعيره والمعروف يصنعه ومما فرض الله عز وجل ايضاً في المال غير الزكاة قوله عز وجل ﴿ الذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ﴾[100] .

ومن أدّى ما فرض الله عليه فقد قضى ما عليه وأدّى شكر ما أنعم الله

عليه في ماله اذا هو حمده على ما أنعم الله عليه فيه مما فضله به من السعة على غيره ولما وفقه لاداء ما فرض الله عز وجل عليه وأعانه عليه » .

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام (في حديث) قلت : ماذا الحق المعلوم الذي علينا ؟ قال : « **هو والله الشيء الذي يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر قَلَّ أو كَثُر غير انه يدوم عليه** »(٦٣٦) .

وروى اسماعيل بن جابر عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ **والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ أهو سوى الزكاة ؟ فقال « **هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة آلاف والأقل والأكثر فيَصِل به رَحِمه ويحمل به الكلَّ عن قومه** »(٦٣٧) ..

أليست هذه معاني انسانية نبيلة ، وامور توثق عُرىٰ الاجتماع وتربط الناس بعضهم ببعض بالأضافة الى كونها توجب الثواب والجنة في الدار الآخرة ؟ وهل تجد ما يشابه الاسلام في مبادئه ودساتيره في قوانين الأرض والأديان المنتسبة الى السماء ؟ كلا ! انه الاسلام وحده الذي فيه كل خير ولو عمل به الانسان حاز رفاه الدنيا وسعادة الآخرة .

ولو لم يعلم المسلم بهذه الشرائع فهل لَوم التأخُر والإنحطاط عليه أم على دينه .؟.

﴿ **وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون** ﴾(١٠١) .

القَـــرض

المجتمع عادل والناس ظلمة كما ان التوزيع لخيرات الأرض عادل والقائمون على التقسيم جائرون .

ترى مكاناً من الأرض يحمل ذهباً وعقُياناً يكفيان حاجات كل البشر ، ومكاناً خالياً منهما ولكنه مُشحَن بالفواكه والنخيل والاشجار ، ومكاناً آهِلاً بالحيوانات التي يحتاجها الانسان بينما تراه محتاجاً الى الأمرين الأولين . . . وهكذا .

هذا توزيع عادل جعله الله سبباً للتآلف والتعارف يحتاج ذاك الى هذا في ذِهبه وجوهره . . . وهذا الى ذاك في تِينه وزيتونه وهما الى ثالث في الصوف والوبر . . وهكذا .

وهكذا في المجتمع كمية من المال وُزِعت بالاختلاف ، هذا تاجر وهذا عامل فلو كان الجميع اصحاب اموال فمن يَعْجن ويَخْبز ويَحصد ويَزرع ؟ ولو كان الجميع عملة فمن يجلب البضائع بأموال طائلة ومن يَدَّخِر من الشتاء للصيف ومن الربيع للخريف ؟ .

هذا هو سر الاختلاف في خيرات الأرض والاختلاف في انصبة الناس من الاموال .

وكما إنَّ الله أمرَ بعمارة الأرض واستخراج كنوزها وتوزيعها بالعدل ليعيش الناس مُرفَهين .

كذلك أمرَ بالتعاون في الأموال هذا يُقرِض ، وذاك يَبذل وذلك يعمل ليسعد الناس اجمعين .

﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً ؟ ﴾(١٠٢) .

ان القرض كان في قاموس المسلمين يوم كان يحكم فيهم القرآن وتسود فيهم السُّنة أما اليوم فقد ذهب القرض حيث ذهبتْ سائر شرائع الاسلام من خُمْس وزكاة . وخَيْر وصِلات .

لكن الاسلام يقول . ويقول . ويقول . اقرضوا ، اقرضوا ان اردتم العيش الهنيء والسعادة في الدنيا . . اقرضوا الله وأدّوا القرض لله ولا تقرضوا رباً ولا تأكلوا اموال الناس باطلاً .

فهل من اذن سامعة ؟ .

قال الامام الباقر عليه السلام : **« من اقرض رجلاً قرضاً الى ميسرة ، كان ماله في زكاة وكان هو في صلاة مع الملائكة حتى يقبضه »(٦٣٨) .**

وقال الامام الصادق عليه السلام : **« مكتوب على باب الجنة الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر »(٦٣٩).**

ولنقف امام هذا الحديث ، لنتساءل : وماذا الذي فضّل القرض على الصدقة مع ان المال في الصدقة تذهب بلا عودة ، بخلاف القرض ؟ أما اذا علمنا ان الصدقة ـ غالباً ـ تكون بأموال يسيرة دون القرض فإنه يشمل الألوف المؤلّفة . . وعلمنا أن القرض يُكافح الرِّبا دون الصدقة . وعَلِمنا أنَّ الصدقة تخص جماعات معوزين فقط والقرض يفك مشاكل الحياة عند كل طبقة . واخيراً علمنا ان (المصارف) تؤدي عمل القرض ـ بربا ـ وأخذنا عن ذلك صورة اجمالية من اعمال القرض في المجتمع .

كان الجواب : ان القرض وَتَر المجتمع الحسّاس والصدقة ـ المتبرع بها كما هو الظاهر من سياق الحديث ـ يأتي دورها في هامش الحياة وأجدر بالوتر ان يكون افضل من الهامش وأفضل ؟ .

وقال الامام الصادق عليه السلام : **« ما من مؤمن يلتمس به وجه الله إلا حسب له أجْر بحساب الصدقة حتى يرجع اليه ماله »(٦٤٠) .**

واذا أقرض الانسان فلا يُكدِّر صفو قرضه بالاستعجال في الطلب إنّه أقدَم على أمْرٍ جميل ، فلماذا يكدره بالالحاح في الأداء وكثيراً ما لا يجد المقترض سبيلاً الى دفعه .

كما ينبغي للمقترض ان يعجل الأداء مهما امكن ولا يقطع سبيل المعروف بمماطلته .

فعلى المُقْرض ان يعمل بقوله تعالى : ﴿ **إنْ كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة**﴾(١٠٣) .

وعلى المُقترض ان يسعى في الأداء حسب الإمكان ولا يماطل مع المُكْنة .

كما ان من المندوب ان يَهب المُقرِض المُقترَض ما يطلبه إن كان المدين مُعوزاً لا يقدر على الاداء .

وقد وردت في هذه المعاني آيات وروايات :

روى الامام الصادق عليه السلام : « **ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في يوم حار ـ ومناكبه ـ من احب ان يستظل من فور جهنم ؟ قالها ثلاث مرات فقال الناس ـ في كل مرة ـ نحن يا رسول الله فقال : من أنْظر غريماً ، أو تَرَكَ لمُعْسر** »

وروى الصادق عليه السلام ايضاً : « **ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر ذات يوم ، فحمد الله واثنى عليه ، وصلّى على انبيائه ثم قال : ايها الناس ليُبلغ الشاهد الغائب منكم ألا ومَنْ أنظر مُعْسراً كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه** » .(٦٤١)

وقال الصادق عليه السلام : « **مَنْ أراد أنْ يظله الله يوم لا ظل إلا ظله ، فلينظُر مُعسِراً أو يدَعْ له من حقه** »(٦٤٢) .

وقيل له عليه السلام : ان لعبد الرحمن بن سبابة دَيْناً على رجل قد مات وقد كلمناه أن يُحلِلَهَ فأبىٰ ؟ فقال : « **ويحه ! أما يعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله ، وان لم يحلله فإنما هو درهم بدرهم ؟!** »(٦٤٣) .

طلب الحرام

يتكالب الناس على المادة اين وجدوها ، ويُسهلّون في سبيلها كل إثمٍ وباطِل . وقد قال لي احد هؤلاء : الحلال ما حلَّ بالكف !

وأية قيمة للمادة التي لا تحصل إلا بتضحية المُثُل الانسانية ؟ .

المادة التي تحصل بالربا والاحتكار والسرقة والغلول والخيانة والغش وتعاطي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهكذا هل تقيم حياة سعيدة أم تهدم من الحياة كل ركن ودعامة ؟ .

لذا يحذر الاسلام من طلب الحرام تحذيره من كل إثمٍ وفسق ، ويرصد لذلك أضخم الأرصدة ، ان هذا هو الميزان للمجتمع فإنْ تَنزَّه الناس عن الحرام سَعِدوا وارتَقوا في مدارج الانسانية ، وان كانت الأخرى فهم أحطّ من البهائم وأرذل من الشيطان .

والشخص اذا اعتاد على الحرام جرَّه ذلك الى كل مَحذور ومحظور فهو كمفتاح للشرور والآثام .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :**(ان لله مَلكَاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة : من أكل حراماً لم يُقبل منه صرف ولا عدل)**(٦٤٤) أي لا نافلة ولا فريضة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من لم يُبالِ من أين اكتسب المال لم يبالِ الله من أين أدخله النار)**(٦٤٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به)**(٦٤٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رَحِماً أو تَصَّدق به أو أنفقه في سبيل الله ، جمع الله ذلك جميعاً ثم أدخله في النار)(٦٤٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إنّ أخوف ما أخاف على أُمتي من بعدي هذه المكاسب الحرام ، والشهوة الخفية ، والربا)(٦٤٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اكتسب مالاً من الحرام فإن تصدَّق به لم يُقبل منه ، وإنْ تركه وراءه كان زاده الى النار)(٦٤٩) .

وقال الصادق عليه السلام : « اذا اكتسب الرجل مالاً من غير حلِة ثم حَجَّ فلبىٰ نُودَيَ لا لَبيك ولا سَعْديك وإنْ كان من حِلْة نوديَ لبيك وسعديك »(٦٥٠) .

وقال عليه السلام ـ في قوله تعالى : ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾(١٠٤) . : إنْ كانت اعمالهم أشد بياضاً من القباطي فيقول الله عز وجل لها : كوني هباءاً وذلك انهم كانوا اذا شُرِع لهم الحرام اخذوه »(٦٥١) .

وقال الامام الكاظم عليه السلام : « ان الحرام لا يَنْمىٰ وإنْ نمى لم يبارك فيه ، وأن أنفقه لم يُؤْجَر عليه وما خلفه كان زاده الى النار »(٦٥٢) .

الى غير ذلك من الأخبار فهل كفَّت هذه الأحاديث لكفّ الناس عن الحرام ؟ .

انك إنْ اعترضتَ الاسواق رأيت الرِبا والغُشّ والخِيانة والتطفيف والإحتكار وأكْل مال الناس بالباطل وغيرها . . وغيرها . . وهل عادت هذه الآثام الى الناس بخير؟ كلا ان الأمور لا تزال تُعَقد وسبيل الحياة لا تنفك تتوعر والناس يرتطمون في الفُقْر اكثر فأكثر فهل من مُدَّكر ؟ .

التورُّعُ عَن الحرَامِ

الحرام بمنزلة العَقْرب يَلدغ الانسان ويفسد دنياه وأُخْرَاه ، وإنْ كان مَذَاقه حُلواً ومنظره بهيجاً ، لكنه كالحيَّة لَيْن مسّها قاتل سُمها ، والمتعمقون يعرفون حقيقة ما ذكرنا . يَغْترّ برونقه الجاهلون ويعرف مآله العارفون.

وبما يحصل الحرام ؟ انه لا يحصل إلا بأعمال دنيئة ورذائل فردية أو إجتماعية وسِرْقة الناس ونهب الضعفاء . . . ونحوها .

ولذا يُحذِر الاسلام عن الحرام ، ويمدح التورع .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (خَيْر دينكم الورع)(٦٥٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من لَقي الله سبحانه وَرِعاً أعطاه الله ثواب الاسلام كله)(٦٥٤) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : (وإنَّ اشدّ العبادة الوَرَع)(٦٥٥) .

وقال عليه السلام : « ما شيعتنا إلا مَنْ أتّقى الله وأطاعه فأتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحْد قرابة ، أحب العِباد الى الله تعالى واكرمهم عليهم : أتقاهم وأعملهم بطاعته »(٦٥٦) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « أوصيك بتقوىٰ الله ، والوَرَع ، والاجتهاد وأعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه »(٦٥٧).

وقال عليه السلام : « إتقوا الله وصونوا دينكم بالورع »(٦٥٨).

قال عليه السلام : « ان الله ضَمِن لمن أتقاه ان يَحوّله عما يكره الى ما

يُحبّ ، ويُرزقه من حيث لا يَحتسب »(٦٥٩) .

وقال عليه السلام : « عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع »(٦٦٠) .

وقال عليه السلام : « إنّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى »(٦٦١) .

وقال عليه السلام : « ما نقل الله عبداً من ذُلّ المعاصي الى عِزّ التقوى إلا أغناه من غير مال ، وأعزه من غير عشيرة ، وأنسه من غير بشر »(٦٦٢) .

وقال عليه السلام : « ألا وإنّ من أتباع أمْرنا وارادته الورع فتزينوا به يرحمكم الله وكيدوا اعداءنا به يُنعشكم الله »(٦٦٣) .

وقال عليه السلام : « إنما اصحابي من اشتدّ ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه فهؤلاء أصحابي »(٦٦٤) .

وسئل عليه السلام عن الورع من الناس ؟ فقال : « الذي يتورع عن محارم الله عز وجل »(٦٦٥) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « اعيوننا بالورع فإن من لَقَي الله تعالى منكم بالورع كان له عند الله فرجاً ، ان الله عز وجل يقول : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم : من النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً﴾[١٠٥] فمنا النبي ومِنّا الصدّيق والشهداء والصالحون»(٦٦٦) .

وقال عليه السلام : « قال الله عزّ وجل : ﴿ يا ابن آدم إجتنب ما حرّمت عليك تكن من أورع الناس﴾ »(٦٦٧) .

والورع ذو اعضاء وفصول واحناء ووصول :

ورع في البيع ، ورع في الشراء ، ورع في الرهن والاجارة ، ورع في

المأكل والمشرب ، وورع في الكلام والخطابة وورع في اللِباس والمنزل وورع في الحركة والسكون . . وبالجملة حفظ الحواس من لامِسة وباصرة وسامِعة وذائِقة . . . عن كل انحراف وزَيْغ وإثم وعصِيان والورع قلبه في راحة ، ونفسه في هدوء وباله في إطمئنان . أما غيره فهو شارد اللبِّ مُختَبط العقل يدور ولا يجد راحة ويركض ولا ينتهي الى مراح .

الإكْتِســـاب

يريد الاسلام ان يكون الشخص ذا نشاط في العمل وجِدٍّ في إكتساب الرزق ليدير شؤون نفسه ويحمل كل عائلته وبعد ذلك ينفق الفضل مما أتاه الله لذوي الحاجة والمَسْكنة .

لكن الاسلام لا يريد المال من اين اكتسب من حِلٍّ أو حرام ، كما يذهب اليه الرأسمالي الغربي انه يريده من طريق الحلال بغير غُش وخيانة وإحتكار وغلول وربا وفساد .

ان الاسلام يقول : إكْتَسب وإجْتهد في الطلب ولك ثمرة عملك وانت تملك ما تجد ولك ان تتصرف فيما مَلكْتَ بشرط ان يكون من حِلَّة .

انه منطق صحيح معتدل بين افراط الرأسماليين الذين يحللون كل ما اكتسبه الانسان ولو كان الكاسب من تُجّار الحروب ولو حصل على درهمه باراقة دم جاره وبين تفريط الشيوعيين الذين يقولون : ان الانسان آلة في معمل كبير لا حقَّ له في أزيد من قوت ومَسكن ولباس ، حسب ما تفرضه الحكومة !

ولذا يؤكد الاسلام على الاكتساب الى جنب تأكيده الملكية الفردية الى جنب تأكيده طلب الحلال .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة)(٦٦٨).**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من بات كَالّاً من طلب الحلال بات مغفوراً له)(٦٦٩) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(العبادة سبعون جزءاً افضلها طلب الحلال)**(٦٧٠) .

ولنقف أمام هذا الحديث بخشوع لنعـرف مغزاه :

الصلاة : التي هي عامود الدين عبادة .

الصيام : الذي هو جنّة من النار عبادة .

الزكاة : التي بها تُحقَن الدماء عبادة .

الحجّ : الذي هو احد أركان الدين الخمس عبادة .

وهل تعلم الأفضل من كل ذلك ومن سائر العبادات ؟ .

ان الافضل ـ بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو طلب الحلال .

فكم ترى الاسلام يعتني بهذين الأمرين : الطلب وكونه من حلال ؟!

فإن كت لا تطلب ، فأطلب وان كنت تطلب كيفما كان فخصص طلبك بالقسم الحلال .

ان العبادة وملء بطن الانسان حرام لا ثقل . . والعبادة وايدي الانسان ملوثة بمال الفقير واليتيم وبالربا واحتكار اقوات الناس وبـ . . . وبـ . . . لا ترفع **﴿ انما يتقبل الله من المتقين﴾**(١٠٦) وانما يصعد اليه العمل الصالح **﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها. ولكن يناله التقوى منكم﴾**(١٠٧) وعلى ضوء هذا نفهم معنى هذا الحديث ايضاً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(العبادة عشرة أجزائه في طلب الحلال)**(٦٧١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من أكل من كَدِّ يده مَرّ على الصراط كالبرق الخاطف)**(٦٧٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أكل من كَدِّ يده نظر الله اليه بالرحمة ، ثم لا يعذبه أبداً)(٦٧٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اكل من كد يده حلال فتح الله له ابواب الجنة يَدْخل من أيّها شاء)(٦٧٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اكل من كد يده كان في القيامة في عداد الانبياء ويأخذ ثواب الانبياء)(٦٧٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس وسْعياً على أهله وتَعطفاً على جاره لَقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر)(٦٧٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من سعى على عياله من حلِّة فهو كالمجاهد في سبيل الله)(٦٧٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (منِ طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء)(٦٧٨) .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (من أكل الحلال أربعين يوماً نّور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) (٦٧٩) .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم اذا نظر الى الرجل واعجبه قال : هل له حرِفة ؟ فإن قيل : لا . قال : سقط من عيني . قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ .

قال : لأن المؤمن اذا لم تكن له حرِفة يعيش بدينه .

وطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم بعص الصحابة ان يجعله الله مستجاب الدعوة فقال له : (أطبِ طعِمتَك تسَتجب دعوتك) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « إقرؤ ا من لقيتم من اصحابكم السلام وقولوا لهم : ان فلان بن فلان يقرؤكم السلام ويقول لكم : عليكم

بتقوى الله عز وجل وما ينال به ما عند الله ، إني والله ما آمركم إلا بما نُؤْمَرُ به أنفسنا فعليكم بالجد والاجتهاد واذا صليتم الصبح وانصرفتم فبَكِروا في طلب الرزق ، واطلبوا الحلال فإن الله عز وجل سيرزقكم ويعينكم عليه »(٦٨٠) .

وربما يتساءل بعضٌ ما ميزان الحلال والحرام في شريعة الاسلام ؟ .

والجواب ان الله تعالى جمع ذلك كله في كلمتين ضمن اوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ﴿ **يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾(١٠٨) .

فكل طيب لا يضر ديناً ولا دنيا فهو حلال وكل خبيث يهدم الدنيا أو يفسد الآخرة فهو حرام . أما التفاصيل فمذكورة في كتب الفقه .

الأمـــانَـــةُ

الأمين محبوب لدى الجميع ، ضميره لا يَخزِه وصديقه لا يكلّه ومجتمعه لا يَلْفظِه .

بالإضافة الى ما للأمانة من الأجْر والثواب والمنزلة العُظمٰى عند الله تعالى .

والأمانة والخيانة ملكتان قبل ان تبرزا الى الوجود : فللأمين صفة نفسية باعثة على ارجاع الأمانة الى اهلها قلَّت أم كَثُرت بينما الخائن متصف بضد هذه الصفة فهو لا يخون لأنه محتاج ـ وإن كان كثيراً بسبب الاحتياج الى الخيانة ـ وإنما يخون لأنه مريض وأيّ مرض أعظم من هذا المرض الفردي الاجتماعي الذي لا يبرأ بأي عقار !! أنه مرض نفسي يحتاج الى اطباء النفوس دون اطباء الاجسام .

والاسلام يذم الخيانة بأقسى ذم كما يمدح الأمانة بما ليس فوقه مدح .

قال الامام الصادق عليه السلام : (« **إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة الى البر والفاجر**»)(٦٨١) .

وقال عليه السلام : (**لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث ، وأداء الأمانة**) .

وقال عليه السلام : (**انظر الى ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالزمه ! فإنَّ علياً إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدق الحديث وأداء الأمانة**)(٦٨٣) .

وما معنى هذا الحديث ؟ .

ان معناه يكاد يعجز عن فهمه أولو الالباب . ! فهل إنّ علياً عليه السلام كان مبُلغه عن النُزّاه عند النبي بصدق الحديث وأداء الأمانة ؟ ان حروبه ومغازيه ان علمه وفضله ان نبله وتُقاه ، ان صلاته وخشوعه . وغيرها وغيرها ، لم تكن بمنزلة هاتين الصفتين !!

نعم . ان المعاني الانسانية تحتاج الى قوة في النفس والمعاني الجسدية تحتاج الى مزايا في الجسد والنفس أشرف ، فصفاتها أعلىٰ . إنك ربما ترى الشجاع ثم تراه يركع أمام مُومِسة فيسقط من عينيك ، وربما تنظر الى صائم الدهر يعجبك خلقه فاذا علمت أنه مُفْسد لم تَقِمْ له وزناً . وهكذا أما اذا نظرت الى ضعيف البدن لا يأتي من الصلاة والصيام إلا بقدر ، ثم علمت أنه لا يُحرِف كَلِماً عن موضعها ، ولا يزيد في حديث ولا ينقص مِن كلام أعجبك خلقه وبهرتك صفته . وكذا بالنسبة الى الأمين : الأمين في عينه وأذنه ، الأمين في جسده ويده الامين في الأمانة والعارِية .

فهل بعد ذلك يبقى للتعجب مجال اذا قيل : ان الامام المرتضى تبوأ أفضل مقام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهاتين الصفتين اللتين تزول الجبال الراسيان من ثقلهما !!!

وأيّ أنسان يَملِك نفسه في كل نظرة ولفظة ودرهم ودينار ؟

وأيّ إنسان لا يكذب ولو في مِزاح أو كلمة عابرة ؟ .

ولو سَبَر الانسان أغوار الناس حتى الاتقياء منهم لوجد الصادق الأمين بما في الكلمتين من معنى أنْدر من كل نادر .

ثم بعد ذلك : يحتاج الانسان الى تطهير وتطهير ومراقبة حتى يتمكن من نيل بعض هاتين الفضيلتين : صِدْق الحديث وأداء الأمانة وأعظِم بهما من فضيلة !!

وقال الامام عليه السلام : **(ثلاث لا عذر فيها لأحد أداء الأمانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد الى البر والفاجر وبر الوالدين برين كانا أو**

فاجرين) (٨٦٤) .

وقال عليه السلام : (أربع مَنْ كنّ فيه كَملُ ايمانه وان كان من قَرْنه الى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك :

١ ـ الصدق .

٢ ـ وأداء الأمانة .

٣ ـ والحياء .

٤ ـ وحُسْن الخلق).(٦٨٥) .

وقال عليه السلام : (أهل الأرض لمرحومون ما تحابّوا ، وأدّوا الأمانة وعَمِلوا بالحق »(٦٨٦) .

وقيل له عليه السلام : إنّ أمرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلُحْنْ ، ومع ذلك ما رأينا مثل ما صب عليها من الرزق ؟ فقال : (إنّها صَدَقت الحديث وأدّت الأمانة وذلك يجلب الرزق) (٦٨٧) .

وقد كان من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي يضرب بها المثل : الصِدْق والأمانة فكان يُسمىٰ الصادق والأمين : ﴿ لقد كان لكم برسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾(١٠٩) فمن شاء ان يُعز ويُعظَم في أعين الناس فليتمسك بهاتين الخصلتين لا يقول إلا صِدقاً ولا يلازم إلا الأمانة فإن النجاة في الصدق والسعادة في أداء الأمانة .

اللسَـــانِ

« لِسانك لا تُبدي به سوأَة امرئٍ
فكُلُك سوآات وللناس ألْسُنُ»

وفي الحقيقة إنّ اللسان عضو عجيب يُفْسِد ويُصْلِح فإذا أفسْد لم يقم شيء بإصلاح ما فسد ، وإذا أصلح لم يقدر شيء على إفساد ما صَلّح .

وعلى الإنسان أن يَخْزن لسانه كما يخزن جوهره بل اكثر . . . فإن الجوهر لا يُناط به عِز الانسان وسعادته بينما اللسان يعز ويذل ويسعد ويشقي .

ومن اللسان يأتي كثير من الخيرات ، كما يأتي منه كثير من الشرور : فالهداية والارشاد والإصلاح والتعلُّم ، والذِكر والتسبيح والأمر بـالخير والنهي عن الشر . . . وغيرها كلها من ثمرات اللسان ، كما ان الإضلال والكُفْر ، والإفساد والسبّ والغيبة والنميمة والكذب والقذف وغيرها من آفات اللسان .

وكثير من آفات اللسان مُتفرقٍ في غضون هذا الكتاب . والمقصود هنا ذكر رذيلتين من رذائله : التكلُّم بالفضول والخوض في الباطل فهما من اضرار اللسان ويفسدان على المرء دنياه وأخراه

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(أعظُم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خَوْضاً في الباطل)**(٦٨٨) .

وبهذا يجيب أهل النار حين يسألون : **﴿ ما سلككم في سَقَر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين﴾**(١١٠) انه في عداد ترك الصلاة والزكاة والتكذيب بالمعاد !

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله بها رضوانه الى القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة**)(٦٨٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**) .(٦٩٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**طوبىٰ لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله**)(٦٩١) اشار الى ذلك بعض الحكماء حيث يقول :

طوبى لمن كفَّ فَكّه وفَكّ كفّه وويل لمن كف كفه وفك فكه .

ورويَ : إنه استشهد يوم أُحد غلام من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أُمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئاً لك الجنة يا بني ! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**وما يدريك ؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويمنع ما لا يضره !**)(٦٩٢) .

ويُروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لبعض اصحابه ـ وهو مريض ـ (**أَبْشِرِ فقالت أُمه هنيئاً لك الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك ؟ لعله قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يعنيه**)(٦٩٣) . فإن الجنة لا يتهنأ بها إلا من يحاسب بما كلمه مما لا يعنيه .

وروي انه تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاكثر فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كما دون لسانك من حجاب ؟ فقال شفتايَ واسناني فقال صلى الله عليه وآله وسلم افما كان في ذلك ما يردُّ كلامك) .

ورُوَيَ أنَّ رجلاً اثنىٰ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستهتر في الكلام فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال شفتاي واسناني فقال افما كان في ذلك ما يَردّ كلامك ؟! ثم قال ما أُوتي رَجل شراً من فضل في لسانه**)(٦٩٤) .

ورويَ انه قدم رهط من بني عامر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشرعوا بالمدح والثناء عليه ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم قولوا قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان) .

وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم : **(إنّ أوّل من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فلما دخل هذا الرجل قالوا له اخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به ؟ فقال إني رجل ضعيف العمل وأوثق ما أرجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني) (٦٩٥) .**

وقد جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر مفاتيح أبواب الخير في كلمات قصار

قال صلى الله عليه وآله وسلم له : **(ألا أُعلِمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان ؟** قال بلى يا رسول الله قال : **(هو الصمت ، وحُسْن الخُلُق وتَرْك ما لا يعنيك) .(٦٩٦) .**

والشخص بادىء الأمر يحب الكلام وكثرته والخوض فيما لا يعنيه فاذا تجشم مرات عديدة السكوت واشغل نفسه عِوضَ الكلام بالذِكر والتسبيح وما اليهما أُطفِئَتْ الشهوة تدريجاً وأنقلبتَ الى حب السكوت فاذا هو ملكة يلتَذّ منه الشخص اكثر من إلتذاذ المِهذار بالكلام فيجمع بذلك بين خير الدنيا وسعادة العقبىَ .

الحَســـد

وما معنى الحسد ؟ .

إنه معنى بَشِع مرّ المذاق في الحاسد والمحسود . . إنه : أنّ تتمنى زوال نعمة أخيك ، بغير مُبررٍ أو سبب ، إلا أنك تريد ان تراه عديم النعمة ، والرجل العاقل لا بد وان يخلو من هذه الرذيلة الهوجاء . . ولماذا تريد زوال نعمته ؟ هل لأنه بنعمته ضيّق لك المسالك ؟ فما ذنبه ثم : ان غاية الأمر ان تتمنى ان تكون مثله ـ وهذا هو الغبطة الممدوحة ـ إنّ من يكون في الدرجة الأولى في سلم الرُقي ، لا بد وان يسعى للرقي الى الدرجة الثانية ، لا ان يسعى أن يتمنى إنزال الصاعد اليها نحو الدرجة الأولى .

وعلى أيٍ فالحاسد مُعَذَب النفس ، كلَيم القلب ، مُهان في المجتمع مبَغوض عند الله تعالى ، مكروه لدى الناس ، وأبشِع بها من صفة .

والاسلام يريد ان يكون المرء طاهر القلب ، مُحباً للخير نظيف الفؤاد والمشاعر ، فلا يرضى بالحسد ، ويذم المتصف به ، ويطلب منه انْ يُطهِّر قلبه من هذا الأثم ، بكل وسيلة ممكنة ؛ وإلا أهلكه من حيث يشعر أو لا يشعر .

قال الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؟! ﴾(١١١) .

وقال تعالى : ﴿ ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم ﴾(١١٢) .

وقال تعالى : ﴿ ان تمسسكم حسنة تسؤهم ، وان تصبكم سيئة يفرحوا بها !! ﴾(١١٣) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : **(الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب)(٦٩٧)** .

وكيف ذلك ؟ .

ان الحسود لا بد وان يُظْهِر حسده بيدٍ ولسان ، وحركة وسكون . . فهو يسبّ المحسود ، ويَذكر معايبه ويُبْهته ، ولو سنحت له الفرصة ضربه وآذاه ، ولا يحترمه ولا يتفقد حاله ، وكثيراً ما يهجره هجراً قبيحاً . . وهكذا ، فهل تبقى بعد هذه المآثم من حسنة ؟ بالأضافة الى ان طبيعة الحسد كالأعشاب الطفيلية اذا نبتت في روض أفسدت الخُضَر والبقول ، والحسد لا يزال ينمو حتى يفسد - في القلب - كل معاني النبل والفضل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(قال الله عز وجل لموسى : يا ابن عمران لا تحسدّن الناس على ما آتيتهم من فضلي ، ولا تمدنّ عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك ، فإن الحاسد ساخط لنِعمَي صادٍ لقسمي الذي قسمت بين عبادي ، ومن يكُ كذلك فلست منه وليس مني)(٦٩٨)**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ولا تُحاسدوا ولا تُقاطعوا ولا تُدابِروا ، ولا تُباغِضوا ، وكونوا عباد الله إخواناً)(٦٩٩)** .

وما نتيجة هذه الأمور ؟ انها تنتج شيئاً واحداً هو فساد الاجتماع بما في ذلك الأفراد . ويتعقبه سوء العقبى .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(دب اليكم داء الأمم من قبلكم : البغضاء والحسد هي الحالقِة . حالقة الدين ولا : حَالِقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تَحابوا ، ألا أُنبئكم بأمر اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أُفشَوا السلام بينكم)(٧٠٠)**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(كَاد الفُقْر أنْ يكون كفراً . ! وكاد الحسد ان يغلب القدر !)(٧٠١)** .

أليس كذلك ؟ .

ان الفُقْر إذا ضَغَطَ على الانسان لا بد وان يَشُك في عدالة الله ـ والعياذ بالله ـ إذا كان ضعيف الايمان ، كما هو المشاهد في كثير ممن لم يرسخ الايمان في قلبه . وهل بعد ذلك من كفر .

والحسد لا بد وأن يُثمر ثمرته البشعة من إيذاء اللسان وما أشبه وكثيراً ما يقف لسان المتكلم دون ما يريده الانسان من مجرىٰ أو عمل مما قدر الله تعالى له ، لولا ما يقف أمامه من السدود والحواجز .

نعم . . كاد الفقر وكاد الحسد .

أنهما ليسا بعلة تامة للكفر ، والوقوف دون الأقدار وإنما كاد ان يكونا كذلك .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**سيصيب أُمتي داء الأمم**) قالوا : وما داءء الأمم قال : (**الأشرَ ، والبَطَر ، والتَكابر ، والتنافُس في الدنيا ، والتَباعد ، والتَحاسد ، حتى يكون البغي ، ثم الهَرَج**)(٧٠٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**أخوف ما أخاف على أُمتي ان يكثر فيهم المال ، فيتحاسدون ويقتتلون**)(٧٠٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنَّ لنِعم الله اعداءاً ، فقيل : ومن هم ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**)(٧٠٤) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **ان الرجل ليأتي بادنى بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب** »(٧٠٥) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **آفة الدين الحسد والعُجْب والفخر** »(٧٠٦) .

وقال عليه السلام : « **ان المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط** »(٧٠٧) .

والغبطة ان يتمنى اللحاق بمن نال الدرجات العُلىٰ ، وهذه صفة حسنة

تحدو الانسان الى نيل المراتب العالية ، فهي من صفات المؤمنين وأما الحسد الذي هو تمني زوال نعمة الآخرين فهو من صفات المنافقين وتوجب إنحطاط المجتمع .

وقال عليه السلام : «الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود ، كأبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ، ولإدم الاجتباء والهدىٰ ، والرفع الى محل حقائق العهد والاصفاء ، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً فإن ميزان الحاسد ابداً خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد ؟ ماذا يضر المحسود الحسد ؟ والحسد أصله من عِمىٰ القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مَهَلكاً لا ينجو منه ابداً ، ولا توبة للحاسد لأنه مصِر عليه معتقدٌ به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الأصل وان عُولج »(٧٠٨) .

والحاسد كما في الحديث : يَضِر نفسه قبل المحسود فإن الانسان اذا حسد هاج دمه وثارت نفسه وتوترت أعصابه وقلق وارتعد ولا يزال يفكر في معايب المحسود وكيفية التنقيص منه وهذا كافٍ في سلب راحته ثم ماذا عساه يفعل ؟ فإن الحاسد تنم عن نفسه الدنيئة لهجته فلا يقبل منه الناس لهجته وتعييبه للمحسود ، بل تنقلب له الأقدار ظهر المِجَنَ ، فإذا به مذموم ممقوت .

وكفى بهذا كله عقوبة للحاسد في دنياه .

مع قطع النظر عما أعدّ الله له من الخزي يوم القيامة .

وقوله عليه السلام : والطبع لا يتغير . . . غالبي ، لا دائمي . فإن الطبع عسر العلاج إلا بالمجاهدة .

نصيَحة المسلم

من الناس من تسمو نفسه عن النقائص ، فلا يزال يحب الخير والعلو ، لنفسه ولسائر الناس بل للوجود قاطبة . ولأجل ذلك يتحَرك ويَسْكن ، ويَغضب ويَرضىٰ ويَعمَل ويُكمِل ومثل هذا الشخص من أفضل الناس فإنه لا ينفك يُصلِح ويصلح حتى يأتي بالآخرة بقسط مهم من عمارة الأرض وتوجيه النفوس وستر الخلَل .

فيحرز ـ بذلك ـ شرف الدنيا وسعادة الآخرة ، يحبه الناس ويمدحه القريب والبعيد ، وكل من تجده من العظماء والمُصلحين في غضون التاريخ ، كانت ميزته الأولى هذه الخصلة الرفيعة والطبيعة السامية .

والاسلام ـ الذي يحب كل خير ، ويأمرُ بكل فضيلة ، يؤكد على المسلم ان يكون هكذا ويتحلىٰ بهذه الحلّية الانسانية النبيلة .

ويسمي هذه الصفة السامية بـ (النصيحة) .

روى الامام الصادق عليه السلام : **« قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه ، بالنصيحة لخلْقه »**(٧٠٩) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : **« قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينصح الرجل منكم اخاه كنصيحة لنفسه »**(٧١٠) .

وقال عليه السلام : **« يجب للمؤمن على المؤمن أن يناصحه »**(٧١١) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : **« يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المَشهْد والمغَيب »**(٧١٢) .

وقال عليه السلام : « **عليك بالنصح لله في خَلْقه ، فلن تلقاه بعمل افضل منه** »(٧١٣) .

ولِمَ لا ينصح الانسان اخاه .

ألأنه يبخل بلسانه أم بفكره ؟ وما نفع هذا البخل ؟ .

إنّه لو نصح وأراه الصواب شكره وقدّره ونصحه هو بدوره فيما احتاج الناصح اليه ، ولا يزال ينصح حتى يُعرَف بالخير واستقامة الرأي ، فيحبه الناس ، ويعيشون في كشف أفكاره وتدبيره . . وهل فوق ذلك من سيادة ؟ .

إنَّ الانسان ربما لا يَنصحَ ، الحسد أو بخل أو حقد وهل ينفعه ترك نصحه ؟ انه يجمع الى صفاته الذميمة صفة ذميمة اخرى . . ثم يهجره المجتمع ولا يقيمون لرأيه وزناً ، فهل هذا خير أم ذاك ؟ .

وقد نهى الاسلام أشدَّ النهي عن الخيانة في مقام النُصْح فإنه بالأضافة الى كونه من الصفات الذميمة ، تُوجِب إلقاء الناس في المكاره ، وإضلالهم عن الطريق ، وأقبح بها من صفة بشعة ، ورذيلة تافهة .

قال الامام الصادق عليه السلام : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سعى في حاجة لأخيه المسلم ، فلم يناصحه فقد خان الله ورسوله** »(٧١٤) .

وقال عليه السلام : «**من مشى في حاجة اخيه ، ثم لم يناصحه فيها كان كَمَنْ خان الله ورسوله وكان الله خصمه** »(٧١٥) .

وقد دحض الاسلام الغِيْبة - التي هي أكل لحم الأموات - في مورد النصح فقد أوجب نصح المستشير فإن الكشف عن دخيلة إمْره أهون في نظر الاسلام من إلقاء بريء في مأزق .

والنصيحة في الغالب وليدة حُبِّ الخير للناس ، الذي هو بدوره لا يسكن إلا في القلوب الخالية من الحسد والغِل . والذي يمدح الاسلام طهارة

القلب من رذيلة الحسد كما يمدح حب الخير، وحب أهل الخير وحب الصلحاء.

قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم؟ فقال: (المرء مع من أحب)(٧١٦).

وقال رجل بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما ذُكِرت الساعة. «ما أعددت لها من كثيرِ صلاةٍ ولا صيامٍ إلاّ أني احب الله ورسوله فقال: (انت مع من أحببت)(٧١٧).

وُيروى انه قيل له صلى الله عليه وآله وسلم: **(الرجل يحب المُصلّين ولا يصلي ويحب الصّوام ولا يَصوم حتى عدّ أشياء؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم هو مع من أحب)(٧١٨).**

والمنطق يؤيد هذه الأحاديث إن من احب شخصاً لا يزال يدنوه حبه الى اعماله حتى يأتي بمثل عمله، إنْ خيراً وإنْ شراً. ومن هنا أوجب الاسلام مولاة الأولياء ومعاداة اعداء الله، فإن من والىٰ شخصاً تشبّه به في اعماله وأقواله من عادىٰ احداً تبرأ من عمله.

وهذا وذاك يوجبان رِفْعة المجتمع، وإصلاح الفاسد، وتَقوية أواصر الأفراد بعضهم الى بعض.

أما بالنسبة الى تطهير القلب من أدران الحسد ونحوه مما يمنع عن نمو الملكات الفاضلة:

فقد رُويَ: **(ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهد لرجل من الانصار: إنّه من أهل الجنة)(٧١٩) فلما فحصوا عن سببهِ؟ وجدوا ان العِلة تعود الى انه لا يَغش احداً، ولا يَحسد على خير أعطى احد من المسلمين!**

ويروى: (ان موسى الكليم عليه السلام لما تعجّل الى ربه، رأى في ظل العرش رجلاً، فغبطه بمكانه وقال: إنّ هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يُخْبره باسمه؟ فلم يخبره باسمه، وقال: احدثك من عمله،

كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يَعِق والديه ،
ولا يَمْشي بالنميمة)(٧٢٠).

الإحتقـــار

شجرة خبيثة تُثْمر أبشع الثِمار كأنها رؤوس الشياطين انها تَنْبت في القلب فلا تزال تنمو حتى تُؤتي أُكلها المرّ ، وتظهر ثمارها الفجة ، من العين واللسان والحركة والجرَي . . إنّ الشخص إذا احتقر احداً سبّه بلسان حاد وهَمزه ولَمزه وآذاه وأهانه .

وهذه الأمور من نتائج تلك !

وكلها محرمة في الشريعة المطهّرة متوعد عليها العقاب الأليم وتفسد الاجتماع وُتُورد الناس موارد الهلكة .

والُمحتقَرَ لا بد وأنْ يَحتقِرِ . فإنه كيف يُعظِّم مَنْ نظر الى الناس بالإزدراء ؟ .

كما تَدين تُدان ، وكما تَعمل يُعمل بك .

قال الله تعالى : ﴿ **الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً** ﴾(١١٤) .

وقال تعالى : ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾(١١٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**مَن آذى مؤمناً فقد آذاني ، ومَن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان**)(٧٢١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**المسلم من سَلِم المسلمون من يده ولسانه**)(٧٢٢) .

وهل يَسلم أحد من يد السارق أو الباطش بغير حق ، أو الكاتب المُبطِل ، أو ما أشبه أو يسلم من يستغيب أو يَبْهت أو يُؤذي أو يُسلِق أو نحو ذلك ؟ وهل مَن يعمل هذه الأعمال بمُسْلم ؟ وكم كان رِبْح المجتمع الإسلامي لو عَمِل كل مسلم بهذا الحديث فقط ؟

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يَحل للمسلم أنْ يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه)(٧٢٣)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا أُنبئكم بالمؤمن ؟ . . من أئتمنه المؤ منون على أنفسهم واموالهم . .

الا انبئكم بالمسلم ؟ من سَلِم المسلمون من لسانه ويده .

والمؤمن حرام على المؤمن أنْ يَظلمه ، أو يَخذله ، أو يغتابه ، أو يَدفعه دفعة) (٧٢٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أفضل المسلمين من سَلِم المسلمون من لسانه ويده)(٧٢٥) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الله عز وجل : قد نابذني من أذلّ عبدي المؤمن) (٧٢٦) .

وقال عليه السلام : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله تبارك وتعالى : من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي »(٧٢٧) .

وقال عليه السلام : « قال الله عز وجل : لَيأْذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن »(٧٢٨) .

وقال عليه السلام : « اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين المؤذون لأوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم . فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ، ونصبوا لهم ، وعاندوهم وعَنّفوهم في دِينهم ، ثم يُؤمر بهم الى جهنم»(٧٢٩) .

وقال عليه السلام : **« ان الله تبارك وتعالى يقول : من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي ، وأنا أسرع شيء الى نُصْرة أوليائي »(٧٣٠)** .

وربما يظن الظان إنّ الله لم يَنْصر أولياءه ، وإلا فكيف ضُرِب وسُبَّ عليّ عليه السلام ، أو قُتِل الحسين عليه السلام ، أو أُهين الأنبياء ؟ وهَذا ظن قاصر النظر ، إنَّ النُصرة ليس معناها إنقاذ الحَيَاة المادية فحسب من الأخطار ، وأية قيمة للحياة المادية فقط ؟ وهل نصر علي أمير المؤمنين الذي يُذكر في جميع العالم بكل تجلّة وإعظام ، أم نَصر غريمة المأفون معاوية ، والشقي ابن ملجم اللذين يُسبّان مدى الأجيال ، وهل نَصَر الإمام الحسين أم نَصَر يزيد .

إنَّ النصرة ليس معناه ان يوفر الله الرفاه على المرء ، بل معناها أن يُغلِّب الانسان على أعدائه إنّ عاجلاً أو آجلاً : **﴿ وإننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾**(١١٦) .

وقال الامام عليه السلام : **« من حقَّر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عزّ وجل حاقراً له حتى يرجع عن مَحْقرته إياه »(٧٣١)** .

وهذا الحديث يشير الى أمر يعاكسه الناس غالباً ، إنهم كثيراً ما يُحقِّرون ذوي السلطة والثروة بلا مبرر ، غير انه من الطبقة العليا ، والأغرب انهم يتقربون الى الله بذلك ! لكنَّ الاسلام ينهي عن ذلك أشدّ نَهْي ، إنَّ التحقير في نظر الاسلام ليس لهذه الأمور ، كما ان التعظيم ليس للجاه أو المال . فكلا الأمرين خارجان عن الموازين المنطقية ، وإنما التحقيروالتعظيم يجب ان يكونا لموازين عادلة ، وبقسطاس مستقيم .

ثم ان التحقير له مصاديق عديدة .

فمن التحقير أن لا تقوم لمن يستحق القيام ـ في المجلس ـ

ومن التحقير أن لا تسلم على الكبير أو لا ترد السلام برد جميل .

ومن التحقير أنْ تشير الى شخص ـ مهما كان عمله حقيراً ، أو مرتبته منحطة ـ بالازدراء .

ومن التحقير أنْ تُصعِّر خدك للناس وتَمشي في الأرض مَرحاً ، وترى نفسك فوق الناس الى غير ذلك .

والاسلام ليس سلبياً فحسب ينهي عن الإيذاء والإهانة ، بل في الطرف الايجابي ، يأمر بردِّ الأذى ودَفْع العادية .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من ردّ عن قوم من المسلمين عاديةً ما أو أذىً وَجَبت له الجنة)(٧٣٢)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(رأيت رجلاً يَتقلب في الجنة ! في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين)(٧٣٣)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد أمره بالفضائل ـ : « **(. . فإن لم تقدر ، فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدّقت بها على نفسك)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من زَحزحَ من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به حسنة أوجب له بها الجنة)(٧٣٤)**.

* * *

أما إكرام المسلم وتعظيمه ، وتوقيره وتجلته ، فمما يأمر بها الاسلام ، حسب طبيعته الأولية ، فإنّ الإكرام يُورث المحبة ، ويوجب الإلفة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها ، وفرَّج عنه كربته ، لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ، ما كان في ذلك (٧٣٥)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما في أُمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لُطف إلا أخدمه الله من خدم الجنة)(٧٣٦)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أيما مسلم خدّم قوماً من المسلمين إلاّ أعطاه الله مثل عددهم خِداماً في الجنة)(٧٣٧)** .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **قال الله سبحانه : ليأمن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن** »(٧٣٨) .

وقال عليه السلام : « **من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة ، كتب الله عز وجل له عشر حسنات ، ومن تبسّم في وجه أخيه كانت له حسنة** »(٧٣٩) .

وقال عليه السلام : « **من قال لأخيه مرحباً ! كتب الله له مرحباً الى يوم القيامة** »(٧٤٠) .

وقال عليه السلام : « **من أتاه اخوه المؤمن فأكرمه ، فإنما أكرم الله عز وجل** »(٧٤١) .

وقال عليه السلام ـ لإسحاق بن عمار ـ : « **أَحْسِن يا إسحاق الى أوليائي ما استطعت ، فما أحسَن مؤمن الى مؤمن ولا أعانه ، إلا خمش وجه ابليس وقرّح قلبه** »(٧٤٢) .

ومَنْ أكرم الناس أُكْرِم ، ؛ فلا يتلقى الانسان إلا جزاء ما عَمِل ، يقول الشاعر :

و من هاب الرجال تهيبوه ومن وهّن الرجال فلن يُهابا

فيرجع إكرام الأخ ـ في المسائل ـ الى إكرام النفس . . وأي عاقل لا يحب إكرام نفسه ؟. إنك إنْ وقرّت حيواناً شاعراً وقرّك ، فكيف بأنسان عاقل ؟ . .

* * *

وبعد هذه الخطوط العامة ، يُؤكد الاسلام على إكرام كل ذي مزية تأكيداً اكبر .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من عرف فضل كبيرٍ لسِنّه فوقره ، آمنه الله من فزع يوم القيامة)(٧٤٣) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « ان من إجلال الله عز وجل : « إجلال ذي الشيبة المسلم »(٧٤٤) .

وقال عليه السلام « ليس منّا من لم يوقِر كبيرنا ، ويرحَم صغيرنا »(٧٤٥) .

* * *

وقد خصص الاسلام الذرية الطاهرة بتأكيد أكبر . . . ولماذا ؟ . هل لأن الاسلام يحابي الإكرام ، ويضع القانون عبثاً ؟ كلا ! ان الاسلام الذي يقول : ﴿ إنّ اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾(١١٧) ، فلِمَ إذاً . . يا ترى ؟ .

إنّ توقير هؤلاء توقير للصادع بالوحي ؟! وهل لا يستحق كبير - كالنبي صلى الله عليه وآله وسلم - لهذا المِقدار من الإحترام ؟ ان الانسان يحترم عبداً لتقُىً أو عالم ، لأنه مربوط به ، وإحترام العبد احترام السيد ، فكيف لا يحترم من هو من صلب النبي الذي أضاء العالم بتعاليمه . ؟

نعم الاسلام يَبرأ من الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر .

وفيمن نزلت ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب . . . . ﴾(١١٨) .

وهناك عِلّة اخرى لتوقير المنسوبين الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وهي :

ان التوقير لشخص أو ذويه ، يرجع بالمآل الى توقير المبدأ الذي أتى به ذلك الشخص . فهل المسلم يوقر عبداً لكافر ؟ كلا ! اذ يحتوي هذا التوقير على توقير مبدأ الكفر ، اذاً : فتوقير الذرية الطاهرة توقير لمبدأ الإسلام . . وما أعظَم هذا من فائدة ؟ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله)(٧٤٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أربعة أنالَهُم شفيع يوم القيامة : المكُرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم . . والساعي لهم في امورهم ، عندما اضطروا اليه . . والمحُب لهم بقلبه ولسانه)(٧٤٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إكرموا أولادي ، الصالحون لله والطالحون لي)(٧٤٨) .

* * *

أما خدمة الناس ، وإيصال النفع اليهم . . فمما يحبذه الاسلام ويجعل له قسطاً كبيراً من الثواب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (الخَلْق عيال الله ؟ فأَحبّ الخلقْ إلى الله . مَنْ نفع عيال الله ، وأدْخل على أهل بيته سروراً)(٧٤٩) .

وسُئِل صلى الله عليه وآله وسلم : (من أحب الناس الى الله . . . ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : أنفع الناس للناس)(٧٥٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (خصلتان من الخير ، ليس فوقهما شيء من البر : الإيمان بالله .. وأنفع لعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : الشرك بالله . . والضُرّ لعباد الله)(٧٥١) .

هذا شطر من الاخلاق الاسلامية ؟ .

فهل تجد فيها رجعية أو جموداً ؟ أو هل تجد فيها تزمتاً أو ميوعةً ؟

كلا ! وألف كلا !!

إنه الإسلام . . . والإسلام وحده . . والإسلام العظيم . الذي امتلأت جوانبه رحمة وشفقة ، وعطفاً وحناناً ، وحُباً وإحساناً وإلفة وإجتماعاً ، وخيراً

وصلاحاً وحقائق أبدية ، وفضائل فردية واجتماعية .

لم يَمُت . ولن يموت الى أبد الدهر .

ولا تجد . ولن تجد . مثله أبداً سواءاً في الأديان السالفة أم في المبادىء المُعاصرة أم في الطرق المختلفة .

وهذا هو الطريق لسعادة الانسان وخلاصه من كل عَناء وشقاء .

﴿وَمَنْ يبتَغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبل منه﴾[١١٩] في دنياه أما آخرته فهو من الخاسرين ! . .

العَـــدْل

لفظه :

ع . د . ل .

أما معناه :

فأحلىٰ من كل حلو ، وأعذب من كل عَذْب ، يجري على اللسان ، كما يجري الماء الرقراق في النهر ويطعمه الانسان كما يطعم الفاكهة الهنيئة . ولا شيء مثله في صعوبة التطبيق وشدة مشقة الملازمة في جميع جوانب الحياة ، وهل يتمكن الانسان من الإستقامة في شؤونه عامة ، ومن إقامة كل احد على حقه ، ومن كَفّ الأذى والظلم ـ ولو كان الظلم مثل جلب جلد شعيرة من فم نملة ـ عن كل ذي حياة ؟!

انه صعب جداً . وصعب !

والإسلام يريده . ويريـده بالتـأكيد فـلا يرضىٰ بـالظلم مهـما صَغُر ويخصص فصلين بارزين من فصول ارشاداته لهذين الأمرين فيزجي نصائح متتالية بصدد وجوب العدل ، كما يسرد عقوبات وتوجيهات لغرض حرمة الظلم .

يقول الله تعالى : **﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم﴾**[١٢٠] .

ويقول : **﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾**[١٢١] .

ويقول : **﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾**[١٢٢] .

وقال نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم : (**إتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة**)(٧٥٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنّ أهون الخلق على الله من ولي امر المسلمين فلم يعدل فيهم**)(٧٥٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**جَوْر ساعة في حكم أشدّ وأعظم عند الله من معاصي تسعين سنة**)(٧٥٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنما خاف القَصاص من كفّ عن ظلم الناس**)(٧٥٥) .

وقال الامام زين العابدين ـ لولده الباقر عليه السلام حين حضرته الوفاة : « **يا بني إيّاك وظلم مَنْ لا يجد عليك ناصراً إلا الله** »(٧٥٦) .

انه أشدّ الظلم وأقساه فمن يجد الناصر كان رَفْع الظلم عليه أقل ، إذ يحلم بالانتقام بمن يستظهره من ناصريه أما من لا يجد فمذاق الظلم في فيه أحرّ من الحنظل ، واتكائه كلّاً على الله تعالى وهيهات ان يخيب الله رجاء من انكسر قلبه وتوجه بكلّه اليه !

وقال الامام باقر العلوم عليه السلام : (**ما من أحد يظلم بمظلمة إلا أخذه الله تعالى بها في نفسه أو ماله**)(٧٥٧) .

وقال له عليه السلام رجل : ان كنت من الولاة فهل لي من توبة ؟ فقال : « **لا . . . حتى تؤدي الى كل ذي حق حقه** »(٧٥٨) .

وقال عليه السلام : « **الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله تعالى ، وظلم لا يغفره الله تعالى وظلم لا يدعه الله . . .**

فأما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل : فالشِرْك .

وأما الظلم الذي يغفره الله عز وجل : فظُلْم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله .

وأما الظلم الذي لا يدعه فالمُداينة بين العباد »(٧٥٩) .

فالقسمان الأولان من الظلم يكون مدار الأمْر فيهما على العِقاب وعدمه ، أما ظلم الناس فإنه بالاضافة الى العِقاب لا بد وان يقاضيه الله في الدنيا .

وقال الامام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **إنَّ ربك لبالمرصاد**﴾[١٢٣] . « **قنطرة على الصرط لايجوزها عبد بمظَلْمة** » (٧٦٠) .

وقال عليه السلام : « **ما من مَظَلْمة أشدّ من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله تعالى** »(٧٦١) .

وقال عليه السلام : « **مَنْ أكل من مال أخيه ظلماً ولم يرده اليه أكل جذوة من النار يوم القيامة** »(٧٦٢) .

وقال عليه السلام : « **إنّ الله عز وجل أوحى الى نبي من انبيائه - في مملكة جبارٍ من الجبارين - أنْ إئتِ هذا الجبار فقل له : اني لم استعملك على سفك الدماء ، وإتخاذ الأموال وإنما استعملتك لتكُفّ عني أصوات المظلومين فإني لم أدعهم لظلامتهم وإنْ كانوا كفاراً** »(٧٦٣) .

فالكافر انما يظلم نفسه أما أن يَظلمه غيره فلماذا ؟ والله الذي خلقه لا يرضى بظلمه وان كان لظلم نفسه - كما في الآية الكريمة : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم**﴾[١٢٤] يستحق نكالاً من الله وعذاباً .

وقال عليه السلام : « **أما أن المظلوم يأخذ من دَيْن الظالم ، اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم ثم قال : من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فُعِل به ، أما أنه يحصد ابن آدم ما يزرع وليس يحصد احد من المُرّ حِلواً ولا من الحلو مُراً** »(٧٦٤) .

انه ميزان دقيق ودقيق جداً . فهل رأيت ثمار الحنطة شعيراً أو ثمار الحنظل شَهْداً ؟

وهذا الميزان جاء في خطرات القلب وفلتات اللسان وإعمال الأجهزة فمن ظن سوءاً بالناس ظُنَّ به سوءاً ، ومن همز الناس بلسانه أو اشار اليهم بعينه ، .و سطا عليهم بيده ، لا بد وأنْ يتلَقى مثل ذلك ان لم يتلقَ أضعافه أرأيت حنطة واحدة تثمر سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ؟ .

وهناك حديث عجيب ـ بادي ذي بدء ـ وان كان لدى التحليل يظهر معناه كالشمس الضاحية .

عن عبد الأعلى : قال عليه السلام : **من ظَلَم سلّط الله عليه مَنْ يظلمه أو على عَقِبه أو على عقب عَقِب عقبه »** .

فذكرت في نفسي قلت : ـ هو يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه ؟! فقال لي قبل ان اتكلم :

قال : « فإن الله تعالى يقول : ﴿ وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾(١٢٥) » (٧٦٥) .

وموضع التساؤ ل في هذه الرواية والآية أمران :

الأول : كيف يُسلِّط الله على عَقبه أو عقب عقبه ؟ أليس يقول القرآن **﴿ لا تزر وازرة وزر اخرى﴾**(١٢٦) . إنّ الأب ظَلَم فما للولد يُظلَم ؟ .

الثاني : أي إرتباط عادي بين ظلم الأب وتسلط الظالم على الأولاد ؟ .

لكن الجواب بسيط جداً : أليس مُدْمن الخمر يُسبِب ضعف أولاده عقلياً ؟ أوأليس قد جعل الله هذه الخاصية في الخمر ؟ .

إنّ الله جعل أمور الكَوْن الطبيعية بعضها مرتبطاً ببعض ، أما الإثم والعِقاب فلا يتحملها إلا الفاعل .

وهذا هو وجه الجمع بين آية **﴿ولا تزر﴾** وآية **﴿ وليخشى﴾** فعدم التَحمُّل انما هو بالنسبة الى العِقاب . . أما الخِشية فهي بالنسبة الى ما جرى من سِنَن الكون .

وأما إرتباط الظلْم بالإعقاب . . فالوجه فيه واضح : فإن مَنْ يَظلِم لا بد وان يثير على ضده المظلومين ومن اليهم ، والمظلوم أو الموالي له لا بد وان ينتقم إنْ عاجلاً أو آجلاً فالإنتقام العاجل يقع على نفس الظالم والانتقام الآجل يقع على عقبه .

إذاً على الانسان العاقل المحب لذاته وعقبه : أنْ لا يظلم فإن ظلمه يصيب نفسه وذويه .

هذا هو شأن الظلم في نظر الاسلام .

* * *

أما العدل

فالإسلام يؤكد عليه كل تأكيد وقد أرْصد لهذه الفضيلة السامية جيشاً كبيراً من الآيات والآثار والأقوال والأعمال .

وعنوان الإسلام البارز الذي يتجلىٰ به غرة هذا الدِّين المبارك قوله تعالى :

﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى** ﴾[١٢٧] .

وينهي عن الفحشاء والمنكر . . والبغي . . .

والإحسان فوق العدل . فلو رددت الدَّين كان عدلاً ، ولو وهبت له من نفسك متعة فوق طلبه كانت إحساناً !

وفي آية اخرى : ﴿ **ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل** ﴾[١٢٨] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**عَدْل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها**)(٧٦٦) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **من أصبح لا ينوي ظلم أحداً**

غفـر الله تعالى لـه ذلك اليـوم ، ما لم يسفِـك دماً أو يـأكُـل مـال يتيم حراماً »(٧٦٧) .

وليس المراد بالظلم هو الإيذاء فحسب بل كل تعدٍ لساني أو عرضي أو مالي أو ما أشبه ظلم . اذاً : معنى الحديث لا يهم التاجر بالغش والكاسب بالتطفيف ،والحاكم بالجوْر والمُقرِض بالربا وهكذا . وهكذا . .

وقال عليه السلام : « **العَدْل أحلىٰ من الماء يصيبه الظمآن ما أوسع العدل اذا عدل فيه : وإنْ قلّ »(٧٦٨) .**

وقال عليه السلام : « **العَدْل أحلى من الشَهْد ، وألينْ من الزِبْد وأطيب ريحاً من المِسّك »(٧٦٨) .**

إنه كذلك . . فبالعدل يرتاح النفس ، ويطمئِن الخاطر ويأمن العِبَاد وتتقدم البلاد وأي شهد وزبد ومسك ، بهذه المشابهة ؟ .

وقال عليه السلام : »**إتقوا الله وأعْدلوا ، فإنكم تعيبون على قوم لا يَعدِلون »(٧٧٠) .**

وما أقبح أنْ يُعِيب الانسان صفة ثم يأتي هو بها .

وقال الشاعر :

لا تـنهـىٰ عـن خُـلُقٍ وتـأتي مـثـله
عـارٌ عـليـك إذا فـعـلتَ عـظيـمُ

سُرُور المؤمـــن

في الإسلام اهمية كبرى للقلب . وقد اعتنى به اكبر اعتناء على قَدْر ما اعتنى بالأعضاء والجوارح اذ القلب مصدر الخيرات والشرور ومبعث الأعمال والأفعال .

ويندب الاسلام الى ادخال السرور على المؤمن وتفريج فؤاده سواء أكان ذلك بخط مستقيم ، أم بقضاء حاجة له ورفع مشكلة احاطت به ، كما انه في الوقت نفسه يحذر من إخافة المؤمن ، وإدخال الكَرْب عليه .

وهذان الأمْر والنهي يعودان الى الفاعل على حد ما يعودان الى المفعول لأجله ، فإذا أفَرح الانسان قلباً فَرِح هو بنفسه ، واذا أحزنَ شخصاً حَزِن هو بنفسه ، وهذا من جلائل نِعَم الله تعالى الذي به تحفظ على الإلفة والإجتماع فلو كان فاعل الخير كفاعل الشر من حيث نفس الفاعل .

فلم يكن يفرح فاعل الخير ، ولم يكن يحزن فاعل الشر ، لكَثُـرت الشرور والآثام وانتشرت الرذائل والاجرام .

أما أدخال السرور على المؤمن ـ كيفما كان ـ فقد ندب الاسلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**من فرَّج عن مغموم أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة**)(٧٧١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من حمىٰ مؤمناً من ظالم ، بعث الله له مَلَكاً يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم**)(٧٧٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**أُنصر اخاك ظالماً أو مظلوماً**) فقيل : كيف ينصره مظلوماً ؟ قال : (**تمنعه من الظلم**)(٧٧٣) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « من أغاث المؤمن اللهفان اللهثان ، عند جهده فنفّس كربته وأعانه على نجاحِ حاجته ، كتب الله تعالى بذلك اثنتين وسبعين رحمة يُعجِّل له منها واحدة يُصلِّح بها أمر معيشته ويدخر له احدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله»(٧٧٤) .

وقال عليه السلام : « مَنْ نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثَلِج الفؤاد »(٧٧٥) .

وقال عليه السلام : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ أحبَّ الأعمال الى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن»(٧٧٦) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصَرَفه القذىٰ عنه حسنة ، وما عُبِد الله بشيء أحب الى الله من إدخال السرور على المؤمن »(٧٧٦) .

ان ادخال السرور على المؤمنين مصدر الإلفة التي هي بدورها توجب رقي الإجتماع مما يسبب كل طاعة وعبادة وتهدم كل فساد وخِبال .

فلِمَ لا يكون أحب العبادات الى الله تعالى ؟

وقال عليه السلام : « لا يرى احدكم اذا أدخل على مؤمن سروراً انه عليه فقط ، بل - والله - علينا ؟ بل - والله - على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »(٧٧٨) .

وقال الامام الرضا عليه السلام : « من فرّج عن مؤمن ، فرّج الله عن قلبه يوم القيامة »(٧٧٩) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من سرَّ مؤمناً فقد سرّني ، ومن سرّني فقد سرَّ الله)(٧٨٠) .

وروىٰ أبان بن تغلب ، قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام : عن حقّ المؤمن على المؤمن ؟ .

فقال : « حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك ؟ لو حدثتكم

لكفرتم ؟ ان المؤمن اذا آخرِج من قبره ، خرج معه مِثال من قبره ، يقول له : إبشر بالكرامة من الله والسرور ؟ .

فيقول له : بشرّك الله بخير . ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال . . واذا مرّ بهوْل ، قال : ليس هذا لك . واذا مرّ بخير قال : هذا لك . . فلا يزال معه يُؤمنه ما يخاف ، ويُبشره بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله عز وجل ، فاذا أُمر به الى الجنة ، قال المثال : أبشر فإن الله عز وجل ، أمَرَ بك الى الجنة ؟.

قال : فيقول من أنت رحكم الله تبشرني من حين خرجت من قبري وأنستني في طريقي وخبّرتني عن ربي ؟ قال ، فيقول : أنا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا خلِقت منه لابشرك واونس وحشتك »(٧٨١) .

وروى ابنْ سنان قال : كان رجل عند ابي عبد الله عليه السلام فقرأ هذه الآية : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾(١٢٩) قال أبو عبد الله عليه السلام « فما ثواب مَنْ أدخل عليه السرور ؟ فقلتُ جُعلِت فداك عَشَرْ حسنات قال إيْ والله وألف ألف حسنة »(٧٨٢) .

* * *

ومن هنا يُعلم نظر الاسلام بالنسبة الى إيذاء المؤمن وإضراره وما اشبه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها ، أخافه الله تعالىٰ يوم لا ظل إلا ظله)(٧٨٣) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « من رَوَّع مؤمناً ليصيبه منه مكروه فلم يُصبه فهو في النار ومن رَوّع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فَرعون وآل فرعون في النار » (٧٨٤) .

وقال عليه السلام : « مَنْ أدخل السرور على مؤمن ادخله على رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ادخله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد وصل ذلك الى الله تعالى وكذلك من ادخل عليه كرباً »(٧٨٥) .

الى غيرها من الأخبار .

وقد تقدم بعضها لكن ليعلم ان ليس من تفريح المؤمن ـ الممدوح ـ تفريحه بعصيان الله ـ كما يتوهمه الجاهل ـ فإنه لا مشوبة في سخط الخالق .

قضاء الحوائج

من لوازم كَوْن الانسان إجتماعياً : إن لكل فرد حوائج لا تقوم إلا بالآخرين فكل فرد في المجتمع مثله كل جزء في الجسد ، لا يتمكن من استيفاء مصالحه إلا بالتعاون ، فالعين ـ مثلاً ـ تحتاج الى أيدٍ في تناول الطعام ، والفم في الأزدراء ، والمعدة في الهضم وهكذا وتلك الأعضاء ـ بدورها ـ تحتاج الى العين ، في الإكتساب والإهتداء ، وتجنب مواقع الخطر .

وإذْ كان كل فرد محتاجاً ، ومحتاجاً اليه ـ في آن واحد ـ فمن اللازم أن يُعِين الأخر ويُعاني بالآخرين حتى يدور رحىٰ المجتمع .

هذا أصل أولي ، لا يشك فيه إلا من انقطع عن الانسانية وسكن الغاب .

وهنا يأتي الاسلام ليوجه الناس الى هذا الأصل ، ويُحرضهم على قضاء حوائج الآخرين فإن ذلك يؤدي وظائف ثلاث :

تنظيم الاجتماع ، ووصول ذي الحاجة الى حاجته ، وتهيئة الظروف لاستيفاء القاضي من المحتاج حاجة فيما بعد .

ولذا فإن الاسلام يؤكد على قضاء الحوائج ، أكبر تأكيد ويعدّ من الثواب والأجر لقاضي حوائج الناس قدراً كثيراً :

ففي القرآن الكريم :

﴿ **تعاونوا على البرّ والتقوى**﴾[١٣٨] والبرّ في نظر الاسلام كل عمل انساني يقوم به الانسان تجاه أخيه ، فيما لم يكن معصية الله عز اسمه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من قضىٰ لأخيه المؤمن حاجة ، فكأنما عبد الله دهره)(٧٨٦) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من مشىٰ في حاجة اخيه ، ساعة من ليل أو نهار ، قضاها أو لم يقضِها كان خيراً له من إعتكاف شهرين)(٧٨٧) .**

وقال الامام الباقر عليه السلام : **« أوحىٰ الله الى موسى : ان من عبادي من يتقرب اليَّ بالحسنة ، وأحكمه في الجنة ، فقال موسى : يا رب وما تلك الحسنة ؟ قال : يمشي مع اخيه المؤمن ، في قضاء حاجته قضيت أم لم تقضَ »(٧٨٨) .**

وتحكيمه في الجنة : معناه جعله حاكماً . فالقاضي لحوائج الناس بل وغيره ممن يهتم بالقضاء حاكم الجنة ، كما إن الفقهاء حكّام الدنيا ، وأعظِم بها من منصب خطير ؟ أما معنى الحكومة هناك فليس فصل الخصومات ، فالجنة لا خصومة فيها وإنما هي السيادة والرِفعة والسلطنة .

وقال عليه السلام : **« من مشى في حاجة أخيه المسلم اظلّه الله بخمسة وسبعين الف مَلَك ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له حسنة ، وحطّ عنه بها سيئة ، ويرفع له بها درجة ، فاذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها أجر حاجٍ ومُعْتمر »(٧٨٩) .**

وقال عليه السلام **« ان المؤمن لتَرِد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده ، فيهتم بها قلبه ، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّة الجنّة »(٧٩٠) .**

وقال الامام الصادق عليه السلام : **« من قضى لأخيه المؤمن حاجته ، قضى الله تعالى له يوم القيامة مائة الف حاجة من ذلك ـ أولها ـ : الجنة ومن ذلك ان يدخل قرابته ومعارفه واخوانه الجنة بعد ان لا يكونوا نصّاباً »(٧٩١) .**

وما تلك المائة الف حاجة ؟ وهل بعد دخول الجنة حاجة ؟ .

هذا سؤال يَرِد على الذهن - باديء ذي بدء - .

لكن الجواب سهل يسير أرأيت من يريد السفر - في هذه الأزمنة - كم دائرة يلزم عليه دخولها والخروج منها ؟ انه سفر بسيط يحتاج الى عشرة دوائر على الأقل فكيف بيوم مقداره خمسين الف سنة مما تعدون وفيه الحساب لكل صغيرة وكبيرة حتى وجيفات القلوب ولو كان العمل مثقال حبة من خردل ؟!

* * *

هذا آخر الجزء الثاني من (الفضيلة الاسلامية) التي كتبتُها إطاعة لأمر سيدي الوالد طاب ثراه ، أسأل الله تعالى ان ينفعني بها وسـائر المؤمنـين ويجعلها ذخيرة ليوم الدين ويوفقني للعمل بمرضاته وهو المستعان .

الجزء الثالث



مقدّمة الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

مضى من (الفضيلة الاسلامية) جزءآن . . . ولمّا يمضِ من وفاة الوالد طاب ثراه - الذي كان (ره) هو السبب لتأليفي هذا الكتاب - شهران !

﴿فإنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[١٣١] .

إنه - قُدس سره - أراد أن ينظر الى الكتاب ، وهو في حال الحياة ، لكنّ الأقدار حالت دون الأُمنية ! .

ومن كان يظن ان المنية تُفْجعنا - فجأة وفي عرض دقائق - بمثله ؟ الذي فقدنا بفقده أباً بارّاً ومُربياً رحيماً ، ومُعلماً رؤوفاً ، ومَرْجعاً عَطوفاً الذي يحق لي - ولي بصورة خاصة - ان اقول :

« هذا فَقَدْنَاك إماماً مَرْجعاً قد فقَدنا الدِّين والدُنيا معاً »

ولكن . . .

« حكم المنية في البرَية جارٍ ما هذه الدنيا بدار قرارِ »

ومع ذلك أسأل الله تعالى ان يجعلني باراً به وهو في أطباق التراب ويتقبل هذا الكتاب بقبول حسن ، فيهديه بثوابه اليه ، ويتحفه بكرمه :

﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾[١٣٢] .

والله المستعان .

تَرْكُ الإعـــانة

انتهىٰ بنا المَطاف في نهاية الجزء الثاني الى قضاء الحوائج ، وهناك سردنا بعض الأحاديث الواردة في مَثوبة من يُعين المسلمين في حوائجهم ولكن لمّا نقضِ من مأربنا وطراً فهناك أحاديث أُخَر تؤكد على إعانة المسلمين كما وإن في المقام آثاراً تدل على ذُلٍّ من يَتجافىٰ عن إعانتهم فلا يهتم بأمور إخوانه .

واليك جملة منها :

قال الأمام الصادق عليه السلام : « **لقضاء حاجة إمرىء مؤمن أحب الى الله تعالى من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف . . . !**»(٧٩٢) .

وقال عليه السلام : « **إنّ الله تعالى خلق خلقاً من خلقه ، إنتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة ، فإن استطعت ان تكون منهم ، فكن ، قال : لنا والله ربٌّ نعبده ولا نشرك به شيئاً** »(٧٩٣) .

وقال عليه السلام : « **قضاء حاجة المؤمن خير من عتِق الف رقبة وخير من حِملان ألف فرس في سبيل الله** »(٧٩٤) .

وقال عليه السلام : « **من طَاف بالبيت طَوافاً واحداً ، كُتِب له ستة آلاف حسنة ، ومحىٰ عنه ستة آلاف سيئة ورفع له ستة آلاف درجة**

حتى إذا كان عند المُلتزم ، فتح له سبعة أبواب من الجنة .

قلت له : جُعْلِت فدِاك هذا الفضل كله في الطواف ؟ .

قال : نعم وأُخبرك بأفضل من ذلك ؟ .

قضاء حاجة المؤمن المسلم ، افضل من طواف ، وطواف ، وطواف ، حتى بلغ عشراً !! »(٧٩٥) .

وقال عليه السلام : « تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله فإن للجنة باباً يُقال له : المعروف ، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا فإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن ، فيوَكّل الله به عز وجلّ مَلَكين : واحداً عن يمينه وآخر عن شماله يستغفران له ربه ويدعوان بقضاء حاجته .

ثم قال : واللهِ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَسَرّ بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة »(٧٩٦) .

وقال عليه السلام : « ما قضى مسلم لمسلم حاجة ، إلا ناداه الله تعالى ، عليّ ثوابك ، ولا أرضىٰ لك بدون الجنة »(٧٩٧) .

وقال عليه السلام : « ايما مؤمن أتاه أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها اليه ، وسبّبها له فإن قضىٰ حاجته كان قد قَبِل الرحمة بقبولها وان ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما ردّ من نفسه رحمة من الله عز وجل ساقها اليه ، وسبّبها له وذخّر الله تلك الرحمة الى يوم القيامة ، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها ، إنْ شاء صرَفها الى نفسه وان شاء صرفها الى غيره .

فاذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة الله تعالى قد شُرِعت له فالى مَنْ تُرى يُصرِفها ؟ قال الراوي : لا أظن يصرفها عن نفسه ، قال : لا تظن ولكن استيقنَ ، فإنه لن يردها عن نفسه »(٧٩٨) .

ارأيت فوق هذا ترغيباً ؟ إن قضاء الحاجة رَحْمة من الله ساقها وان لم يقضِ خَسِر رحمة مُذْخَرة في وقت هو أحوج ما يكون اليها فهل يرد الحاجة بعد ذلك نبيه ؟ وترى كم الحوائج التي لا تقضىٰ إذا أخذ المسلمون بهذه الرواية فقط ؟ إنها صفر أو تحت الصفر !!

أما اليوم حيث بُعْد المسلم عن اسلامه ومُثُله الرفيعة ، فكم من الحوائج تُقضىٰ ؟ إنها صفر أو تحت الصفر !

وقال عليه السلام : « مَنْ مشىٰ في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله ، حتى تُقضىٰ له ، كَتَب الله عز وجل له بذلك مثل أجْر حِجة وعُمرة مبرورتين وصَوْم شهرين من أشهر الحرم وإعتكافهما في المسجد الحرام ومن مشىٰ فيها بنيّةٍ ولم تقض كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة فأرغبوا في الخير »(٧٩٩) .

وقال عليه السلام : « لَئِن أمشي في حاجة أخٍ لي مسلم أحب اليّ من أن أعتق ألف نسمة وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مُسْرجة مُلْجمة»(٨٠٠) .

وقال عليه السلام : « من سعىٰ في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله عز وجل له الف الف حسنة ، يغفر له فيها لإقاربه وجيرانه ومَعارفه ومن صنع اليه معروفاً في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قيل له : أدخل النار فمن وجدته فيها صنع اليك معروفاً في الدنيا فأخرجه باذن الله عز وجل ، إلا ان يكون ناصبياً »(٨٠١) .

وقال ابو الحسن عليه السلام : « إنّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمنٍ سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة »(٨٠٢) .

الى غيرها .. من الأخبار ..

وقد جعل الله تعالى ـ بحكمته الكاملة ـ في قضاء الحوائج عِزّ الدنيا مع الغض عن أجّره في الآخرة فإن من يَقضي الحوائج لا يزال يقضي حتى يُعظَم في أعين الناس ويُجَل ولا يفتيء يسعى للناس حتى يكون مرموقاً يفتح له كل باب اذا طرقه وتأتيه الأمور طوعاً وأسباب القضاء طواعية .

وأقل نظرة فاحصة الى المجتمع كفيل للبرهنة على هذه الحقيقة ، فإن

قضاة الحوائج من أعزّ الناس ، وأكبرهم في النفوس ، وأعظمهم في العيون .

هذا ثوابه في الدنيا ، أما في الآخرة فقد تقدم شطر منه .

* * *

أما ترك الحوائج وعدم المبالاة بها فالاسلام يذمه .

قال الامام الباقر عليه السلام : « **من بَخُل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته إلاّ ابتلىٰ بالقيام بمعونة من يأثَم عليه ولا يُؤجر** »(٨٠٣)

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخوانه فأستعان به في حاجة فلم يعنْه وهو يقدر إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج عدة من أعدائنا يعذبه الله عليه يوم القيامة** »(٨٠٤) .

وهل هذا طبيعي أم يُبتلى به من وراء الغيب ؟ ولا مانع من الأول فإن الانسان الذي يقضي حاجة المؤمن يتركز على الأسعاف للمؤمن وهو بدوره يمنعه عن قضاء حاجة غيره أما العمل الذي لم يتركز على الايمان ، فلا يقضي حاجة اخيه المؤمن ، فأي مانع له من قضاء حاجة العدو ؟ .

وقال عليه السلام : « **أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده ، أو من عند غيره اقامه الله عز وجل يوم القيامة مُسوّداً وجهه ، مُزرّقة عيناه مغلولة يداه الى عنقه فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ! ثم يُؤمر به الى النار** »(٨٠٥)

وقال عليه السلام : « **من كانت له دار فاحتاج مؤمن الى سكناها فمنعه اياها ! قال الله تعالى : يا ملائكتي أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدار ؟ وعزتي وجلالي لا يسكن جناتي أبداً** »(٨٠٦) .

فهل يعمل المسلمون بهذا الحديث ؟ .

وقال عليه السلام لنفرٍ عنده : « **مالكم تستخفون بنا ؟** »

فقام اليه رجل من أهل خراسان فقال : معاذاً لوجه الله ان نستخف بك أو بشيء من أمرك !.

فقال عليه السلام : « إنك أحد من استخف بي »

فقال : معاذاً لوجه الله أنْ أستخف بك !

فقال عليه السلام : « ألَم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجُحُفة يقول لك احملني قدر ميل فقد واللهِ أعييت ؟! ولله ما رفعت به رأساً لقد استخففت به ومن استخف بمؤمن فبنا استخف وضيّع حرمة الله عز وجل »(٨٠٧) .

وقال عليه السلام : « من أتاه اخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلّط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره الى يوم القيامة مغفوراً له أو مَعذَّباً »(٨٠٨) .

وقال ابو الحسن عليه السلام : « من قصد اليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض احواله ، فلم يُجْره بعد ان يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل »(٨٠٩).

هذه وعود وتهديدات لمن لا يقضي الحاجة فهل نهتم بقضاء حوائج الأخوان ؟

وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك واكثر منها في كلمة قصيرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

(من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ! ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)(٨١٠) .

أصدقاً نعتقد بهذا الحديث ؟ .

فأين اهتمامنا بأمور المسلمين ؟ .

أترى ، لو كان كل مسلم يصبح مهتماً ولو بقضاء أمرْ من أمور الناس كم كان من الأمور غير مقضية ؟ مع العلم ان الاهتمام بالأمور لا يشغل من

الانسان وقتاً يُذكر ولا يسحب من ماله شيئاً يعُتدَ به انما هو الاهتمام وكم أمْر يقضى بمجرده! ولو احتاج القضاء الى مادة وزمان فإن القاضي بدوره يستقضي نفس المادة والزمان من مسلم آخر أليس كل مسلم يقضي حاجة إخوانه؟ وهل هذا القاضي لا يحتاج الى آخر الى الأبد؟.

ثم: إنّ من الجاهِ ما يجلبه الثراء أو العلم أو السلطة.

وهل تنفع هذه الوِجاهات اذا لم تشتمل على قضاء الحوائج؟ كلا بل هي مَسبة الدنيا، ومنقصة الأخرة فالثري الذي لا يقضي حاجة الفقير والمستعطي.. والعالم الذي لا يقضي حاجة المتعلم والجاهل والسلطة التي لا تحل المشاكل.. مزدراة الأعين، مسبة الألسن.

بخلاف قاضي الحوائج فإنه مُحترم ممدوح... وان لم يصحب عمله ثروة وعلم وسلطة وهذا من لطف الله تعالىٰ، حيث جعل قضاء الحوائج مقروناً بالعِز وجعل تركه مقروناً بالإهانة والإزدراء.

الأَمْــرُ بالمعـَـروف

إسعاف المريض معروف ..

وإعطاء الفقير معروف ..

وحُسْن الخُلُق معروف ..

وتَعليم الجاهل معروف ...

وإرشاد الضَال معروف ..

والصِدْق ، والإمانة ، والحياء ، والسخاء ، والصدقة ، والغيرة ، والشجاعة ، معروف .. والصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والخمس ، والجهاد ، والإعتكاف ، معروف . والزواج ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والضِيافة ، والهدية وحُسْن الجوار معروف .. أليستْ هذه أُمور حسنة ؟ .

والعقل يحكم : ان الأمْر بالحُسْن حُسن . أترى إنك لو أَمرت الممرضة بأسعاف المريض الست تُمدَح عند العرف والعقل ؟ . أو أمرت الثري بأعطاء الفقير؟ أو ما اشبه .

والأسلام ـ الذي هو مجمع الفضائل ـ لا يغفل هذه الناحية العامة من الحياة السعيدة أنه يأمر الناس بأن يأمروا بالمعروف ، حتى يشيع المعروف في المجتمع كما أنه يأمر ايضاً : بالنهي عن المنكر .

وما هو؟ .

المُنكر : هو القتل ..

المُنكر : هو الظلم ..

المُنكر : هو السرقة . .

المُنكر : هو الزنا . . .

المُنكر : هو الربا . . .

المُنكر : هو الشتم والسبّ والقَذْف والإهانة وسوء الخُلُق . . .

المُنكر : هو القِمار واللِواطِ ، وسَحْق النِساء والقيادة والدياثة . .

المُنكر : هو الكِذْب ، والخِيانة ، والغُش ، وأكْل اموال الناس بالباطل . . .

المُنكر : هو تَرْك الصلاة ومَنْع الزكاة وعِقوق الوالدين وقَطيعة الرَحِم .

وحيث ان المجتمع لا يخلو من مجرمين يَتعدون الحدود وينتهكون الحرمات فقد أوجب الاسلام ردعهم ، وأمرهم بالمحاسن وشدّد في ذلك أكبر تشديد .

وقد أبدع الاسلام في هذا المجال ، ويظهر ذلك بالمُقايسة الى القوانين الأرضية إنّ القانون انما يُوجب التنفيذ على أُناس خاصة ولذا ترى خَرْق القوانين ، حيث لا تبَصر عين السلطة أهون من الماء .

أما الإسلام المُبدع ـ وكل حكم في الاسلام إبداع ـ فقد أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر على الكل .

اسمع الى هذه الآية المباركة :

﴿ كُنتم خيرَ أُمةٍ أُخرِجت للناس تَأْمرون بالمعروف وتَنْهون عن المُنكر﴾(١٣٣) .

واسمع الى هذا الحديث :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي !**

وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي !)(٨١١) .

ولأي سبب هذا ؟ انه واضح جداً : فبالجهاد يشق الطريق أمام اعمال البر . . وطبعاً يكون الجهاد أفضل من أعمال البر .

ثم . . الجهاد لإبتداء اعمال البر ، أما الاستمرار بها فإنما يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أترى ، لو أن حكومة وضعت القوانين ، وأجْرَتْها بالقوة . فهل ينفع ذلك في استمرار الناس بأتباع المنهج ؟ كلا ! فالأستمرار يحتاج الى قوة دائمة : إذاً : فالأمر والنهي اللذان هما عماد الاستمرار أفضل من الجهاد الذي هو بدء السير .

ولهذا السبب نفسه يُفضِل الاسلام مَدَاد العلماء على دماء الشهداء فإن مَداد العالم يوجب بَقاء الدين ، ولولاه لذهب دم الشهيد أدراج الإهمال . فالمِدادَ إمَتداد لدم الشهيد وإلا فما قيمة الدم إذا أندرس ما لإجله جاهد الشهيد ؟! .

أرأيتَ لو لم تكن هذه الكتب التي يعتمد عليها الفقهاء والمسلمون أجمعون . فماذا الذي كان يوصل اقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام الى الناس بعد وفاتهم عليهم السلام وحيث ذاك يندرس الدين ، ويرجع الناس جاهليةً ، فتذهب دماء أهل بدر وأُحد والأحزاب . شذر نذر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(إيّاكم والجلوس على الطرقات)**

قالوا : ما لنا بدّ منها . إنما هي مجالسنا نتحدث فيها .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (فاذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه)

قالوا : وما حق الطريق ؟ .

قال صلى الله عليه وآله وسلم (**غض البصر ، وكفّ الأذىٰ ، وردّ السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر**)(٨١٢) .

واسمع الى هذا الحديث وما اعجبه من حديث ؟!

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ما بعث الله نبياً إلا وله حَواري ، فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى اذا قبض الله نبيه ، مكث الحواريون ، يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنّة نبيهم ، فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحقّ على كل مؤمن جهادهم بيده فإنْ لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وليس وراء ذلك اسلام**)(٨١٣) .

إنه تحريض على تنزيه جهاز التبليغ والتوجيه فإنه إذا فَسُد أفسد وليس بعد ذلك من خير أبداً . . وما أوجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قِبال هؤلاء ؟ .

الجهاد !

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام : « **إن من رأى عِدواناً يعمل به ومُنْكراً يُدعىٰ إليه فأنكره بقلبه فقد سَلِم وبرىء . ومن أنكره بلسانه فقد أُوجِر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العُليا ، وكلمة الظالمين السفلىٰ ، فذلك الذي أصاب سبيل الهُدىٰ وقام على الطريق ، ونوّر في قلبه اليقين** »(٨١٤)

وقال عليه السلام « **فمنهم : المُنكر للمُنكِر بقلبه ولسانه ويده فذلك المُستكمل لخصال الخير .**

ومنهم : المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده . فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومُضيّع خصلة .

ومنهم : المنكر بقلبه ، والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة .

ومنهم : التارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الإحياء .

وما إعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، إلا كنفثة في بحر لجي .

وان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لا يُقرِبان من أجَلٍ ولا ينقصان من رزق .

وأفضل من ذلك كلمة عَدْل عند أمام جائر »(٨١٥) .

وقد نَبّه الامام عليه السلام الى حقيقة ، تسد الطريق امام المعتذرين . فإنهم يعتذرون بالخوف من القَتْل أو ما أشبه وقِلِة الرزق المسببة من انصراف الناس عن الأمر الزاجر لكنه كِذْب في القول وفِرار عن الحق بالأهم .

فهل رأيت آمراً يُقتل أو زاجراً يُنقّص رزقه ؟

ولعلك تقول : ألم يُقتل الإمام الحسين ثم حين خرج الى كربلاء مُريداً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ والجواب : إنه ما خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يتكتم ولِمَ كان الخوف ؟ من شياطين بني أُمية الذين أُمروا بسفك دم ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة !

وللإمام الباقر عليه السلام كلام ظريف حول هذين الواجبين جمع العلة والدليل قال عليه السلام :

« إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتُعمر الأرض وينتصف من الاعداء ويستقيم الأمر !

فانكروا بقلوبكم .

والفظوا بالسنتكم .

وصكّوا بها جباههم .

ولا تخافوا في الله لومة لائم .

فإن اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم : ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ﴾[١٣٤] .

هنالك . .

فجاهدوا بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولا مريدين لظلم ظفراً حتى يفيئوا الى امر الله ويمضوا على طاعته »(٨١٦)

* * *

والإسلام ينهي اشد النهي عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتهاون والمُداهنة فيهما فإن في ذلك زَيْغ المجتمع عن سُنن العدل وتحريف الشرائع عن نصابها وجنوح المُبطلين الى العيْث والنساء .

يقول القرآن الكريم :

﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثمْ وأكْلِهم السُحْت لبَئِس ما كانوا يصنعون﴾[١٣٥] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أنّ يُنكرَ عليهم ، فلم يفعل إلاّ يوشك أنْ يعَمّهم الله بعذاب من عنده)(٨١٧) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له » فقيل له** : ما المؤمن الذي لا دين له ؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم : **(الذي لا ينهي عن المنكر)(٨١٨) .**

وقيل له صلى الله عليه وآله وسلم : (أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ ، قال صلى الله عليه وآله و سلم : (نعم) . قيل : بِم يا رسول الله ؟ قال : (بتهاونهم ، وسكوتهم عن معاصي الله)(٨١٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لتأمرّن بالمعروف ولتنهَيْنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شِراركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم)(٨٢٠) .

وهذه الأحاديث مع الغض عن الأمور ما وراء الطبيعة تدل على مدىَ مطابقتها للواقع وللبراهين والحوادث : إن المُنكر هو الشيء الضارّ بالمجتمع والفرد . . فشرب الخمر يوجب المرض ، والزنا يوجب الفساد العام والمقامرة توجب العداوة . . وهكذا !

فإذا ترك النهي عن المنكر في مجتمع ، لا بد وان ينهار ، والإنهيار هو العذاب ، فإن العذاب ليس منحصراً في الصاعقة أو نحوها أنظر الى هذه الآية :

﴿ قل : هو القادر على أنْ يبعثَ عليكم عَذاباً من فوقكم . أو من تحت أرجلِكم أو يُلبسُكم شِيعاً ويُذيقَ بعضكمَ بأْسَ بعض . ! ﴾(١٣٦) .

فالآيات ، شيعاً وعذاباً في عِداد الصاعقة والخسْف !

أما الدعاء . . كما في الحديث الأخير ، فله شرائط ، وهل ينفع دعاء بلا شروط . . أرأيت من يدعو ان يُثريهَ الله أو يَملأ صدره عِلماً . . بغير تعب وعمل وطلب ، يجاب دعاؤه ؟ .

قال تعالى : ﴿ وقال رَبكم : إدعوني أستجبْ لَكم ﴾(١٣٧) . ولكن قال في آية اخرى :

﴿أوفوا بعهدي أوفِ بعدهكم ﴾(١٣٨) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله تعالى لَيَسأل العبد : ما منعك إذ رأيت المُنكر أن تُنكِر ؟)(٨٢١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله تعالى لا يعذِب الخاصة بذنوب العامة حتى يظهر المُنكر بين أظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه)(٨٢٢) .

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام : «إنما هلك من كان قبلكم ، حيث عَمِلوا بالمعاصي ولم يَنْهِهِم الربانيون والأحبار عن ذلك .. وانهم لما تمادوا في المعاصي ، ولم يَنْهِهِم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات . فأمروا بالمعروفِ ، وأنهوا عن المنكر»(٨٢٣) .

وقال عليه السلام : «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الإحياء»(٨٢٤) .

وهناك أُناس لا يتمكنون من شَجْب المنكر لِضعُف في مقامهم أو كلامهم أو ما اشبه . فهل يَمرون بالمنكر وكأنه لا شيء ؟ كلا ! بل يلزم عليهم بالإضافة الى إنكار القلوب ، كَلْح الوجه أمام المنكر ، فإنه مرتبة من مراتب الأنكار .

قال الإمام امير المؤمنين عليه السلام : «أَمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ نُلقي أهل المعاصي بوجوه مُكْفهِرّة»(٨٢٥) .

لكن . ليس معنى ذلك ان يَلقىٰ الإنسان كل آتٍ بالمنكر كذلك فإنه ربما يزيده إصراراً وعناداً ، بل البشر الحسن القرين بالقول اللين انجح في كثير من الموارد ، فعلى المُريد أمراً وزجراً ان يكون حكيماً في التطبيق فقول اللين لا ينفع لمن لا بدّ من العُصِّي والعصا لا تنفع لمن يلزم ان يقال له لِيْن الكلام . وبين الناس من لا ينفعه إلا العُصِّي وقول اللين ، اسمع إلى هاتين الآيتين :

﴿ فقولا له : قولاً ليناً . لعلّه يَتذكرّ أو يَخشىٰ ﴾(١٣٩) .

﴿قال : ألقها ، يا موسى ﴾(١٤٠) .

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عصر إنحطاط المسلمين في

كل دور وزمان فقال عليه السلام : « **إن أَوّل ما تُغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بأيديكم ، ثم بالسنتكم ، ثم بقلوبكم ! فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ، ولم ينكر منكراً ، قَلِب : فجعل أعلاه أسفله** »(٨٢٦) .

وهكذا يتدرج المجتمع الى الإنحطاط ينجم المنكر ، فينكر بيد ، ثم يترك ثم ينكر بلسان ثم يترك . . ثم ينكر بقلب ، حتى يكون مألوفاً فلا يعرف كونه منكراً . . وهناك العقاب . !

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **ما قُدِست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويها بحقه غير مُتَعْتع** »(٨٢٧) وقال عليه السلام : « **وَيلٌ لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر** »(٨٢٨) .

وهناك أُناس يظنون انه يكفيهم صلاح انفسهم ، فما لهم والدخول في المجتمع ، حتى يبتلوا بتلوثه ويُكلفّوا بالأَمر والنهي ؟ ولذا يمشون رويداً ، ويبتعدون عن الناس .

لكن . . الإسلام لا يَرضىٰ بذلك ، بل يريد من كل انسان ، ان يدخل المجتمع ، فيُقوِّم المِعْوّج ، ويأمر ويزجر وإلا كان شريكاً في الإثم ، وان كان هو طاهر الذيل ، نزيه القلب ، ونظيف الجوارح .

قال الإمام الباقر عليه السلام : « **أوحىٰ الله عزّ وجل الى شُعْيب النبي عليه السلام إني مُعذِب من قومك مائة الف ، أربعين الفاً من شرارهم وستين الفاً من خيارهم فقال عليه السلام : يا ربّ هؤلاءِ الاشرار ، فما بال الاخيار ؟ فأوحى الله عز وجل : اليه : داهنوا أهل المعاصي ، ولم يغضبوا لغضبي** »(٨٢٩) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **حق لي ان آخذ البريء منكم بالسقيم وكيف لا يحق لي ذلك ؟ وانتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه ، ولا تؤذونه حتى يتركه** »(٨٣٠) .

واسمع الى هذا الحديث ، وهو اشد لهجة من سابقه :

قال عليه السلام : « لأحملنّ ذنوب سفهائكم على عْلمائكم »

ما يمنعكم إذا بلغ الرجل منكم ما تكرهون ، وما يدخل علينا به الأذىٰ ، : ان تأتوه فتنبؤه ، وتعذلوه وتقولوا له قولاً بليغاً ؟ .

قيل له : إذاً لا يقبلون منا .

قال عليه السلام : « اهجروهم واجتنبوا مجالستهم » (٨٣١) .

وبعد هذا كله .. فكم ترى منكراً في المجتمعات الاسلامية ؟

وان كنت لا تدري فأستمع :

الاغاني .. دور السينما .. الملاهي .. الخمور . الزنا . القمار . التبرج . وعدد اكبر الى آخر المحرمات .

وكم قَدَر ما نقوم بالأمر والزجر ؟ .

انه لا شيء إطلاقاً !

التَــآلــفُ والتَبــاعُد

من الناس من فُطِر على الألفة فتراه يألف من الحيوان والجماد ، فكيف بالإنسان !

ومنهم من جُبِل على الهِجْرة ، فهو كالصخرة الصماء لا تُلصق بشيء ، وأن أُلصِقَت فَسرعان ما هجرت وابتعدت .

واذا نظرنا الى مجتمع الانسان رأيناه أحوج ما يكون الى الإلفة :

ان الجماد يتمكن ان يحتفظ على كيانه وحده فالحصاة لا تحتاج الى حصاة اخرى .

والنبات يتمكن ان ينبت وحده في الصحراء ويبقى على ريَه وبهجته الى ان يصير هشيماً .

والحيوان ، اذا سُرح في واحة ، أخذ ما يكفيه من النبات ولو ترك في صحراء تحرىٰ جُهْده . حتى يصل الى ماء وكلأ فيعيش حتى يخترمه الموت .

أما الانسان فهل يمكن ان يعيش بلا لِباس ؟ أو هل يمكن ان يبقىٰ بلا قوت ؟ أو هل يمكن ان يظل بغير مسكن ؟ وهكذا قل : في دوائه إذا مرض ، وسفره براً وبحراً اذا احتاج .

ثم أنظر قليلاً الى ما تستعمله !

فَثَريد تأْكُله احتاج الى أُلوف من الأفراد فمن هيأ الأرض للزرع ؟ . ومن أجرى فيها الماء ، ومن ربىٰ الثيران ومن نجّر المِحراث ؟ ومن صنع حديدته ؟ ومن أَخذ البذر ؟ ومن زرعه ؟ ومن حرسه ؟ ومن سقاه ؟ ومَنْ ؟ ومَنْ ؟

هذا ثريد تأكله وقل : في دار تسكنه ولباس تلبسه وزوجة تتمتع بها . وآلة تستعملها ولو كانت قلماً للكتابة وهكذا . . وهكذا.

إذاً :

فالانسان محتاج الى الإلفة من قَرْنه الى قدمه ومن مهده الى لحده .

والذي يفيض على هذه الاحتياجات صبغة الكمال هو الإلفة بعد ان يكون قدر منها ضرورية لأصل العيش فمن الناس من يخضع الى القـدر الضروري طوْعاً أو كُرهاً ثم يبتعد عن الناس وهذا إنسان ناقص أخذه عن المجتمع كثير واعطاؤه له قليل .

ومنهم من يعطي اكثر مما يأخذ يألف أكثر من الحاجات الانسانية وهذا مستكمل يأخذ بالمجتمع الى الإمام .

ومنهم من يعطي قدر ما يأخذ وهذا انسان فحسب أما انه يخدم فلا .

والإسلام يحرص على القسم الثاني فإنه يريد الرقي والصعود ، والحب والطهارة .

ألم يقل الحكماء : إن الانسان أُشتُق من الإنس ؟

وما تراه معتبراً في ثنايا الشريعة المُطّهرة ، من الضيافة والهدية والصِلة ، والبر ، وحسن الخلق ، والتزوار ، والمشايعة والاستقبال و . . و . . و . . . كلها مرتبطة بهذا السلك العام وهو إيجاد الإلفة ـ بمعناها الواسع ـ

فأسمع الى شطر من الأحاديث الواردة بهذا الصدد .

قال الإمام امير المؤمنين عليه السلام : « **لِقاء الأخوان مَغْنم جسيم ، وإنْ قلّوا** »(٨٣٢) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **ان لله عز وجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة : رجلٌ حكم على نفسه بالحق ، ورجل زار أخاه المؤمن في الله ورجل آثر اخاه المؤمن في الله** »(٨٣٣) .

وقال عليه السلام : « إنّ المؤمن ليخرج الى اخيه يزوره ، فيوكل الله عز وجل به مَلَكاً فيضع جناحاً في الأرض ، وجناحاً في السماء يظله ، فاذا دخل الى منزله ناداه الجبار تبارك وتعالى : ايها العبد المُعظِّم لحقي المتبع لآثار نبي ، حقٌّ عليَّ إعظامك ، سلني أعطِك ، إدْعني أجبْك ، اسكت ابتدئك ، فاذا انصرف شيّعه المَلَك يظله بجناحه حتى يدخل الى منزله ، ثم يناديه تبارك وتعالى : أيها العبد المُعظِّم لحقي حق عليَّ ، إكرامك ، قد أوجبت لك جنتي وشفّعتك في عبادي »(٨٣٤) .

إنه زار اخاً وكسب صداقة وشد عروة الوداد ومع ذلك يعطيه الله من الثواب هذا المقدار الهائل ! فأي إسلام هذا الذي لا يأتي مثله أبداً ؟ وما أعظمه وأسماه ؟ وهل يجد الانسان بديلاً منه ؟ .

وان شئت المزيد فأسمع :

قال عليه السلام : « ايما مؤمن خرج الى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتَبَ الله له بكل خطوة حسنة ، ومُحيتَ عنه سيئة ورُفعت له درجة فاذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهىٰ بهما الملائكة فيقول : انظروا الى عبدي تزوارا وتحابا فيَّ ، حق عليّ أن لا أُعذبهما بالنار ، بعد ذا الموقف .

فاذا انصرف شيّعه ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل فإن مات فيما بينهما أُعفي من الحساب .

وإنْ كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور ، كان له مثل أجْره »(٨٣٥) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « من زار أخاه لله لا لشيء غيره بل لإلتماس ما وعد الله وتنجز ما عنده وَكّل الله به سبعين الف مَلَك ينادونه : ألا طبت وطابت لك الجنة »(٨٣٦) .

وقال عليه السلام : « من زار أخاه في الله قال عز وجل : إياي زرت وثوابك عليّ ولست أرضىٰ لك ثواباً دون الجنة »(٨٣٧) .

وقال عليه السلام : « من زار اخاه في الله في مرض أو صحة لا يأتيه خِداعاً ولا استبدالاً وكّل الله به سبعين الف مَلَك ينادون في قِفاه : ان طبت وطابت لك الجنة ، فانتم زوّار الله وانتم وفد الرحمٰن حتى يأتي منزله .

فقال له يسير : جُعِلت فداك فإن كان المكان بعيداً ؟ قال نعم يا يسير ، وإن كان المكان مسيرة سنة ، فإن الله جواد والملائكة كثيرة يشعيونه حتى يرجع الى منزله » (٨٣٨) .

وربما يخطر على بال بعض الناس : كيف يكون الملائكة بهذه الكثرة ؟ انهم غافلون عن خلق الله وهل من مانع ان يخلق الله ملايين من المَلَك بكلمة (كن) ؟

اسمع :

يقول العِلم الحديث : عند التناسل يفرز الرجل (٢٦) مليون حيواناً مَنوياً صغير الحجم(١) .

فهل من يقدر على خلق (٢٠٠) مليون حيوان في قطرة ماء لا يقدر على خلق بلايين البلايين من الملائكة في أقطار الأرض وآفاق السماء ؟ .

وحقاً : ان من ينكر الشرع لسخافات وهمية بعيد عن موازين المنطق والعقل !

وبالأخص ، بعدما ظهر من اسرار الأحاديث كثرة كبيرة وتبين انها مطابقة للواقع والحقيقة .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « من زار اخاه في الله تعالى ولله ، جاء يوم القيامة ، يخطر بين قباطي من نور ، لا يمر بشيء إلا أضاء له حتى يقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ فيقول الله عزَّ وجلَّ له مرحباً واذا قال : مرحباً اجزل الله عز وجل له العطية »(٨٣٩) .

ومعنى الوقوف بين يدي الله : حيث توجه خطابه وإلا فليس لله مكان كما ذكر في العقائد .

وقال عليه السلام : « لَزيارة مؤمن في الله ، خير من عِتِق عشر رقبات مؤمنات ، ومن أعتق رقبة مؤمنة وَقىٰ كل عضو عضواً من النار حتى إنّ الفَرْج يقي الفَرْج »(٨٤٠) .

وقال عليه السلام ـ لإبي خديجة ـ

« كم بينك وبين البصرة ؟ »

قال : في الماء خمس اذا طابت الريح . . وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك .

فقال عليه السلام : «ما أقرب هذا ، تزواروا وتعاهدوا بعضكم بعضاً فإنه لا بد ـ يوم القيامة ـ يأتي كل انسان بشاهد شهد له على دينه »(٨٤١) .

وقال عليه السلام : « ان المسلم اذا رأى أخاه كان حياة لدينه اذا ذكر الله »(٨٤٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (مثل الأخوين اذا التقيا : مثل اليدين . . تغسل احداهما الأخرى ما التقىٰ المؤمنان قط إلا أفاد الله احدهما من صاحبه خيراً)(٨٤٣) .

وفي القرآن الأحاديث نص على الإلفة بلفظها :

﴿ لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله أَلِف بينهم ﴾ .

وقال امير المؤمنين (ع) « إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »(٨٤٤) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « فرحم الله إمرءاً ألف بين وليين لنا يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا»(٨٤٥) .

كما ان في الأحاديث ترغيب الى اسباب الإلفة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أولىٰ الناس بالله وبرسوله : من بَدأ بالسلام)(٨٤٦) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : « لا تغضبوا ولا تقبضوا إفشوا السلام وأطيبوا الكلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام »(٨٤٧).

وقال عليه السلام : « إنّ الله يحب إطعام الطعام وإفشاء السلام »(٨٤٨) .

وقال عليه السلام : « من التواضع ان تسلم على مَنْ لقيت »(٨٤٩) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « تَصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة »(٨٥٠) .

وقال عليه السلام : « مُصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة »(٨٥١) .

* * *

ومن الطبيعي ان يكره الاسلام الهجرة ـ بعد ذلك ـ ويُندد في النكير على من هجر اخاه .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أيُما مسلمينْ تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الإسلام ولم يكن بينهما ولاية فأيهما سبق الكلام لإخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب)(٨٥٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا هجرة فوق ثلاث)(٨٥٣) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب احدهما البراءة واللعنة وربما استحق ذلك كلاهما

فقال له معتب : جَعَلني الله فداك هذا للظالم فما بال المظلوم ؟

قال عليه السلام : لأنه لا يدعو الى صلة أخيه ، ولا يتعامى له عن كلامه »(٨٥٤)

سمعت أبي عليه السلام يقول : **« اذا تنازع اثنان فعازَّ احدهما الآخر فليرجع المظلوم الى صاحبه ، حتى يقول لصاحبه : أي أخي انا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فإن الله تبارك وتعالىٰ حَكَمٌ عدلٌ يأخذ للمظلوم من الظالم »(٨٥٥) .**

وقولة المظلوم : انا الظالم خالٍ عن المتعلق فلا يوجب الكذب .

وقال‌عليه‌السلام : **« لا يزال أبليس فرحاً ما اهتجر مسلمان فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت أوصاله ، ونادىٰ يا ويله : ما لقي من الثور »(٨٥٦) .**

وقال الإمام الباقر عليه السلام : **« ان الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع احدهم عن دينه . فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه ، وتمدد ثم قال : فُزْت » (٨٥٧) .**

والانسان المبتعد عن الاجتماع ، لا بد وأنْ تهتاج في نفسه عوامل اكثر انه يراهم ، وكلهم إثم ، أليسوا يهمزون ويلمزون ؟ ويمنعون حقاً ؟ ويخوضون في باطل ؟ ولذا تراه يهجرهم هجراً غير جميل وفي هٰهنا يكمن انفصام المجتمع الخيِّر .

لكن الاسلام يريد الإلفة والإجتماع ، حتى اذا رأى الانسان الشر رأى الخير الى جانبه ، فلا يكون مبتعداً سيء الظن .

صِــلَة الرَحِـــمْ

الإسلام حبّذ الصِلة ـ إطلاقاً ـ كما مر بنا في الفصل المتقدم .

إذاً : فمن حقه أَنْ يوجب صِلة الرحم ـ بالخصوص ـ

ومَنْ الرَّحم ؟ .

إنه الذي جمعّك وإياه رَحم واحدة قريبـة : كالإخـوة والاخوات أو متوسطة كالأعمام والأخوال أو بعيدة كسائر من يمت الانسان اليهم بصلة .

والأرحام لا بد وان يتقاربوا في الجوار ، أو في الدار أو في الكَسَب ، أو في المدينة أو ما اليها لأنهم اشتقوا من فرع واحد .

والى جنب ذلك : لا بدّ وان تكون بينهم إحنَ وعَداواة وسوابق أليسوا بشراً ؟ وأليس البشر انما يسري شره الى اقرب منه فالأقرب .

ولهذين العاملين : قرب الجوار . . والغضاضة لا بدّ وأن تقع بينهم هَنّات .

ولذا يسرع الاسلام الى التوصية الكافية بالأرحام بصورة عـامة من ناحيتين :

إيجابية : فيلزم أن يتواصلوا ، ويتباروا ، ويتـراحموا ويتفقـد بعضهم بعضاً .

وسلبية : فيحرم القطيعة بشتى اشكالها ، ويوجب غسل القلوب عن ضغائن ربما تستشري بينهم فلا تَدَع ولا تذِر .

وبعد ذلك ، فالصِلة تعود بالنفع الكبير الى الارحام انفسهم أليست

الرحم عضد الرحم وساعدها ؟ ومحل سرِّها ونجواها ؟ والتي تَحن على الانسان حِنواً ذاتياً ؟ فلِمَ القطيعة ؟ .

يقول القرآن الحكيم :

﴿ واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القُربىٰ ﴾[١٤١] .

ويقول : **﴿ واتقوا الله الذين تساءَلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً﴾**[١٤٢] .

ويقول : **﴿ الذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل . . اولئك لهم عقبىٰ الدار﴾**[١٤٣] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان اعجل الخير ثواباً صلة الرحم)(٨٥٨)** .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أوصي الشاهد من أُمتي والغائب ، ومَنْ في أصلاب الرِّجال وأرحام النساء ، إلى يوم القيامة ان يصل الرِّحم وان كان منه على مسيرة سنة فإنّ ذلك من الدين)(٨٥٩) . مسيرة سنة ؟ .**

نعم : ان الإسلام يبالغ حتى في مسيرة سنة ، كي لا تقطع الرحم ، وهي في البلدة ، فيقدر بعد المرمى ، يستعد الرامي ويجمع قواه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من سره النسأ : (التأخير) في الأَجَل والزيادة في الرزق ، فليصل رحمه)(٨٦٠)** .

وقال صلى اللهعليه وآله وسلم : **(إنّ القوم ليكونون فجرة ، ولا يكونون بَررة فيصلون أرحامهم ، فتمنى اعمالهم وتطول اعمارهم ، فكيف اذا كانوا أبراراً بررة ؟ » (٨٦١)**.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(الصدقة بعشرة ، والقرْض بثماني عشرة وصِلة الإخوان بعشرين وصلة الرحم بأربع وعشرين)(٨٦٢)** .

إنها صدقة ، وصلة أخ ، وصلة رحم فلِمَ لا تكون بأربعة وعشرين ؟ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من سرّه أن يُمدّ الله في عمره ، وان يبسط في رزقه ، فليصل رحمه ، فإنّ الرحم لها لسان يوم القيامة ذَلِق يقول يا ربّ صِلْ من وصلني وأقطعْ من قطعني ، فالرجل ليرى بسبيل خير ، اذا اتته الرحم التي قطعها ، فتهوي به في أسفل قعر في النار**)(٨٦٣) .

والمدّ في العمر ، والبَسط في الرزق ، طبيعي الى درجة ما ، فإن الوصول هاديء النفس ، مرتاح الخاطر ، والطمأنينة القلبية تبعث على العمر الطبيعي كما تفرغ الانسان للمكسب .

وقيل للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (أيّ الناس أفضل ؟ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**أتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر**)(٨٦٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إنّ القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة فيصلون ارحامهم فتنمي اموالهم وتطول أعمارهم فكيف اذا كانوا ابراراً بررة**)(٨٦٥) .

وهل تدري أفضل الفضائل ؟ .

اسمعه من لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

(**أفضل الفضائل : ان تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك**)(٨٦٦) .

وهل نتمكن من ذلك ؟ .

نعم . بعد جهد جهيد !! فإن الانسان قابل لكل فضيلة كما انه قابل لكل ثروة وجاه ، ولكن هل يبلغ الجاه الاقصى من كسل ولم يعمل ؟ أو يَثرىٰ الثروة القصوى من نام عن العمل ؟ ان الثروة تأتي بعد سهر ليل ونهار ،

والجاه يتحصل بعد جد وجهد .

فهل تحصل الأخلاق الفاضلة ، وبالأخص (افضل الفضائل) في ظرف ساعة ، أو مطالعة كتاب ؟ إنه ظن خاطىء وان ظنه كثير من الناس !!

ان من الناس من يرىٰ نفسه كاملة ، وهذا من يُرثىٰ لحاله فهو جاهل مركب ، ويصدق في حقه قولة حمار الحكيم :

قال حمار الحكيم يوماً لو أنصفَ الدّهر كنت أركبُ»
« فإنني جاهلٌ بسيطٌ وصاحبي جاهلٌ مركبُ»

ومنهم : من يرى نفسه ناقصة ، ولكن لا يهتم بالكمال أو يهتم بقدر وهذا أحسن من أخيه الأول إلا ان الفارق بينه وبين الانسان كبير جداً .

ومنهم : من يرى نفسه ناقصة ، ولا يزال يهتم بالاصلاح ـ وهذا نادر ـ إلا انه ينطبق عليه قول الشاعر :

« لا تَقولَنّ مضت أيامه ان من جَدّ على الدرب وصَل»

وفي المقام . . .

هل نتحصل أفضل الفضائل ؟ نعم بعد جهد جهيد ومن يقدر على ان يصل من قطعه ! أو يعطي من حَرَمه ! أو يعفو عمن ظلمه !؟

وهل يعود النفع الى الطرف المقابل فقط ؟ كلا ! ان النفع الذي يجنيه الوصول المعطي العافي . من هذه الخصال اكثر بكثير من النفع الذي يربحه القاطع المانع الظالم انه ينفع ـ أولاً ـ وداً في القلوب ، وتناثراً في الإلسنة وصِيتاً في المجتمع وينفع ـ ثانياً ـ راحة القلب وهدوء الخاطر ، وأرتياح الضمير .

﴿ولا يلقها إلا الذين صبروا ! ولا يلقها إلا ذو حظ عظيم﴾

والإسلام لا يكلف الناس فوق طاقتهم ، فلا يريد من ذي الرحم

الفقير ، ان يبذل مالاً ، أو ينفق نفقة إنّه يكتفي ولو بالسلام فإن سلام المعوز يقوم مقال ثراء المثري .

قال الامام امير المؤمنين عليه السلام : « **صلوا أرحامكم ولو بالسلام يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ واتقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً﴾**[١٤٤] »(٨٦٧) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **إن الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش .**

تقول : **اللهم صل من وصلني ، واقطع من قطعني** »(٨٦٨) .

وقال عليه السلام : « **صلة الأرحام تحسّن الخلق ، وتسمّح الكفَّ ، وتطيّب النفس ، وتزيد في الرزق ، وتنسيء في الأجل** »(٨٦٩) .

وقال عليه السلام : « **صلة الارحام تزكي الاعمال ، وتنمي الأموال وتدفع البلوىٰ ، وتيّسر الحساب ، وتُنْسيءْ في الأجل** »(٨٧٠) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **صلة الرَّحم ، والبرَّ ، ليُهوِّنان الحساب ، ويعصِمان من الذنوب ، فصِلوا أرحامكم ، وبرُّوا باخوانكم ، ولو بحسن السلام ، ورِّد الجواب** »(٨٧١) .

وقال عليه السلام : « **صلة الرحم تُهوِّن الحساب ، يوم القيامة وهي منسأة في العمر ، وتقي مُصارِع السوء** »(٨٧٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

(**صِلة الرحم ، وحسن الجوار : زيادة في الأموال**)(٨٧٣) .

وانظر الى هذا الحديث الصريح ، مما لا يَدْع ليد التأويل في الاخبار السابقة مجال .

قال عليه السلام : « **إنَّ الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين ، فيصيّرها الله عزّ وجلّ ثلاثين سنة ، ويقطعها وقد بقي من عمره**

ثلاثون سنة فيصيرها ثلاث سنين ثم تلا (ع) يمسحو الله ما يشاء وعنده أمُّ الكتاب »(٨٧٤) .

* * *

أما قطع الرحم ، فقد جعل الإسلام له لعناً وبيلاً وعذاباً اليماً .

أليس الألفة ، والوِدَاد من قواعد المجتمع الذي يبني عليه الإسلام كل خير وازدهار ؟ وأليست الارحام هي القطعة الكبرى ، لألف المجتمع بعضه مع بعضه : أبوان . فعائلة . فأرحام . فأجتماع . والمجتمع لا يصح إلا اذا صحت الارحام والارحام لا تتشابك إلا اذا اشتبكت العائلة بعضها مع بعض ، والعائلة لا تتشابك إلا اذا صَلُح الأبوان . . والإسلام يؤكد على كل ذلك ، ويتوعد ترك الصلة والود ، فيما بين مرتبة من هذه المراتب واستمع الى الوعيدات والتهديدات ، في لسان الآيات والاخبار :

يقول القرآن الحكيم : ﴿ **والذين ينقضون عهد الله بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به : ان يوصل ، ويفسدون في الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾(١٤٥) .

ويقول : ﴿ **وتقطعوا ارحكامكم** ﴾(١٤٦) .

وقال رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم : (**أبغض الأعمال الى الله الشرك بالله ثم قطيعة الرحم ثم الأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف**)(٨٧٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا تقطع رحمك وان قطعك**)(٨٧٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**قال تعالى : أنا الرحمٰن وهذه الرحم شققت لها إسماً من إسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**)(٨٧٧) .

والإشتقاق انما هو الاشتراك في المادة فكل منهما « ر . ح . م » ومعنى المادة التراحم والتعاطف . ولعل تسمية رَحِم الانثى ايضاً لهذه العِلة ، بعلاقة الحَال والمحل ، أو بعلاقة الأَوُل أو ما أشبه !

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**حافتا الصراط ـ يوم القيامة ـ الرحم والأمانة فاذا مرَّ الوصول للرحم المؤدِّي للإمانة نفذ الى الجنّة واذا مرّ الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل ، ويكفأ به الصراط في النار**)(٨٧٨) .

ما أبدع التشبيه ؟ .

ان طرفي الشارع لو وقف فيها الأَعداء المسلمون هل يمكن المرور من الشارع ؟ .

كلا ! وبالعكسْ : لو كان على الطرفين الأصدقاء الأوفياء انهم وان رامه عدوٌ بِشَرٍ حفظوه وكذلك هاتان الفضيلتان .

وقال الإمام امير المؤمنين عليه السلام : « **أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفَناء !** » .

فقام اليه عبد الله بن الكوَّاء اليَشكري ، فقال يا أمير المؤمنين أوَ تكون ذنوبٌ تُعجل الفناء ؟ .

فقال : « نَعم ويلك ! قطيعة الرحم ان اهل البيت لَيْجتمعون ويتواسون ، وهم فجرة فيرزقهم الله . وإن أهل البيت لَيتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً ، فيحرمهم الله وهم أتقياء »(٨٧٩) .

أتقياء بالنسبة الى سائر المآتم أما القطيعة فهم من أهلها ومرتكبي جريمتها .

وقال عليه السلام : « **إذا قطعت الأرحام ، جعلت الأموال في ايدي الاشرار** »(٨٨٠) .

وقال الامام محمد الباقر عليه السلام : « في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهن ـ ابداً ـ حتى يرى وبالهن :

١) البغي .

٢) وقطيعة الرحم .

٣) واليمين الكاذبة يبارز الله بها .

وإنّ أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم وإنّ القوم ليكونون فُجاراً فيتواصلون فتنمي اموالهم و يثرون ، وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بَلاقِع من أهلها ويثقلان الرحم وان تثقل في الرحم انقطاع النسل » (٨٨١) .

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام فشكا أقاربه فقال عليه السلام له : أكْظِم فقال : انهم يفعلون ويفعلون . . ! فقال اتريد ان تكون مثلهم ، فلا ينظر الله اليكم ؟ »(٨٨٢) .

ولا يغفل الإسلام عن حقيقة مُجرّبة ، وهي أن التجاور يوجب القطيعة في غالب الناس ، ولذا فمن الإفضل ان لا يتجاور الارحام خوفاً من الوقوع في هذا الإثم العظيم .

كتب الامام امير المؤمنين عليه السلام الى بعض عماله : « مُروا الأقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا »(٨٨٣) .

وهنا قصة ظريفة لا بأس بإيرادها :

قصَّ لي بعض من توطّن الغرب من المسلمين قال : « مرض ذات مرة ابن خال لي فذهبنا به الى المستشفى وكنت أختلف اليه ، كما هو عادة المسلمين . فحدث أن سألني ـ ذات مرة ـ جماعةالأهالي ، عن سبب اختلافي الى المستشفى بهذه الكثرة ، فقصصت لهم القصة قال : ثم رأيتهم لا يميزون بين ابن الخال والخال ، وابن العم والعم فيطلقون لفظاً واحداً على كلا الطائفتين فأستغربت ، وكنت أعلم ان في اللغة لفظين للمعنيين كسائر اللغات . لكنهم لما رأوا استغرابي اعتذروا : بأن نسيان اللغة موجبة عدم

الارتباط بين هذه الطبقات البعيدة ! وهل يحتاج المرء الى ازيد من أبـويه وإخوانه . . أما الأباعد فهم كسائر الناس ، ان جمعهم مادة أو صداقة أو ما اليهما فهو وإلا فأيما حاجة الى إطلاق خاص عليهم ! »

ومن هذه القصة ـ على بساطتها ـ تتجلىٰ حقيقة هامـة ، وهي ان الاسلام له اليد الطولىٰ في بناء المجتمع الصحيح ، فكما ان الدار لا تبنى إلا باستمساك بعض اجزائها مع بعض استمساكاً متيناً ، كـذلك المجتمـع لا يتشابك تشابكاً صحيحاً يشوبه العطف والحنان والإلفة والتعاون إلا إذا تشابك كل جزء منه تشابكاً وثيقاً بالأجزاء الأُخَر . ولذا ترى الاسلام يقرره ـ بكل مناسبة ـ عطفاً ووداً وإلفة وحقوقاً : من جار أو صديق ، أو شريك أو رحم ـ حتى الى اربعين ظهر ـ أو مصاهرة أو رضاع أو ما اشبه وحيث لا يجد أي ارتباط بجعل ربط الدين كافيـاً في ايجاب الحقـوق : ﴿**انما المؤمنـون اخـوة**﴾[147] وبعد ذلـك : « **والنـاس . . أو شبيـه لـك في الخلق** » .

ولذا ترى السعادة في ظل الاسلام فقط بينما لا تجد في ظل غيره إلا الشقاء والتعاسة[*] .

(*) انظر : دع القلق لديل كارنيجي كي لا تتعجب من هذه الكلمة الجريئة وانظر غيره ممن يتعرضون الى كيفية العيش في البلاد غير الإسلامية .

أمُّــك وأبُــوك

إنّك إنّ حُكِم عليك بالشنق فأنقذك رجل منه فكم تقدره ؟ وألست ترى نفسك رهينة إحسانه ما دمت حياً ؟ .

نعم تراه انت ويراه كل ذي ضمير !

ثم لنا ان نتساءل : ولِمَ هذا التقدير ؟ .

والجواب : إن الرجل المُنقِذ حَفظ الشخص المحكوم عليه بالاعدام فله حق الحياة على المحكوم عليه ، وحيث ان الحياة أجَلّ من جميع النعم فشكر المحسن بها يلزم ان يكون أجزل من جميع أنحاء الشكر. ان معنى انقاذ الحياة : ان المحكوم عليه رهين إحسان المُنقِذ في كل لحظة من لحظات حياته ألا يحق له شكره في كل آن ؟ .

ان هذا المنطق الواضح يدل على مدىً لزوم الإحسان الى الوالدين بمقايسة بسيطة ، وهي ان المُنقِذ من الاعدام لو استحق كل تجلة وإحترام فالأبوان اللذان سبّبا حياة الشخص من أولها الى آخرها يستحقان اضعاف ذلك الاحسان .

أرأيت الفرق الواضح بين من وَهَبَك داراً وبين من انقذ دارك من يد غاصب ؟ .

ان الأول أحق بالشكر من الثاني .

وهذا هو الفرق بين من أعطاك حياة وبين من أنقذ حياتك .

ولذا نرى الاسلام ـ الإسلام العظيم العارف بالحقوق ـ يمنح الوالدين

قسطاً كبيراً من الإحسان والإكرام ، وجوب الطاعة والإتِباع وحتى لو كانا مشركين ! والمُشرك بنظر الاسلام معلوم حاله ـ وحتى لو جاهدا لاشراك الولد فإن الاسلام لا يمنعهما رفده والتوصية بهما : ﴿ **وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً** ﴾(١٤٨) .

هكذا يقول القرآن الكريم .

ويقول :

﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : ربِّ أرحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾(١٤٩) .

ويقول : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً**﴾(١٥٠) .

ويقول . . ويقول .

وفي الأحاديث كثرة هائلة للتوصية بالوالدين وبرهما والحذر من معصيتهما وعقوقهما .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**بِرّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله**)(٨٨٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**من أصبح مُرْضِياً لأبويه ، أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة**)(٨٨٤) .

وانظر الى هذا الحديث ، ومدى اهتمام الإسلام برضا الابوين :

قال الإمام الصادق عليه السلام : « **جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ، مَنْ أبرُ ؟ قال : أمَك . . قال : ثمَّ من ؟ قال : أُمكَ . قال : ثمَّ مَنْ قال : أُمكَ . قال : ثم مَنْ ؟ قال : أباك** »(٨٨٥) . . « **وأتاه رجل آخر ، وقال : اني رجل شاب نشيط ، وأحب الجهاد ، ولي والدة تكره ذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم :**

إرجع ، فكن مع والدتك ، فوالذي بعثني بالحق ، لأُنسها بك ليلة ، خير من جهاد في سبيل الله سنة . . ! »(٨٨٦) .

وهكذا يُقدِر الإسلام الابوين ، ويفضل أُنس الأُم بأبنها ليلة على الجهاد في سبيل الله سنة . . وما هو الجهاد ؟ الجهاد الذي يقول فيه الإسلام ﴿ ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي ﴾

لكن من الخطأ ان يظن الظان ، ان هذه المقايسة بين أُنس الأم والجهاد . . . إنما هي بالنسبة الى الجهاد الواجب العيني ، فإن الواجب العيني لا يسقط بأمر مندوب كأُنس الأم ـ وإنما يُراد بالجهاد الجهاد الكِفائي ! حيث يوجد من فيه الكفاية .

وهل تريد شاهداً لذلك ؟ .

إقرأ قول الله عز وجل :

﴿قل ان كان آباؤكم . . احب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا . . . ﴾(١٥١) .

ويَروي الامام الصادق عليه السلام : « انه جاء رجل الى رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أوصني ! فقال :لا تشرك بالله شيئاً ، وإن حُـرِقت بالنـار ، وعُذِّبت ، إلا وقلبـك مطمئن بـالإيمان ووالديك . . فاطَعهما ، وبرهما ، حيين كانا أو ميتين ، وان امراك ان تخرج من أهلك ومالك فأفعل ، فإن ذلك من الايمان »(٨٨٧) .**

وهنا تنبيه لا بأس بأيراده ، وهو : انه ربما يقال : ان المراد بالخروج من الأهل ، طلاق الزوجة ، لكنه بعيد جداً عن مبادىء الاسلام الحكيمة . . وليس في لفظ الحديث الطلاق ، والا لكان من الممكن ان يقال : وان امراك بطلاق زوجتك . . . إذاً فالمراد من الخروج عن الأهل : الابتعاد عنهم لغاية .

وروى الامام الصادق عليه السلام ، قال : « ان رسول الله صلى الله **عليه و اله وسلم : اتته أخت له من الرضاعة ، فلما نظر اليها سرّ بها ،**

وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ، ثم اقبل يحدثها ويضحك في وجهها ! ثم قامت فذهبت فجاء اخوها ، فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل : يا رسول الله ، صنعت باخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟؟! فقال : لأنها كانت أبر بوالديها منه)(٨٨٨).

ان الجار يستحق من الاحترام ما لا يستحقه غير العباد . . وهو منطقي في نفسه ، بالأضافة الى إنه ملائم مع طبيعة الاسلام ، فإن فاعل المعروف لو رأى من المجتمع الإحسان ، وفاعل المنكر الإهانة ، كان ذلك مُحفِزاً على فعل الخير ، والإقلاع عن الشر أكثر فأكثر !

وقيل للامام الصادق عليه السلام : **« أيّ الأعمال أفضل ؟ قال عليه السلام : الصلاة لوقتها ، وبر الوالدين ، والجهاد في سبيل الله »(٨٨٩) .**

وقال له رجل : **« ان أبي قد كبر جداً وضَعُف ، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة ؟ .**

فقال : « ان استطعت ان تلي ذلك منه ، فافعل ، ولقمه بيدك فإنه جنة لك غداً »(٨٩٠)

وهل يخص الاسلام بر الوالدين بما اذا كانا مسلمين مؤمنين ؟

كلا ! ان الابوين تحملا ما تحملا ! فليبرهما ، سواء كانا عارفين أم ناكرين .

قال رجل للامام الصادق : **« ان لي أبوين مخالفين ؟ فقال عليه السلام : « برهما كما تبرّ المسلمين ممن يتولانا »(٨٩١) .**

وقال رجل للامام الرضا عليه السلام : **« أأدعو لوالديّ اذا كانا لا يعرفان الحق ؟ قال عليه السلام : « أدعُ لهما وتصدّق عنهما ، وان كانا حيين لا يعرفان الحق ، فدارِهما . فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : ان الله بعثني بالرحمة لا بالعِقوق »(٨٩٢) .**

والإسلام الذي يعتقد بالدار الآخرة ، مثل ما يعتقد بالدار الدنيا يرى

بر الوالدين بعد مماتهما ، مثل ما يرى برهما في حياتهما .

قال عليه السلام : « ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه حيين وميتين ويصلي عنهما ويتصدّق عنهما ، ويحِج عنهما ، ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما ، وله مثل ذلك ، فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيراً كثيراً ؟ ! »(٨٩٣).

ثم الدنيا دار مكافأة ، فمن عمل عملاً خيراً وشراً ، عُمِل به مثله - غالباً- فمن أحسن الى ابويه وبرهما ، أحسن اليه أولاده وبروه ، ومن عقهما وأساء اليهما ، تلقىٰ الكيل بالكيل ، والصاع بالصاع . . وهذا ما يمكن للانسان الفحص عنه : فأسأل الآباء ؟ فمن قال - صادقاً - انه بر بوالديه رأيت أولاده يبرونه . . والعكس بالعكس .

أليس من الجدير بالانسان - والحال هذه - ان يَبرُ بالوالدين رجاء ثواب الأجِل والعاجِل ؟

هذا لمن لا يحفزه ضميره على مقابلة إحسان الوالدين بالإحسان أما من له ضمير نقي ووجدان صحيح فالثواب شيء اضافي حتى انه لو لم يكن لزم عليه الإحسان كفاءً لما أسدى الابوان اليه من معروف وأتعاب .

* * *

اما العقوق فهو بنظر الاسلام من اكبر الجرائم ! وكيف لا يكون كذلك والحال انه مقابلة الإحسان بالإساءة ؟ فعقابه ضعف . انه لم يشكر النعم . . ثم قابلها بالكفران . . ان الاسلام لا يرضىٰ بعدم الشكر فكيف يرضى بالكفران ؟ .

وقد نهىٰ الإسلام عن أقلّ مراتب العقوق وهو كلمة أُفٍّ فحرم ان يقابل الأبوين بهذه الكلمة .

﴿ وقضىٰ ربك : ان لا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين احساناً اما يبلغن

عندك الكِبَر ، احدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهَرهما وقُل لهما قولاً كريماً﴾(١٥٢) .

وفي التخصيص بحال الكِبَر ، مع ان العقوق محرم إطلاقاً ، بيان نكتة ، وهي ان الكبير لانحراف خلقه ـ كثيراً ما يتطلب فوق حقوقه ويتخاشن بغير حق ، فما أجدره بالنَّهر ، وبالكلمة النابية التي يوقفه عند حده !

لكن الاسلام لا يرضىٰ بذلك بل :

﴿ قل لهما قولاً كريماً﴾ لا هذا فحسب . بل : إجرِ معهما مجرىٰ المتواضع المتطلب ، كما كنت أبان صِغَرك ونشاطهما **﴿ وأخفضَ لهما جناح الذل من الرحمة !﴾**(١٥٣) .

أما الأحاديث في باب العقوق فكثيرة كثرة هائلة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(كن باراً واقصِر على الجنة ، وان كنت عاقاً فأقصر على النار)**(٨٩٤) .

ويروي الامام الباقر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : **(إيّاكم وعقوق الوالدين ! فإنّ ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زانٍ ، ولا جار أزاره خيلاءاً إنما الكبرياء لله رب العالمين)**(٨٩٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من أصبح مُسخْطاً أبويه ، أصبح له بابان مفتوحان الى النار)** .

وقال الباقر عليه السلام : **« إنّ أبي (يعني الامام زين العابدين عليه السلام) نظر الى رجل ومعه ابنه يمشي ، والابن مُتكيء على ذراع الأب . ! فما كلمه أبي مقتاً له ، حتى فارق الدنيا »**(٨٩٦) .

ولا بد ان نحمل هذا الحديث على ان الابن كان مُصراً على هذه الرذيلة وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له . . وعلى أيٍّ : فدلالة هذا

الخبر على جُرْم العقوق ، كبيرة جداً فالإتكاء على ذراع الاب مقت يستحق المقاطعة من الإمام الذي هو معدن اللطف والاحسان فكيف بسائر اقسام العقوق ؟ .

ومن الناس من يزعم : ان العقوق يحتاج الى لفظ كأنْ يقول الاب : أنت عاق ! ولكنه ظن خطأ فإنما العُقوق كل ما يؤذي الابوين وان تحملاه برحابة !

واسمع الى هذا الحديث :

قال الامام الصادق عليه السلام : « **من نظر الى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له !! لم يقبل الله له صلاة**»(٨٩٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنفاً واحداً فقيل له : من هم ؟ قال عليه السلام : العاق لوالديه**)(٨٩٨) .

ورُويَ : « ان أول ما كتب الله في اللَّوح المحفوظ إني أنا الله لا إلهٰ إلا أنا ، من رَضي عنه والداه فأنا عنه راضٍ ، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**كل المسلمين يروني يوم القيامة إلا عاق الوالدين وشارب الخمر ومن سمع إسمي ولم يصلِ عليّ**)(٨٩٩) .

والظاهر أنه يُراد بعدم الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم تركها تعنتاً وكبرياءً ، فإن الصلاة مندوبة عند المشهور من الفقهاء .

وقال الامام الصادق عليه السلام : (**لو علم الله شيئاً هو أدنى من أفّ لنهي عنه وهو أدنى العقوق ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحدُّ النظر اليهما** »(٩٠٠) .

وسُئل الامام الكاظم عليه السلام : « **عن الرجل يقول لإبنه أو ابنته بأبي أنت وأميّ أو بأبويَّ أترى بذلك بأساً ؟ فقال : « ان كان أبواه حيّين فأرى ذلك عقوقاً وإنّ كانا قد ماتا فلا بأس** »(٩٠١) .

وفي حديث قدسي :

(**بعزتي وجلالي وإرتفاع مكاني : لو ان العاق لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعاً لم أقبلها منه**)(٩٠٢) .

وهذا الحديث ربما يثير الدهشة ابتداءاً ، لكن في القرآن الكريم ما يدل عليه ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾(١٥٤) وهل العاق مُتقٍ ؟ كلا ! اذا لا يقبل الله منه ، ولو بلغت ضخامة عمله كل مبلغ .

وبعد هذا لنا أن نتساءل : كم من الأولاد يبرون آباءهم في هذا العصر ؟ .

والجواب : واحد من مائة . . ولِمَ ؟ لأن مناهج الغرب تبعث على العقوق ، ان البر من الفضائل الروحية والغرب لا يؤمن ـ عملياً ـ إلا بالمادة فكيف يعمل بما للروح من مُثُل وفضائل ؟ وهذا هو سِرّ نضوب الاخلاق ـ بتمام معنى الكلمة ـ عن قاموس الغرب والمستغربين .

حقوق الجـــار

وهل للجار من حق ؟ .

نعم . يرى الاسلام للجار أعظم الحقوق .

قال الامام امير المؤمنين عليـه السلام : « ان رسـول الله كتب بين المهاجرين والانصار ومن لَحق بهم من أهل يثرب : ان الجار كالنفس غير مُضارٍ ولا إثم ، وحِرّمة الجارِ على الجار كحرمة أُمه »(٩٠٣) .

فهل فوق هذا من حق ؟ ان الجار مرة كالنفس ومرة كالأُم ، وهل هناك أعظم حقاً من النفس والأُم ؟ كلا ! وهكذا يريد الاسلام :

انه يريد تقوية الروابط بين الافراد والأمم والشعوب .

فللوالدين الحق . .

وللأرحام الحق . . .

وللجيران الحق . . .

وللمعلم الحق . . .

وللفقير والمريض والقادم و . . . الحق .

ثم : المسلمون تتكافأ دماؤهم ثم : الناس نظير لك في الخَلْق

وهل رأيت مثل الاسلام منهجاً ؟ كلا ! لم يره احد ولن يراه احد الى يوم يبُعثون !!

انظر الى هذه الآية :

﴿ وأعبدوا الله ولا تُشْركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القُربىٰ واليتامىٰ والمساكين والجار ذي القُربىٰ والجار الجُنُب ، والصاحب الجنب ﴾(١٥٥) .

﴿ وأبن السبيل ، وما مَلَكت أيمانُكم إنّ الله لا يحب من كان مُختالاً فخوراً ﴾(١٥٦) .

والاصناف الثلاثة من الجيران ، تَشْمل جميع صنوف مَنْ بجوار الانسان قريباً أم بعيداً شريكاً أم مُصاحِباً في سفر أم جاراً في مهنة ، أم ما يشبه ذلك .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (الجيران ثلاثة :

فمنهم من له ثلاثة حقوق : حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق القرابة .

ومنهم من له حقان : حق الإسلام ، وحق الجوار .

ومنهم من له حق واحد : الكافر له حق الجوار)(٩٠٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً)(٩٠٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره)(٩٠٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا ايمان لمن لم يؤمن جاره بوائقه)(٩٠٧) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جائع »(٩٠٨) .

وقيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق وتؤذي جارها بلسانها ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا خير

فيها هي من أهل النار)(٩٠٩) وربما يتعجب بعض من لا خبرة له من امثال هذه الاحاديث ، فكيف تكون من أهل النار امرأة لا ذنب لها إلا أنها تَلوك جيرانها بلسانها ؟ .

لكن الأمور كَونِيها وشرعيها كذلك . أرأيت طائرة تطير بدون كمال اجهزتها أو رأيت من يُحبس لأجل مخالفة بسيطة مع أنه ممتثل لسائر القوانين ؟ .

وهكذا الإسلام انه كلٌ لا يتبعض ، فصلاته وصِيامه ، وصِدقه وأمانته ، وزكاته وصلاتَه وحُسْن خُلْقه وفضيلته كلها مرتبطة بعضها ببعض ولا يغني بعضها دون بعض .

وحسن الجوار في نظر الاسلام ليس سلبياً فقط كما يزعم الزاعمون بل له جانبان :

إيجابي : وهو ان يتفقد الإنسان الجيران بالخير والمعروف والعون والزيارة .

وسلبي : وهو ان يكفّ أذاه ـ بما في الكلمة من سعة وشمول ـ عنهم حتى انه لو سبب ترفيع داره نقصاً في الهواء والضياء الداخلة على الجار لم يفعله .

العيـــوب

ما اجود قول الشاعر :

(لسانك لا تبدي بها سوءة إمرىء فكلك ســوءات وللنــاس ألسـنُ)
وعَينُـك إن أهـدت اليـك معـايبَ من الناس قُلْ : يا عَينْ للناس أعينُ)

فكم منا ـ ترى ـ خالياً من العيوب ؟ .

لا أحد اطلاقاً !

إذاً : فما هذا الهَمْز ، واللّمز ، وكشف عيوب الناس وإبانة مواضع النقص فيهم ؟ .

وهل أنت خالٍ من العَيْب حتى تكشف عن عِيوب الناس ؟ .

أو هل تراك تُظهر عيوب الناس ، ثم يسكُت عن عيوبك الناس ؟ .

لا ذا .. ولا ذاك ..

وإنما من أظهر للناس عيباً أظهروا له ألف عيب !!

فمن الخير لنفسك : ان تسكت عن العيوب إطلاقاً .

ثم : ما الفائدة في إبدائك لعيوبهم ؟ فإن أردت إصلاحاً فليس من طريقة النقد بصورة سافرة انظر الى هذه الآية الكريمة : ﴿ **أنا وإياكم لعلىٰ هدىً أو في ضلال مبين**﴾ (١٥٧) .

نعم انما يفيد إصرار المرتكب وعداؤه لك وإبداء عيوبك على الملأ وكثيراً ما أضاف الى عيوبك عيوباً مكذوبة .

ولذا نرى الاسلام العظيم يُحرِم طلب العَورات وإبدائها ويوجب ستر العيوب وكتمانها .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من ستر على مسلم ، ستره الله في الدنيا والآخرة) (٩١٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يُستر عبد عيب عبد إلا ستره الله يوم القيامة)(٩١١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يرى إمرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه ، إلا دخل الجنة)(٩١٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ومن عيّر مؤمناً بشيء لا يموت حتى يركبه)(٩١٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (كل أمتي معافىً إلا المُجاهرين)(٩١٤) .

يريد صلى الله عليه وآله وسلم بذلك : إنه لا يحق لأحد أن يَفشي عيب احد ، إلا اذا كان المرتكب مُجاهراً ، فإنه لا حرمة له .

ولا يقنع الإسلام بهذا الحد ، بل يريد ان لا يكشف سر احد وان لم يكن إثماً اذ لعلّ له مأرباً ولذا أخفاه .

اسمع الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : يقول : (من استمع خبر قوم وهم له كارهون ،صبت في أذنيه آلانك يوم القيامة)(٩١٥) والآنك : السرب .

وقال الامام الباقر عليه السلام : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر من اسلم بلسانه ، ولم يُسلِم بقلبه ، لا تتبعوا عثرات المسلمين فإنه من يتتبع عثرات المسلمين ، يتتبع الله عثراته ، ومن تتبع الله عثراته يفضحه »(٩١٦) .

وقال عليه السلام : « إن أقرب ما يكون العبد الى الكفر ، أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين ، فيحصي عليه عثراته ليعنّفه زلاته بها يوماً ما »(٩١٧) .

وقال عليه السلام : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنّ أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يُعمىٰ عنه ، وأن يُعيّر الناس بما لا يستطيع تركه وان يؤذي جليسه بما لا يعنيه »(٩١٨) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « من أنّب مؤمناً ، أنبّه الله عز وجل في الدنيا والآخرة »(٩١٩) .

والعيوب التي يجب سترها شاملة للعيوب الخلقيّة : كالعَنَنَ . . والخُلُقية : كالجُبن . والعادية : كالقذارة . والشرعيّة : ككون الرجل لاعباً للقمار .

أما العيوب الظاهرة ، فلا بأس بعدم ستر ما حرّمه الإسلام ، فمن جاهر بشرب الخمر ، لا يَحْرم ان يقال عنه انه شارب . أما سائر العيوب فيحرم لأنه يعتبر ايذاء أو ما أشبه .

* * *

والسر ، لا يحب الإسلام كشفه ، وان لم يكن عيباً . . فللناس مقاصد يريدون كتمانها ، والإسلام يتحفظ على مشاعرهم ، ولذا ينهي عن كشف السر كائناً ما كان .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (اذا حدَّث الرجل الحديث ، ثم التفت فهي أمانة)(٩٢٠)

ومعنى : ثم التفت ، انه نظر ، ليرى عدم وجود أجنبي . . والأمانة يُراد بها ، هنا ، حِرمة إفشائه ، كما يحرم خيانة الأمانة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الحديث بينكم أمانة)(٩٢١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (طوبىٰ لعبد نُؤَمة ، عرفه الله ، ولم يعرفه الناس ، أولئك مصابيح الهُدى ، وينابيع العلم ، تتجلى عنهم كل فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذر ، ولا الجفاة المرايين) (٩٢٢) .

النُؤْمة ، بالضم والسكون : الذي لا يؤديه له .

ولماذا يحبذ الاسلام هذه الخصلة . . أليست شرائع الدين تؤكد على الاختلاط والائتلاف ؟ .

نعم . . انه كذلك . . ولكن لامنافاة ، ففي حثّ الاسلام على هذه الصفة كبح لجماح نفوس تريد عُلواً في الأرض وفساداً ، إنّ لهذا الحديث وأشباهه سياط لنفس حتى لا تجمح ، ثم يأتي بعد ذلك دور التعديل . . أرأيت الحديد يُحمىٰ بالنار ، ثم يصنع منه ما يراد ؟ .

ثم . . ان من الناس خاملين فينسيهم الاسلام بهذا الحديث حتى لا تذهب نفوسهم على خمولهم حسرات . وحتى لا يطلبوا نباهة بكل إثم وباطل . . أليس الإسلام مدح الخمول ؟ .

وليس معنى الحديث أن يطلب الانسان الخمول - كما يزعم - فإن الإسلام لا يطلب من الناس إلا الألفة والوداد وإلتفاف الأخوان والمعارف ، والعمل والجد في معترك الحياة ، وفي القرآن الكريم حكاية دعاء الصالحين : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً﴾[١٥٨] .

بل هو بيان لفضيلة طبيعة هذه الصفة .

نقول : وكيف ؟ .

أقول : أرأيت كم مدح الإسلام المرض . . فهل معنى ذلك أن يطلبه الانسان ؟ كلا ، بل معناه فضيلة طبيعة المرض ، وان كانت الصحة في نظر الاسلام من جلائل نعم الله تعالى .

وفي سورة النور ، جعل الله تعالى قصة الأفك ، الذي دعي به زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. خيراً للمسلمين : « لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم ، » فهل معنى ذلك : ان الافك امر حسن ؟ كلا ؟ والف كلا ؟ بل معناه : ان هذا الأمر الواقع يعود بالنفع على المسلمين بما ينطوي عليه من تميز المنافق من المؤمن ، ولما فيه من المشوبة الأجلة ... وغير ذلك .

ومثل الحديث المتقدم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مقالة الامام امير المؤمنين عليه السلام .

قال عليه السلام : « طوبىٰ لعبد نُوَمة ، لا يؤبه له ، يعرف الناس ، ولا يعرفه الناس ، ليعرفه الله منه برضوان ، اولئك مصابيح الهدى ، تتجلى عنهم كل فتنة ، ويفتح لهم باب كل رحمة ، ليسوا بالبذر المذابيع ولا الجفات المرائين »(٩٢٤) .

وقال عليه السلام ، في مدح الكِتْمان :

»قولوا الخير تُعرَفوا به ، واعملوا الخير تكونوا من اهله ، ولا تكونوا عَجلىٰ مذاييع ، فإن خياركم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله ، وشراركم المشّاؤون بالنميمة ، المُفرِقون بين الأحبة ، المتُبعون للبرّاء المعايب »(٩٢٥) .

* * *

النَــــمَّام

ومَنْ هو النّمام ؟ .

انه رجل مُنفرَد ، خبيث ، يرتعد المجتمع من ظله .. انه الذي يحكي كلام هذا لذاك ، ليلقي الفتنة بينهم .. فاذا رآك ، قال : تكلم فلان فيك بالسوء .. واذا رأى صديقك ، قال : تكلمت انت فيه بالسوء ، وهلمّ جرا .

انه كالحنظل ، يفسد صداقة حلوة ، ويُلقي الفِتن بين الأحبة من حيث يشعر أو لا يشعر .. وربما كان النّمام لاشعورياً ، بل ربما يكون ناصحاً ـ بنظر نفسه ـ لكنه يفسد بالنتيجة .

ثم .. لنأتي نحاسب النمام على مقالته : لِمَ يُنمّ ؟

إلّا أنه يريد تحطيم المنقول عنه ؟ فـما أجدَر بـك ان لا تسمع الى كلامه .

ام لأنه يريد الفِرْقة بينك وبين صديقك ؟ فالمفرق يجتنب ، لا انه يقترب .

أم لأنه ناصح لك في ان تتجافىٰ عن المنقول عنـه ؟ وهل النـاصح يُفرّق ، أم يَجمع ؟ .

إنه أضر من الدابة التي تحمل النفايات ، ثم تلقيها عليك ، فإن الماء يَغْسل مواضع اللطخ من الجسم أما القلوب اذا تنافرت ، فلا يغسلها ألف ماء وماء .

ولذا ترى الاسلام يحذر من النمّام ، ويحرم النميمة بكل شدة

فأنظر الى الشدة التي انطوت عليها هذه الآية الكريمة :

﴿ همّاز مشّاء بنميم منّاع للخير معتدٍ أثيم ، عتل بعد ذلك ، رنيم ﴾(١٥٩) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يدخل الجنة قتّات)(٩٢٦) وهو النمّام .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يدخل الجنة نمّام)(٩٢٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق ، شانه الله في النار يوم القيامة)(٩٢٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (احبكم الى الله : احسنكم أخلاقاً ، المُوطئون كنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وأن أبغضكم الى الله : المشّاؤون بالنميمة ، المُفرقون بين الأحبة ، الملّتمسون للبراء العثرات)(٩٢٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا أخبركم بشراركم ؟

قالوا : بلى ، يا رسول الله . .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : المشّاؤون بالنميمة ، المفرِّقون بين الأحبة ، الباغون للبراء العيب)(٩٣٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أيما رجل أشاع على رجل كلمة ، وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله : ان يدينه بها يوم القيامة في النار)(٩٣١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله لما خلق الجنة ، قال لها : تكلمي قالت : سَعِد من دخلني . . . قال الجبّار جلّ جلاله ، وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس :

لا يسكنك مدمن خمر ، ولا مُصّر على الزنا ، ولا قتّات (وهو النمام) ولا دَيوث ، ولا شرطي ، ولا مُخنّث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذي يقول :

عليّ عهد الله ان افعل كذا وكذا . . . ثم لم يفِ به)(٩٣٢) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « الجنة محرمة على المغتابين والمشّائين بالنميمة »(٩٣٣) .

وانظر الى هذا الحديث ، وكم ترى حظه من المجتمعات ، اليوم .

قال عليه السلام : « ويُحشَر العبد يوم القيامة ، وما ندا دماً (أي ما سفك دماً) فيدفع اليه شبه المحجمة ، أو فوق ذلك ، فيقال لـه : هذا سهمك من دم فلان . . فيقول : يا ربِّ ، انك لتعلم انك قبضتني وما سفكت دماً ، فيقول : بلى ، سمعت من فلان رواية كذا وكذا ، فرويتها عليه ، فنقلت حتى صارت الى فلان الجبار ، فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه »(٩٣٤) .

ان المسلمين مذ حين وقعوا في مخالب الغرب ، وضاعت قيم الإسلام عندهم ، وصاروا من مصاديق هذه الآية الكريمة : ﴿ قل : هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم ، أو يُلبسكم شِيعاً ، ويذيقَ بعضكم بأسَ بعض . . !﴾(١٦٠) .

تراهم . . شِيعاً واحـزاباً ، وأعـداءاً ومناوئـين ، يهجم بعضهم على بعض ، ويسعى بعضهم على بعض ، فشاعت فيهم الجواسيس من انفسهم ، وكثرت فيهم السعاية والنميمة . . وكثيرِ من السجون يرتادها أناس سُعيَ بهم ، كما أن بعض المقتولين بأيادي السلطات ، انما وُشيَ بهم .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (الساعي بالناس الى الناس لغير رَشده)(٩٣٥) أي ليس بولد حلال .

ثم بعد ذلك . . هل صَلُحت دنياهم ؟ .

كلا ! بل بـالعكس : امتلأت السجـون ، وظهرت الفـرقة والعـداء وطاردت السلطات الشعوب ، وقلّت الشعوب السلطات ، وبالنتيجة قامت ثورات وانتفاضات ، اطاحت بحكومات ، وأراقت دماء وتربصت بما بقي

منها الدوائر . . .

ان الدنيا بغير الاسلام لا تصلح ، والشعوب في غير ظل الاسلام لا تستريح ، والسلطات بغير مناهج الاسلام لا تتمكن من ترفيه العيش لنفسها ولسائر أممها ، حتى ترى وترى . . . حتى يأذن الله بقيام الاسلام على ساقٍ من ـ جديد ـ

« اللهم انا نرغب اليك ، في دولة كريمة تَعز بها الإسلام وأهله ، وتذِل بها النِفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك ، والقادة الى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة » : (من دعاء الافتتاح)

وقال الامام الصادق عليه السلام : **« من روى رواية على مؤمن ، يريد بها شينه وهدم مرءوته، ليسقط من أعين الناس ، أخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان ، ولا يقبله الشيطان !! »(٩٣٦) .**

وروى ابن الفضل ، عن الامام الكاظم عليه السلام ، انه قال له :

« جُعِلت فداك ، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكرهه ! فأسأله عنه ؟ فينكر ذلك ؟ وقد اخبرني عنه قوم ثقات ، فقال عليه السلام : يا محمد ، كذِّب سمعك وبصرك عن اخيك ، فإن شهد عندك خمسون قسامة . فقال لك قولاً ، فصدِّقه وكذِّبهم ! ولا تذيعهّن عليه شيئاً تشينه به ، وتهدم مروءته ، فتكون من الذين قال الله : ﴿ ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة . في الذين آمنوا ، لهم عذاب اليم ﴾(١٦١) »(٩٣٧) .

المراد بخمسين قُسامة : خمسون رجلاً يشهدون على شيء ، ثم يحلف كل واحد منهم على طبق شهادته ، هذا ان كانت القسامة . في لفظ الحديث ـ بدلاً عن الخمسين . . اما ان كان بالاضافة فهي الفان وخمسمائة رجل يشهدون ويحلفون !! ان القسامة خمسون ، فخمسون قسامة : الفان وخمسمائة .

فيكون من سفه الكلام ، حتى ان هذا العدد الضخم ، لا يعتني

بقوله ، قبال قول المشهود عليه .

وكيف يمكن ذلك ؟ !

ألم يعتبر الاسلام شاهدين لأثبات الحقوق ـ غالباً ـ ؟

والجواب :

ان هناك مقامين :

١ـ مقام الشهادة ، وفيها يعتبر شاهدان ، كما ذكر .

٢ ـ مقام ترتيب الآثار على اقوال الناس ، في غير مقام الشهادة والحقوق . . فمثلاً : لو قيل لك : فلان كاذب . . أو يغش . . أو أكل اموال الناس بالباطل ، فلا يعتني بأقوال هؤلاء إلا في مقام الشهادة الحقوق ، فالصفاء الاسلامي لا يكدره أقوال عابرة ، وان تراكمت الى حد القسامة .

نعم . . المؤمن كيِّس يقدر أُموره ، حتى لا يقع في مهوى أو يسقط في مَغر . . فعليه ان يتحرى في اموره ، فلا يعتمد على من تلوكه الأَلسنة ، بالسوء ، ولا يسلّطه على مال أو عرض أو أمر .

وهذا أمر ثالث غير المقالين السابقين

فاذا سمعت ان فلاناً شارب الخمر . . لا تقطع صلتك عنه ، لاقوال الناس . . . اما انه اذا خطب كريمتك ، فلا تعطِه حتى تتحقق .

كما قال الامام الصادق عليه السلام لـولده إسماعيل ، في القصة المشهورة . . .

وعلاج النمّام ما صنعه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، بمن نمّ اليه :

فقد رُويَ : : « أن رجلاً أتى امير المؤمنين عليه السلام يسعى اليه برجل ،

فقال عليه السلام يا هذا ، نحن نسأل عمْنَ قلت ، فإن كنت صادقاً مَقتناك ، وان كنت كاذباً عاقبناك ، وان شئت ان نقيلك أقلناك .

قال : اقلني يا امير المؤمنين »(٩٣٨) .

والنميمة من الفساد الذي نهىٰ الله عنه ، فقال : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمَر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾(١٦٢) .

الإصَــــلاح

الدنيا ناقصة من يوم كُونَت ، وكذا شاء الله تعالى : شاء لها النقص ، ليمتحن العباد وليبلوهم أيّهم أحسن عملاً .

ناقصة من حيث الاعمار والأثمار ، ناقصة من حيث العمل والحركة ناقصة من حيث الصفات والملكات . . .

ولا تزال موجة من السحب الى الوراء ، تجتاح العالم ، في كل وقت وزمان ، فكل كمال يؤول الى النقص ، وكل كون يؤوب الى الفساد . . ولذا سمي الحكماء الدنيا بـ (عالم الكون والفساد) .

أرأيت كيف ان الهواء و الشمس تجعل النبات الخضرة هشيماً تذروه الرياح ؟ .

أرأيت كيف ان الانسان يجعل له من بعد قوة ضعفاً وشيبة ؟ .

أرأيت كيف ان الغذاء يتحول الى قاذورات ؟.

أرأيت كيف إن الحيوان بعد بهجة الحياة تطرأ عليه وحْشة الموت ؟ .

وهكذا و. . . وهكذا .

والدنيا تحتاج الى الإصلاح في جميع شؤونها :

فعمارة الأرض بالبناء والبساتين وشقّ الأنهار وحَفْر الآبار وتعبيد الطرق وإيجاد وسائل الزراعة والتبليط . . . إصلاحٌ . .

وتعليم الجاهل وتنبيه الغافل وإرشاد الضال وهِداية الزائغ ، إصلاحٌ .

ونَشْر الفضيلة و اجتثاث جذور الرذيلة وبثَ الخُلُق الحسن إصلاحٌ .

وتنظيم الأمور وإقامة الدولة الصالحة وتعديل المِعْوُج من القوانين . . . إصلاح .

وجمع كلمة النـاس وتوحيـد الأهواء نحـو الحق وتنظيم الصفـوف . إصلاحٌ .

وكفاح الجَهْل والفُقْر والمرض والإلحاد حتى يسود العلم والغِنىٰ والصحة والايمان . . . إصلاحٌ . .

و . و . و . إصلاحٌ .

وقد أكّد الاسلام على الأصلاح بكل انحائه ولكل نحو من انحـاء الاصلاح باب خاص في الشريعة الاسلامية :

يقول القرآن الحكيم : **﴿ولا تُفسدوا في الأَرض بعد إصْلاحها﴾**[١٦٣] .

ويقول : **﴿فإتقوا الله وأصلحوا ذات بَيْنكم﴾**[١٦٤] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**افضل الصدقة صلاح ذات البَيْن**)(٩٣٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**اتقوا الله وأصلحوا ذات بَيْنكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة**)(٩٤٠) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **صَدَقَة يحبها الله تعالى : إصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا** »(٩٤١) .

وفوق ذلك :

ان الإسلام يحرص على الإصلاح وان أدّى ذلك الى الكذب .

الى الكَذِّب ؟ .

نعم . . الى الكذب ، ولكن بَقَدر .

أرأيت لو كان بين قبيلتين خِصام لو لم تكذب كذبة أدّى الى قتال وإهراق دماء ألم يكن الأفضل ان تُفْدِي الدماء و الاعراض بكذبة مصلحة ؟ .

قال الامام الصادق عليه السلام لأبن عمّار : « **أبْلغ عني : كذا وكذا (في أشياء أمر بها)** .

قال ابن عمار : فأبلغهم عنك ، واقول عني ما قلت لي وغير الذي قلت ؟ .

قال : نعم إن المُصلِح ليس بكذّاب»(٩٤٢) .

كما ان الاسلام يؤكد على الإصلاح ولو لم يتم إلا بصرف مال من اموال الإمام عليه السلام .

قال الامام الصادق عليه السلام للمفضل : « **اذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فأفتدها من مالي** »(٩٤٣) .

الشّمـــاتَة

من الناس من يتربص بأخيه الدوائر حتى اذا وقع فيها أظهر الفرح والسرور وسلقَه بألسِنة حِداد .

و لماذا ؟ لأنه أساء اليه ـ إساءة حقيقية أو خيالية ـ أو لأنه لم يتبع نظره في حركة أو عمل .

وهل الشامت لم يسىء الى أحد ؟ أو هل هو تتبع نظرِ الناس في حركاته واعماله ؟ ثم هل يأمن من طوارق الدهر وحوادث الأيام فتُدار كأس الشماتة عليه ؟ .

كلا . . لا ذا ولا ذاك ولا ذلك وإنما هو مغرور .

والإسلام يبشره بأن الدائرة عليه ان سَمِت بأخيه والتجربة تدل على مدى صدق هذه الأخبار وكل أخبار الاسلام صادقة .

قال الامام الصادق عليه السلام : **« لا تبدي الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويُحلها بك »(٩٤٤)** .

وقال عليه السلام : **« من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفُتّتن »(٩٤٥)** .

« وقل للشامتين بنا : رويــداً سيلقى الشامتــون كمــا رأينا »

ثم . . لنأخذ انه فرح واظهر ورقص وعَرْبَد . فماذا ؟ .

انه يدل على خفة نفسه ، وقلة عقله ، وضآلة عاطفته واخيراً : على عدم انسانيته فالانسان يألم لالم الانسان لا إنه يفرح .

وكذلك الصفات الرذيلة كلها تدل على ضآلة نفسية المتصف وضحالة روحه ،! قبل ان تدل على شيء آخر .

أرأيت الجُبْن والبخل والحسد ؟ أليست تدل على نقص المتصف قبل أن يضر الفقير والمحسود ، وقبل ان يفت الجبان في عضد من ينصره .

وهكذا الشماتة تضر الشامت قبل ان تؤذي المشموت به .

المُجَـــادَلَـــة

الجِدال ، هو ان تريد التغلب في الكلام على طرف الحديث ، فتقول وتقول لإثبَات ما أرتأيته حقاً كان أم باطلاً ـ في قرارة نفسك ـ

وما يبغي المجادل من جداله ؟ .

انه يريد أولاً وآخراً ـ إنتصار نفسه . . أما أنه يريد إظهار الحق ودحض الباطل فلا تجد له في عشرة آلاف مجادل شخصاً واحداً .

والدليل على ذلك : إنك إنْ راجعت ما سبق لك من مجادلات تيقنت ان العامل الظاهر ـ والخفي ـ كان حب الغلبة فحسب .

وعلى أيٍّ . . فما نفع المجادلة ؟ .

هل تزعم بأن طرفك يعترف بانك على حق ؟ .

نعم تزعم انت ذلك ـ إذا كنت نياً غير ناضج ـ أما الخبراء بعلم النفس فلا يشكون بأن الجدال لا يفيد المخالف إلا إصراراً ، وربما امكن اقناعه بالحق لولا الجدال اما مع الجدال فلا يقتنع وان رأى الحق رُؤيَ العين .

أو هل تزعم انه يعترف بقدرتكَ على الكلام ؟

نعم . . تزعم ذلك ان كنت قليل الحظ من الإدراك .

فأعلم . . إنه لا يقوم من عندك إلا وأنه يردد في نفسه انك سخيف وان كلامك هرَاء وان منطقك فارغ عن كل ميزان .

أو هل تزعم انه يعترف بعظمتـك وعلمك ؟ .

نعم .. تزعم ذلك ان كنت من البدو الجاهلين ؟!

اما اذا كنت تعرف حقائق النفوس فلا تشك انك بالمجادلة ، تُصِغر نفسك في نظر الطرف وتُبرهِن انك قليل الحظ من الثقافة والاخلاق .

ولذا نرى الاسلام يؤكد على ترك الجدال أشدّ تأكيد انه بنظر الواقع ـ مع عدم جدواه ـ يُهيّج العواطف ويثير العداء والبغضاء وربما جرّ إلى أبشع عاقبة وأوخم فساد .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من جادل في الخصومة بغير علم ، لم يزل في سخط حتى ينزع)**(٩٤٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أن أبغض الرجال الى الله : الألَد الخصم)** .(٩٤٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما أتاني جبرائيل قط إلا وعظني ، فآخر قوله لي إيّاك ومُشارَّة الناس فإنها تكشف العورة وتذهب بالعز)**(٩٤٨) .

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام : **« إياكم والمراء والخصومة ، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق »**(٩٤٩) .

فإن الشخص اذا جرح كبرياء أخيه لم يزل حتى ينقلب عليه عدواً وإن كان أخاه من أبيه وأمه ، وقد قيل ـ لإحد الحكماء ـ هل صديقك أحب اليك ام اخوك ؟ قال : إنما احب أخي لأنه صديقي ! وتجربة واحدة كافية لعرفان مدى المجادلة في تعكير صفو الأخوان .

وهل تعلم مدى كلمة (الآن أبينّ لك) في تجريح العاطفة مع بساطتها جداً وأنها أقلّ كلمة تقال عند الجدال ؟ ان معناها : (إنك أيّها المخاطب لا تعلم واني اعلم ولي القدرة على بيان ما قلت وتبين بعد ذلك انك كنت على خطأ وأنا على صواب) .

وهل ترضى انت بأن يقول لك المخاطب هذه المقالة ؟ كلا ! فأعلم ان المخاطب مثلك لا يرضى !!

وقال الامام زين العابدين عليه السلام : « ويلُ أمةٍ فاسقاً من لا يزال مُمارياً وويل أُمّةٍ فاجراً من لا يزال مخاصماً ، وويل أُمة آثماً من كثر كلامه في غير ذات الله »(٩٥٠) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « لا تمارينّ حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك »(٩٥١) .

وقال عليه السلام : « إيَاكم والمشارَّة فإنها تُورِث المعرة وتظهر المعورة »(٩٥٢) .

وقال عليه السلام : « إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن »(٩٥٣) .

لكن الانسان هل يقلع ؟ .

كلا ! إن حبه للظهور ورغبته في إظهار علمه يمنعانه من تَرْك الجدال وكثيراً ما يقول : انه لإظهار الحق !

فليسمع الى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(ثلاث من لَقي الله تعالى بهِّن دخل الجنة من أي باب شاء :

١) من حسن خلقه .

٢) وخشي الله في المغيب والمحضر .

٣) وترك المرّاء وان كان محقاً)(٩٥٤) .

فهل سمعت ؟ لكن حب الظهور مانع عن العمل بهذا الحديث . . وكيف نتمكن من قلع جذور حب الظهور ؟ بالمجاهدة الطويلة فإن الانسان يحب ان يعرف نفسه بقلم أو لسان أو جاه أو جمال ، أو . . فليجاهد طويلاً ! جِهاراً أهون منه الجهاد مع الأعداء بالسيف والرمح حتى يموت حب الظهور .

وبعد ذلك . فليطب الانسان الكلام فإنه مجلبة للحب وسبب للألفة ولذا اكّد الاسلام عليه غاية التأكيد حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(يمكّنكم من الجنة : طِيْب الكلام وإطعام الطعام)(٩٥٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان في الجنة غرفاً يُرىٰ ظاهرها من باطنها وباطنها ظاهرها ، أعدّها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام)(٩٥٦) .

وقال صلى الله عليه وماله وسلم : (الكلمة الطيبة صدقة)(٩٥٧) .

ويروى عن المسيح العظيم عليه السلام : « انه مرّ به خنزير فقال : مر بسلامة فقيل له : يا روح الله تقول هذا للخنزير ؟ فقال : أكره ان أعوِّد لساني الشر »(٩٥٨) .

وكم في المجتمع ـ اليوم ـ من يطيب الكلام ويطعم الطعام ؟ .

قليل . . وقليل جداً . وكذا ترى الضغائن والاحقاد والعداوات والمهاترات .

الـظَـرافَـة

ينقص الانسان - مهما كان مرحاً - لطوارىء خارجية ، أو نفسية وتنشيط النفس انما يكون بعوامل مبسطة ، كالسياحة ، والنظر الى الخضرة ، والاستماع الى صوت محبوب . أو ما أشبه .! ومن العوامل المؤثرة : الظرافة والمطايبة . . ولكن بقدر .

انه ان كان مزاحاً ، خالياً عن الكذب ، فهو ممدوح غايته .

وان كان مزاحاً يخالف الواقع ، فإنه وان لم يكن له إثّم الكذب لكنه مذموم في نظر الإسلام .

اما اذا خرج عن حدِّه ، فهو سخرية وإستهزاء ، وقدح حرمه الإسلام ، ووعد عليه عذاباً شديداً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إني لامزح ، ولا أقول إلا حقاً)(٩٥٩) .

ويُروىٰ : انه ، قيل للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (يا رسول الله ، انك تداعبنا ؟ فقال : (اني وان داعبتكم فلا أقول إلا حقاً)(٩٦٠) .

ورُويَ : انه صلى الله عليه وآله وسلم : (كسا - ذات يوم - واحدة من نسائه ، ثوباً واسعاً ؟ وقال لها : « إلبسيه » واحمدي ، وجرى منه ذيلاً كذيل العروس)(٩٦١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تدخل الجنة عجوز ! فبكت عجوز . . . فقال صلى الله عليه وآله وسلم إنك لستِ يومئذٍ بعجوز)(٩٦٢) .

وجاءت اليه إمرأة وقالت : (ان زوجي يدعوك . .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : زوجك هو الذي بعينه بياض ؟ .

قالت : و الله ما بعينه بياض ؟ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بلى ان بعينه بياضاً .

فقالت : لا والله . . .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما من احد إلا بعينه بياض)(٩٦٣) وأراد به البياض المحيط بسواد العين .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذات يوم ـ لصُهيب ، وكان يأكل التمر وبه رَمَد : (اتأكل التمر وأنت أرمد . .

فقال : أنا آكل بالشقِّ الآخر ؟ .

فتبسم : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه)(٩٦٤) .

وجاءته صلى الله عليه وآله وسلم : إمرأة ، وقالت : احملني يا رسول الله على بعير !

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (بل نَحمِلكِ على ابن البعير)

فقالت : ما أصنَع به ، انه لا يحملني . .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (هل من بعير إلا وهو ابن بعير)(٩٦٥) .

ورويَ : (ان خوات بن جبير ، كان جالساً الى نسوة من بني كعب بطريق مكة ، وكان ذلك قبل إسلامه ، فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فقال : مالك مع النسوة ؟ قال : يفتلن ضفيراً لجمل لي

شرود .. فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحاجته ، ثم عاد ، فقال : يا ابا عبد الله ، اما ترك ذلك الجمل الشرّاد بعد ؟ فقال : فسكت واستحيَت ، وكنت بعدَ ذلك استخفي منه حياءاً ، حتى اسلمت ، وقدمت المدينة ، فأطلع عليّ يوماً ، وأنا أصلي في المسجد ، فجلس اليّ فطولْتُ الصلاة ، فقال : لا تطول ، فإني بانتظارك ، فلما فرغت .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابا عبد الله ، اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ .

قلت : والذي بعثك بالحق نبياً ، ما شرد منذ أسلمت .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : الله اكبر .، الله اكبر ، اللهم أهدِ أبا عبد الله ، فحسن إسلامَه ...)(٩٦٦).

وكان نعيمان الأنصاري رجلاً مزاجاً ...

فاذا دخل المدينة شيء نفيس ، من اللِباس والمطاعم ، اشترى منه ، وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ويقول : هذا هدية لك ؟!

فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه ، جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

وقال : يا رسول الله ، أعطِهِ ثمن متاعه .

فيقول له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أو لم تهده لنا ؟ .

فيقول : لم يكن عندي والله ثمنه ، وأحببت أن تأكل منه .

فيبتسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويأمر لصاحبه بثمنه .

* * *

وفي عنوان ذم الإستهزاء تأتي الآية الكريمة :

﴿يا أيها الذين آمنوا ، لا يسخر قومٌ من قومٍ ، عسىٰ أنْ يكونوا خيراً منهم ، ولا نساءٌ من نساءٍ ، عسىٰ أنْ يَكُنّ خيراً منهنّ ﴾(١٦٥) .

ولم يستهزأ الانسان بأخيه . إلا لِخُبْث انطوت عليه نفسه ، فهل هو أفضل منه حتى ينتقصه ؟ . . . أم هل لا ينطوي المستهزىء على نقائص ؟ .

ثم أليست الدنيا دار جزاء ومكافأة ، يومٌ للمُستهزىء ، ويوم عليه ، ولو تصفح الانسان احوال المستهزئين ، لرأى كيف يقليهم الداني والقاصي ، ويكرههم القريب والبعيد . . وبعد ذلك ، ليس من مستهزىء ، إلا وتدور به الفلك ، واذا به دمية كل سهم من سهام الاقدار .

هذا في الدنيا ، أما في الآخرة ، فاستمع الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

(ان المستهزئين بالناس ، يفتح لاحدهم باب من الجنة ، فيقال : هلّم هلّم . . فيجيء بكربه وغمه ، فاذا اتى أغلق دونه ، فما يزال كذلك حتى يفتح له الباب ، فيقال له : هلم هلم . . فما يأتيه)(٩٦٧) .

ثم . . ان بعض النفوس قد انطبعت على الاستهزاء فلا يتمكن من تركه إلا بالمجاهدة ، ومهما جاهد الانسان ، لقلع رذيلة ، وغرس فضيلة ، كان حرّياً وان اوجب ذلك سنين طوالاً .

والانسان لا يعرف ما للفضيلة من قيمة، وللرذيلة من ضِعة ، الا اذا رأى المتحلي بهذين ، قارن بينهما . يقال :

ان رجلين كانا يعاشران المُرْد من الوِلْدان ، وكانا مشغفين بأن يدخل الماء معهم للتمتع بملامستهم ، فاتفق ان احد الرجلين ، خرج من الماء لبعض شؤونه ، فاخذ ينظر الى صاحبه ، وهو يلعب مع الولدان بهيئة منكرة ، فاستبشع المنظر ، وقال لصاحبه : اخرج من الماء ،وانظر لعبي مع هؤلاء ، فلما خرج ، ورأى الصورة البشعة من لعب رجل كبير مع صبيان مراهقين ، كره نفسه وما كان يفعله .

فتابا عما كانا فيه ، وتركا ما كانا يقترفان من العمل .

وليس القبح خاصاً برذيلة ، فكل صفة بشعة ، مكروهة ومنفورة وان كان المرتكب لا يراها إلا من زاوية نفسه ، فالجبن والبخل والرياء وصغر النفس ، وما أشبه . . كلها رذائل بشعة ، تؤتي ثماراً فجة لا يزدردها إلا ذو ذائقة مريضة .

اتفق ذات يوم : ان جاءني رجل كنت أقدره لعلمه وورعه فاشتكى شكاية عميقة من كتاب بغير إمضاء أرسِل اليه ، يقول فيه : أنه لا يليق بك كذا . . لا اكثر من هذا ولا أقل . . ولكن صديقنا ذاك ، كاد أن ينفجر أسىً وحُزناً ، وكان يقول : اريد ترك المجتمع ! فقد اثبت بهذا العمل ضيق نفسه ، وصغر روحه وانه بهذه المثابة من العمل والورع ، لا يتحمل اقل كلمة نقدية تُوجّه اليه ، وان كان من كاتب مجهول .

ورأيت رجلاً حَفيَ حِداداً على الإمام الحسين عليه السلام ليوم عاشوراء لكنه كان يصرّ على أن يُرِي نفسه كذلك حافياً ! فكم ترى لهذا الشخص من اخلاص في عمله . . ! وكم يكبر في نفسك لو رأيته ، وهو يُرائي في هذا العمل الطفيف ؟ .

ورأيت رجلاً كان يُبدي ضجره من المجتمع ، ويتأفف و . . ولماذا ؟ لأنه اشتغل اياماً قلائل لإصلاح شأن من الشؤون .

ان الانسان مهما أُوتيَ من أدب ونزاهة ، وفضيلة وخلق لا تزال فيه جوانب من النقص الروحي ، تحتاج الى العلاج ، كما يحتاج المريض الى العقاقير .

ولربما . . بل أنما : انا بنفسي الذي أُسطّر ما رأيت من المعايب ، مشحن بالنواقص الخلقية ، لكني لا أرى أو بالأحرى لا أريد ان ارى نواقصي . . وهذا غير مبرر بالنسبة اليَّ والى غيري ، فكل انسان مأمور بقلع نواقصه ، مهما أُوتي من علم وورع ، ومكانة وجاه وثروة ومال .

وكلما تقدم الانسان ، في هذا المضمار ، كانت انسانيته اكثر ومقامه اسمى وان صَغُرت يده من الحطام ، وقلّت وجاهته لدى الحكام وهؤلاء هم الذين يفتخر بهم التأريخ الى أبد الدهر ، سواء كانوا من الأنبياء والمرسلين ، أم الأئمة والقديسين ، أم الحكماء والمصلحين .

الإغتيـــاب

﴿أيحب أحدكم أنْ يأكل لَحم أخيه ميتاً ؟ فكرهتموه﴾[966] . هكذا يقول القرآن الحكيم في ذم الغيبة . . وما هي الغيبة؟ .

انها كما حددها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ذِكْرُك أخاك بما يَكرَه)(968) .

فلو قلتَ : انه كذوب ، أو مغتاب ، أو شريب أو مقامر أو وسخ أو جبان أو بخيل أو متكبر أو صغير النفس أو أناني أو . . أو . . كان غيبة وتنقيصاً . . أليس يكره هذا الكلام ؟ .

وبعض الناس الذين أولعوا بالغيبة يقولون ـ تبريراً لموقفهم ـ : لا نتحاشى من ذكر هذه الصفات أمام من نتكلم عليه . . ، وهـل هذا من المُبررات ؟ كلا ! بل انهم جاهلون أو متجاهلون . . فليست معصية تبـرر معصية ، ان ذكر الأخ بالسوء في حضرته إهانة ـ وهي محرمة ـ وذكره في غيبته إغتياب و هو محرم ـ فهل يبرر احدهما الآخر ؟ كلا ! بل عِقابه ضعفان .

ومنهم من يقول : ان الاخ لا يكره ، فهل تصح مقالته ، ؟ كلا ان كل احد يكره ذكر مساوئه . . ولو فرض انه لا يكره . . افليس هذا تنقيصاً للمسلم ؟ وهو بدوره محرم وان كان المذكور فيه لا يكره . . أفليس التنقيص مُخالفاً للأخوة الاسلامية ؟ وهل تحبَ انت ان ينتقصك احد ؟ ألم يأمر الاسلام « احب لأخيك ما تحب لنفسك » ؟ .

وقد حذر الاسلام من الغيبة تحذيراً كبيراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (المسلم على المسلم حرام :

دمه وماله وعرضه)ومن العرض الاغتياب .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إيّاكم والغيبة ، فإن الغيبة أشدّ من الزنا ، فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه ، وان صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يَغْفر له صاحبه)(٩٦٩) .

ولنقف قليلاً لنعرف معنى الحديث . . .

هذا الحديث يدل على ان الغيبة اشد من الزنا .

وحديث آخر يدل على ان درهماً من الربا كسبعين زنية .

وحديث آخر يدل على ان كذا . اشدّ من القتل .

وهكذا احاديث . . .

فهل هذه الأحاديث على ظاهرها ؟ اذاً : فما معنى ما ارتكز في اذهان المسلمين من بشاعة الزنا بما لا يُوصف بينما لا يُروىٰ للربا والغيبة مثل هذه البشاعة ؟ هل لأنهم جاهلون بالشريعة ، أم لأنهم يستسهلون ما يرتطمون فيه من المآثم ـ كالغيبة ـ دون غيرها مما اعتادوا على التجنب عنه ـ كالزنا ـ أم لأنهم يعرفون لحن الكلام فلا يحملون هذه الأحاديث الا على القدر الذي يلائم روح الشريعة ، من المعنى والمغزى ؟ .

ان الذي يقرب ـ بنظري ـ هو الأمر الثالث ، وان هذه الأحاديث يراد بها احد امرين :

١ ـ المَجاز بالمبالغة في الأثم تحذيراً من الاقتراف فإنّ الناس يستسهلون امر محرمات الفوها ، فلا بدّ للشرع ـ مقدمة للاقلاع ـ ان يحذر بما أُوتيَ من طول وحول وهذا ليس من الكذب بل سيله سيل سائر اقسام المجاز . أرأيت لو خرج اكثر أهل البلدة لاستقبال قادم . . ثم قيل : خرج أهل البلدة ، فهل ذلك من الكذب ؟ كلا ! انه مجاز وعلاقته المشابهة بين الجميع والغالب ، كما إن علاقة جرَي الميزاب : الحال والمحل ، وعلاقة عتق رقبة :

الجزء والكل ، وهكذا . . ومثل هذا التعبير : أي كون شيء اشد من شيء . انما يعبر لافادة الرفع الشديد على الشرع من الإثم الكَذْائي . . يقال : ان الأمر الكذائي أثّر فيّ اكبر الأثَر تعبيراً لما لاقاه الانسان من الصعوبة ، لا أنه اثر اكبرَ الأثر حقيقة .

والسر في هذا النحو من المجاز ، أفادة مرتبة شديدة ، بحيث لولا هذا التأكيد . لظن ان الأثر ضعيف . ارأيت لو قال الشارع : الاغتياب محظور . لم يعرف السامع تأكدُّ حرمته ، بينما لو قال : انه اكبر من الزنا ، عرف انه محرم شديد .

٢ ـ ان يراد من هذه الاحاديث : كون الغيبة مثلاً اشد من الزنا ، من بعض النواحي .

كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : في الحديث الاخير . وذلك لأن الامور انما تعتبر المفاضلة بينها من بعض الجهات، لا كل الجهات ـ غالباً ـ فلو قال الصّياد : ان هذه الغابة افضل من تلك الغابة ، أراد من حيث الصيد . ولو قال الحشاش : ان هذه البيداء خير من تلك أراد من حيث الحشيش . ولو قال المُكاري : ان هذه الجادة احسن من تلك اراد من حيث السير ، وهكذا .

ولا يريد هؤلاء المفاضلة من جميع الحيثيات .

وهكذا يُحمل كلام الرسول والأئمة (ع) : انهم يريدون المفاضلة من حيث . . لا على الاطلاق .

ارأيت لو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : حمزة سيد الشهداء ، أو قال ما أظلت الخضراء ولا قَلَّتْ الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر . أو قال . . أو قال . . لا يريد الفضل بقول مطلق بل بالنسبة .

وهكذا هذه الأحاديث التي تُفضل الإطعام على الصلاة . . أو تشدد في تحريم الربا والغيبة حتى تجعلها أشد من الزنا . .

ولنرجع الى ما كنا بصدده :

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(مررت ليلة أُسْريَ بيَ على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم ! فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ، ويقعون في اعراضهم)(٩٧٠) .**

وخطب صلى الله عليه وآله وسلم يوماً ـ حتى اسمع العوائق في بيوتها ، فقال : **(يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه مَنْ تتبع عوراتهم تتبّع الله عورته ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته)(٩٧١) .**

وهذا طبيعي قدر ما هو عيني . فإن طبيعة الحال قاضية على ان من يتطلع الى عورات الناس وخفايا امورهم ، يتتبع الناس عورته وسره فإن رأوا سيئة ـ والانسان لا يخلو من سيئة ـ أذاعُوها ، كما هو أذاع سيئاتهم جزاءاً وعقاباً .

وخطب صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوماً ـ : **(فذكر الربا وعَظَّم شأنه فقال : ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل ، وان أربى الربا عرض الرجل المسلم)(٩٧٢) .**

ومر صلى الله عليه وآله وسلم على قبرين يُعذّب صاحباهما، فقال : **(انهما ليعذبان في كبيرة أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله ، ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين ، فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر ، وقال : اما انه يُهوِّن من عذابهما ما كانتا رطبتين)(٩٧٣) .**

ان الجريدة الرطبة تهون العذاب كما في احاديث . ولِمَ ذاك ؟ الأحسن ان نعترف بأنه لم يَصل العلم بعد ذلك الى كشفه ، وكم للعلم من مضمار لم يصل بعد إلى آخره ان عذاب البشر أمر كشف عنه الشرع، وطَرْده بالجريدة أمر كشف عنه الشرع أيضاً. أما كيف ذلك؟ فلا نعلمه وكم كان الجاهلون

ينكرون اشياء ثم وصل اليها العلم فاعترفوا بها ، بينما سبقهم الاسلام الى الكلام عنها قبل قرون والعلم الذي لا نبصره ولا نعلم منه إلا اموراً بسيطة مما يعترف به العلم انظر (القرآن والعلم الحديث) تحت عنوان (عالم نراه وعالم لا نراه) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من مشى في غيبة اخي ، ، وكشف عورته ، كانت أول خطوة خطاها ا وضعها في جهنم ، فكشف الله عورته على رؤوس الخلائق ومن اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوؤه فإن مات وهو كذلك ، مات وهو مُستحِل لِما حرم الله)(٩٧٤) .

بطلان الصوم والوضوء : عبارة عن عدم قبولهما كما يأتي في حديث آخر واستحلاله لما حرم الله : بمعنىٰ ارتكابه مُحرماً .

وقال صلى الله عليه وآلهوسلم : (الغيبة اسرع في دين الرجل المسلم ، من الأكلة في جوفه)(٩٧٥) .

وكم تفسد الأكلة في الجوف ؟ بقدر ذلك تفسد الغيبة من الدين » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الجلوس في المسجد إنتظاراً للصلاة عبادة ، ما لم يحدث) .

فقيل : يا رسول الله ، وما الحدث ؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الاغتياب » .(٩٧٦).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اغتاب مسلماً أو مسلمة ، لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إ)(٩٧٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اغتاب مسلماً في شهر رمضان ، لم يؤجر على صيامه) (٩٧٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة ابداً ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما ،

وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير)(٩٧٨) .

والاغتياب بما ليس فيه هو الاتهام . وانما نطلق عليه الغيبة لأنه كلام في غيبة المتكلم عليه .

ويوضحه هذا الحديث :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : (هل تدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك اخاك بما يكره . قيل : له : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلم : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته) (٩٧٩) .

وروي (انه ذكر رجل عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فقالوا : ما اعجزه ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتم اخاكم ! قالوا : يا رسول الله قلنا ما فيه ! قال صلى الله عليه وآله وسلم : ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه) (٩٨٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد)(٩٨١) .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (ما عُمّر مجلس الغيبة إلا خرب في الدين ، فنزِّهوا اسماعكم من استماع الغيبة ، فإن القائل والمستمع لها شريكان في الأثم) (٩٨٢) .

ويؤكد كون المستمع شريكاً في الإثم أحاديث أُخَر .

رُوي : (انه صلى الله عليه وآله وسلم لما رجم في الزنا ، قال رجل لآخر : هذا أقعص كما يقعص الكلب . فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهما بجيفة فقال : انهشا من هذه الجيفة ! فقالا : يا رسول الله ننهش جيفة ؟ فقال : ما أصبتما من اخيكما أنتن من هذه) (٩٨٣) .

وروي: (ان احد الصحابة قال للآخر : ان فلاناً لنؤوم ، ثم طلبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أداماً ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه

وآله وسلم : قد أتتدمتما ! فقالا : ما نعلمه ؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بلى انكما أكلتما من لحم صاحبكما)(٩٨٤) .

وكثيراً ما يقول المغتاب : أنا رأيت منه ذلك أو سمعت تبريراً لغيبته ، فليسمع الى الامام الصادق عليه السلام حيث يقول : « من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل : ﴿ ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم ﴾[١٦٧] »(٩٨٥)

وقال عليه السلام « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مرؤته ، ليسقط من أعين الناس ، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان » (٩٨٦) .

وقال عليه السلام : « الغيبة حرام على كل مسلم ، وإنها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (٩٨٨) .

ومن أشد الأحاديث المحذرة عن الغيبة قوله (ع) « كذب من زعم انه ولد من حلال وهو يأكل من لحوم الناس بالغيبة » (٩٨٩) .

والظاهر ان يراد بذلك إشراك الشيطان في نطفته فدوام الغيبة من علائم ذلك .

هذا في الغيبة .

أما البهتان فهو أعظم منها واعظم . .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : (من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه ، أقامه الله على تلٍّ من نار حتى يخرج مما قال فيه) (٩٩٠) .

وهل له مخرج ؟ هيهات هيهات ؟! ؟!

وقال الامام الصادق عليه السلام : « من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله عز وجل في طينة خبال حتى يخرج مما قال .

قال الراوي :

قلت : وما طينة خبال .

قال : « صديد يخرج من فروج المومسات »(٩٩١) أي الزناة

نعم . . .

قد استثني من حرمة الغيبة موارد : ككون المتكلم مظلوماً أو مُريداً للاستعانة لدفع منكر أو نصح مستشير أو قدح مقالة باطلة أو الشهادة على فاعل المحرم . أو ما اشبه لكن كل ذلك بقدر وشروط مذكورة في كتب الفقه .

المـدح

كل انسان لا بد وان تكون له مساوىء ـ إلا من عصمه الله تعالى ـ كما انه لا بد وان يكون له محاسن .

فمن الناس من يزال يذكر المساوىء وهذا انسان خبيث فُطِر على ذكر العيوب مثله مثل الذباب الذي يحط على القيح والدم ، تاركاً المواضع الحسنة من الجسد وما أقذر عمله !

ومن الناس من لا يزال يذكر المحاسن . وهذا خير من صاحبه وإن كان موجباً للأغراء ـ فيما اذا لم يلحظ شرائط المدح ـ فرُبَّ رجل اذا قلت عنه : انه عالم . شمخ بأنفه ، وترك العلم ، ظناً فيه أنه قد كفاه ما حصل . او لو قلت عنه : انه حسن الاخلاق ، صار مغروراً بمقالتك وأساء خلقه . وهكذا .

ومنهم : من يَعْدل في الإمر ، وهو المصلح ، يمدح بقدر ، ويرشد بقدر ، وهذا هو الوسط الذي يحبه الاسلام ـ وهو يحب في كل شيء الوسط .ـ

والأحاديث الواردة في ذم المدح أو حسنه ، ناظرة الى هذين الطرفين :

فمدح من لا يستحق ، أو يوجب مدحه كبراً أو إخلاءاً أو ما أشبه . . مذموم . .

ومدح من يستحق ، أو يوجب مدحه إصلاحاً وصلاحاً . . مرغوب . . .

في احاديث متفرقة : اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امير

المؤمنين عليه السلام وأبي ذر ، وعمّار ، واشباههم .

وأثنى بعض الصحابة على بعض الموتى ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (وجبت لكم الجنة ، وانتم شهداء الله في الأرض)(٩٩٢) .

وفي الحديث : (إن لبني آدم جلساء من الملائكة ، فاذا ذكر احد اخاه المسلم بخير ، قالت الملائكة ، ولك مثله . واذا ذكره بسوء قالت الملائكة : يا ابن آدم المستور عورته ، أربع على نفسك ، وأحمد الله اذ ستر عورتك)(٩٩٣) .

اما المدح المذموم . .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله ليغضب اذا مدح الناس الفاسق)(٩٩٤) .

ومدح رجل - بمحضر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم - رجلاً ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ويحك ، قطعت عنق صاحبك ، لو سمعها ما أفلح)(٩٩٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اذا مدحت أخاك في وجهه ، فكأنما امررت على حلقه الموسى)(٩٩٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم - لمن مدح رجلاً - : (عقرت الرجل ؟ عقرك الله ؟)(٩٩٧) .

وقال صلى الله عليه و وآله وسلم : (لو مشى رجل الى رجل بسكين مُرْهف ، كان خيراً له من ان يثني عليه في وجهه)(٩٩٨) .

ثم . إن الرجل كل الرجل ، ان لا يَبهشه الثناء ، ولا يُغريه الإطراء - وقليل ما هم - وهكذا وإن كان صعباً غاية الصعوبة ، إلا ان الانسان اذا لازم مراجعة نقائصه ، وراقب نفسه مراقبة منظمة مستمرة وجعل ذاته قاضياً في مساوئه ومحاسنه ،انطبعت نفسه بالوسط فلا يغريه مدح،ولا يعصف به ذم.

وفوق هذا . . .

ان يأخذ الانسان من كل ذم ومدح مرقاتاً للرقي والتقدم ، فيجعل المدح مُحفزاً لتحصيل الكمال . أليس مدح لأن فيه ناحية من الصلاح ؟ فلو صلح من جميع النواحي ـ بالقدر الممكن ـ كان بالمدح أجدر وبتعظيم الناس أقرب وكذا يجعل الذم رماداً يصقل به مرآة نفسه ، فيفكر هل فيه ما قيل بالنسبة اليه من الذم ؟ فإن كان أصلحه ، وان لم يكن راقب ذاته ، حتى لا يقع فيه .

وفي هذا الحديث المروي عن الامام امير المؤمنين عليه السلام درس بليغ ، بالنسبة الى من يمدح في وجهه .

فقد رُويَ : ان الامام عليه السلام أثنى في وجهه ، فقال :

« اللهمَّ أغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون »(٩٩٩) .

وهكذا أدّب الاسلام أتباعه ، حتى لا يطغىٰ بهم الإطراء ، بل ـ بالعكس من تلك ـ يوجد فيهم نوعاً من التواضع والتحفيز على التقدم .

الكِذْبُ

كل إلتواء في قول أو عمل ، يَمقِته الاسلام ، كما يذمه العقل .

والكذب من أبشع مصاديق الإلتواء ، فإنه أمّ كل شيء وجرثومة كثير من الرذائل ، فالنِفاق ، وذو الوجعين ، والتملق ، ومـدح من لا يستحق المدح ، وأشباه ذلك .. ولائِد الكذب .

ولا يكذب الانسان إلا لخفة في نفسه ، وإلتواء في باطنه ، وإنهزام في روحه وإلا فالصريح المستقيم ، لا يحتاج الى الكذب .

ولِمَ يكذب ؟ .

لأنه يريد إبتزاز مال ، أو إحتكار جاه ، أو إبقاء خير أو تجنب خطر .

وهل يوفر الكذب ما ظنه ؟ .

كلا ! بل ـ بالعكس ـ الكذب فيه كل هلكة وإنحطاط وانهيار والصدق ـ وهو ضده ـ فيه كل نجاة ورفعة وسمو وقديماً قيل :

« النجاة في الصدق ، والهلاك في الكذب » .

نعم .. ربما وفَّر الكذب خيراً مزعوماً ، ولكن الكذوب سرعان مـا يزول عنه جلباب الإلتواء ، فينـظر للناس عـلى صورتـه البشعة ، فيقليه القريب ، ويتجنب عنه البعيد ، ويلفظه كل دانٍ وقاصٍ ، ولا يقم احد لكلامه وزناً ، ولمقاله إعتباراً وقيمة .

وعلى أيٍّ ، فالإسلام يحارب الكذاب والكذابين حرباً شعواءاً .

ففي القرآن الحكيم :

﴿ إنما يَفتري الكَذْب الذين لا يؤمنون﴾[168] .

وقال سبحانه : ﴿ فأعقبهم نِفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون ﴾[169] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إيّاكم والكذب ! فإن الكذب يهدي الى الفجور ، والفجور يهدي الى النار)(١٠٠٠)

وهذا شيء واضح ، فإن الكذب يوجب الالتواء ، ولا مانع لدى الكذوب ان يعمل إجراماً ، لأنه يأمن من مغبته ، أليس يقدر على الكذب ؟ إذا سئُل عنه ؟ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (المؤمن اذا كذب من غير عذر ، لعنه سبعون الف مَلَك ، وخرج من قلبه نَتَن حتى يبلغ العرش ، فيلعنه حملة العرش وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية ، أهونها كمن زنىٰ مع أمه)(١٠٠١)

وقد تقدم معنى هذه المفاضلة وأسبابها في بحث سابق .

وفي أمثال هذه المفاضلات إحتمال ثالث لم نذكره هناك ، لا بأس بذكره :

وهو ان للأمور المندوبة أجرْين ، وللأشياء المبغوضة عِقابين : الأصل ، واللوازم .

فمثلاً : لقراءة القرآن كاملاً أجْر ألف دينار ، وتفضل مائة الف دينار . . وللزنا عقوبة مائة سوط ، وزيادة عشرة آلاف لما يكتنفه من انتهاك حرمة الله تعالى ، وإفساد المرأة واضاعة النسل وما اشبه .

فاذا ورد في الحديث : إنّ قارىء ﴿ قل هو الله احد﴾[170] ثلاث مرات يعطي من الأجْر قدر قارىء تمام القرآن ، يراد به الأصل لا التفضل .

كما انه اذا جاء ان الكذب عقابه اشد من الزنا ، كان المراد اشدّ من عقوبة الزنا الأصلية .

وهذا موجود في العُرْف ، فإن سُبَّ رئيس السلطة ،وإن كان بما هو سَبٌّ لا يستحق أكثر من غرامة أو عقوبة ضئيلة ، ولكنه بما هو سب الرئيس الملازم لهنات وانتهاك حرمات ، يستحق مرتكبه عقوبة كبيرة و غرامة ثقيلة .

كما إن إهداء ضئيلاً الى كريم ، إنْ كان بما هو هو ، لا يقابل إلا بقدره أو اكثر من قدره بقليل إلا ان الاهداء بما هو الى كريم يكون مقابله أضعاف أضعاف ذلك .

إذاً فما ورد في الأحاديث من بعض المفاضلات ، محمول على هـذا المعنى .

ونعود ثانياً الى الكذب وعِقابه وذمّه .

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**يكون المؤمن جباناً ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم . . قيل : ويكون بخيلاً ؟ قال : نعم قيل : ويكون كذاباً ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا**)(١٠٠٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**كَبُرت خيانة أن تُحدِث أخاك حديثاً هو لك به مصدق ، وأنت له به كاذب**)(١٠٠٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**الكذب ينقص الرزق**) .

وكيف ؟ ان الكـاذب يجنب ، وتجنب الناس ـ بـدوره ـ يوجب قلة الكسب وهي تنقص الرزق . وهذه القضايا قضايا حقيقيـة (في اصطلاح المنطقيين) ككون الدواء الفلاني يوجب الصحة من المرض الكذائي ، فلا ينافي ذلك عدم الإطراد والانعكاس .

وقال صلى الله عليـه وآله وسلم : (**ويـل للذي يُحدِّث فيكـذب ، ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له !!!**)(١٠٠٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت (من الرؤ يا في النوم) كأنّ رجلاً جاءني فقال لي : قُمّ . فقمت منه ، فاذا أنا برجُلينَ أحدهما قائم والآخر جالس وبيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شِدْق الجالس ، فيجذبه حتى يبلغ به كاهله ! ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده . فاذا مده رجع الآخر كما كان !

فقلت للذي اقامني : ما هذا ؟!

فقال : هذا رجل كَذَّاب يُعذَب في قبره الى يوم القيامة)!)(١٠٠٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ألا أُخبركم بأكبر الكبائر ؟

الإشراك بالله . وعقوق الوالدين . . . وقول الزور . . .)(١٠٠٦) . اي الكذب .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان العبد ليكذب الكذبة ، فيتباعد المَلَك منه مسيرة ميل من نَتن ما جاء به)(١٠٠٧) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إن للشيطان كِحلاً ، ولعوقاً ، ونشوقاً . فأما لعوقه فالكذب ، وأما نشوقه فالغضب ، وأما كحله النوم)(١٠٠٨) .

ان الحديث تشبيه . . أو حقيقة ، وكم من حقائق لا ندركها !

ثم ان الانسان قد يكذب في الهزل ، زاعماً إنه هزل فأيّ ضرر يتولد منه ؟ لكن الهزل كثيراً ما صار ملكة ، ثم بقي بعده دور الجد . . ثم أي دافع يدفع الانسان للكذب ولو في الهزل ، أليس يمكن المزاح بغير الكذب ؟

يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام : « لا يجد العبد طِعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده »(١٠٠٩) .

وقال عليه السلام ـ لعبد ذم الكذب ـ : « أعظم الخطايا عند الله : اللسان والكذب ، وشر الندامة : ندامة يوم القيامة »(١٠١٠) .

وقال الامام السجّاد عليه السلام : « **إتقوا الكذب الصغير منه والكبير ، في كل جدٍّ وهزل ، فإن الرجل اذا كذب في الصغير ، اجترأ على الكبير** »(١٠١١)

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **إن الله عز وجل جعل للشر اقفالاً ، وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب ، والكذب شر من الشراب** »(١٠١٢) .

إن من شرب الخمر ، فلعبت برأسه ، لا مانع لديه من انتهاك أي حرمة ، وأقتراف أي جريمة ، وإرتكاب أي منكر . أليس المانع كان هو العقل ؟ إذاً : ذهب بذهابه .

ثم .. كلما يأتي من الشرب ليس مثل ما يأتي من الكذب ، أليس بالكذب يُقتل الألوف وتُهتك أعراض ؟ أن القائد الذي يكذب ـ تحفظاً على كيان نفسه ـ فيرسل العساكر باسم إنهم أعداء ، أليس يفعل كل ذلك لِكذْب كَذِبه ؟ .

وهكذا ...

وقال عليه السلام : « **إن أول من يُكَذِّب الكَذَّاب : الله عزّ وجلّ . ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم إنه كاذب** »(١٠١٣) .

وقال الإمام العسكري عليه السلام : « **جعلت الخبائث كلها في بيت ، وجُعِل مفتاحها الكذب** »(١٠١٤) .

هذا شأن الكذب بصورة عامة .

اما الكذب على الله والرسول والأئمة (ع) فهو أشد انواع الكذب وسببه واضح ، فإن قولهم وفِعْل النبي والإئمة ، وتقريرهم حُجّة يلزم أنْ يؤخذ بها فالكذب عليهم ذو أثر كبير .

قال الامام الصادق عليه السلام : « **إنّ الكذبة لَتُفطِّر الصائم** .

قال الراوي : وأيُّنا لا يكون ذلك منه ؟ .

قال عليه السلام : ليس حيث ذهبت ، إنما الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ، وعلى الأئمة (ع) »(١٠١٥) .

قال عليه السلام : « الكذب على الله ، وعلى رسوله من الكبائر »(١٠١٦) .

وذكر عند الامام الصادق عليه السلام الحائك ، وكونه ملعوناً . . .

فقال عليه السلام : « إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله »(١٠١٧) .

وقال الإمام السجّاد عليه السلام : « لا تكذب علينا كِذْبة فتسلب الحنفية »(١٠١٨) أيّ الإسلام .

ومن الكذب الذي يتساهل بشأنه : الكذب في حكاية المنام مع أنه لا يفرق عن سائر اقسام الكذب ، فإن الكذب قول خلاف الواقع سواء كان حكاية عن يَقظة أو مَنام أو عن أمر ماضٍ أو مستقبل .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن من أعظم الفِرْية فرّية : أن يُدعى الرجل الى غير أبيه ، أو يرى عينيه في المنام ما لم يَرَ ، أو يقول عليّ ما لم أقل)

ولعل جعله من أعظم الفريّة ما كانوا يرتبون على المنام من شحناء وقطيعة ، وما أشبه كما هو مذكور في محله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من كَذّب في حلم كُلِّف يوم القيامة : ان يعقد بين شعيرتين)

* * *

وليس الكذب خاصاً بالقول ، بل الاشارة والكتابة والمرض ، كلها من أقسام الكذب .

كما أن من أقسام الكذب :

شهادة الزور ، بل هذا الكذب من أشد المحرمات ، لأنه ليس كذباً فحسب ، بل سبب لنقل الحقوق من مكانها ، وإلحاق الأولاد بغير آبائهم . وهكذا . . وهكذا .

يقول القرآن الحكيم في مدح المؤمنين :

﴿ والذين لا يشهدون الزور ، وإذا مَرّوا باللَغْو مَرّوا كِراماً ﴾[171] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**شاهِد الزور كعَابِد الوَثَن**)

ومن إقسام الكذب اليمين الكاذبة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **التُجّار هم الفُجّار** » .

فقيل : يا رسول الله ، أليس الله قد أحل البَيع ؟

فقال : **نعم . . ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويُحدِّثون فيكذبون**) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ثلاث نَفَر لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر اليهم ، ولا يزكيهم : المنّان بعطيته ، والمُنفِق سلعته بالحِلْف والفاجِر المُسبِل أزراره**).

وإسبال الأزرار كبرياءاً مُحرَّم في الشريعة - كما لا يَخفىٰ -

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(**ما حلف حالف بالله ، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة ، إلا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة**)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ثلاث يشنأهم الله : التاجر ، أو البائع الحلّاف ، والفقير المُختال ، والبخيل المنّان**)

ومن أقسام الكَذِب خُلْف الوَعد .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**من كان يؤمن بالله واليوم**

الآخر فليفِ إذا وعد)(١٠١٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أربع من كنّ فيه كان مُنافقاً ، ومن كانت فيه خلِة منهّن ، كانت فيه خِلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدَّث كذَّب وإذا وَعَد أَخلَف ، وإذا عاهَد غدَر ، وإذا خاصم فَجَرَ)(١٠٢٠) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « عِدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له »(١٠٢١) فمن أخلف فبخلف الله تعالى بدر ، ولمقته تعرض . وذلك قوله تعالى : ﴿يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟! أكبرَ مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ﴾[١٧٢] .

الصـــدْق

الصِّدْق حسن محبوب حتى عند الكاذب نفسه ، وهو ممدوح وان تركه الناس ، كما أن العلم ممدوح حتى عند الجهّال وإنْ تركه الناس .

وهو مرآة النفس النزيهة ، فالصادق يكشف عن نزاهة نفسه ، وطهَارة روحه ، وسلامة ما انطوت عليه أضلاعه ، فليس فيه أيّ إلتواء وإعوجاج ، بل هو مستقيم إستقامة البان ، عَطِر كالزهرة الفواحة نيّر كالمصباح المتلألىء .

هذا هو الصدق عند الجميع ، لا فرق بين المؤمن والجاحد والكبير والصغير ، والشريف والوضيع ، والملك والسوقة .

فضيلة قلما تتوفر في انسان ، إلا رفعته الى أَوج السعادة النفسية وذروة الكمال الذاتي ، ومُنتهى مراقي الانسانية .

نعم ، ربما يجرّ الصدق الى الصدوق ويلات ، ولكن لا يفتىء الأَمر حتى يجر اليه اضعاف الاساءة الأحسان والشر الخير .

وليس بين الصدق والكذب إلا ان الصدق مَلَكَة بعد جُهد ، والكذب استرسال عفوي لا يحتاج الى اكثر من تَرْك النفس وهواها .

كما ان بين العلم والجهل نفس النسبة .

وكما لا يرضىٰ إنسان ان يكون جاهلاً ، فلا يرضىٰ ان يكون كذوباً .

واذا حاسبنا الكذوب ، وقلنا له : لِمَ تكذب ؟

أجاب : بأنه يريد بَقاء ماء وجهه . أو دَرَّ ربحٍ أكثر . أو دَفْع ضرر محتمل أو مقطوع . أو ما اشبه .

هذا ما يريد هو؟ ولكن هل يصح زعمه ؟ كلا ! بل الغالب : ان الكذوب ليس بمتجنب ماء الوجه والاضرار التي ترد عليه أكثر من الأضرار الواردة على الصدوق .

يُقال : ان رجلاً أجرم ، فلاحقته السلطة مدة مديدة ، لكنها لّما يئسِت اخيراً من الظفر به ، فاستشارت جماعة من الباطنة ؟ قالوا : ان له أباً صدوقاً ، فلو أرسلتِ اليه واستعلمتيه ، علمكِ بمكانه ـ إنْ كان الاب بنفسه يعلم مكانه ـ .

فاستحضرته ، واستعلمته ؟ فقال : ان ابني في البيت الكذائي ، متخفٍ في بعض سراديبه .

ولما أرسلت السلطة بعض الشرطة ، ظفروا به ، كما قال أبوه فشخص عند السلطة لكنها تعجبتْ من صدق مقالة أبيه ، حتى على ضرر ولده ، وصار ذلك سبباً للعفو عن الولد ، وتحسين الوالد وإكرامه .

هذه قضية . وهناك قضايا ، كلها تشير على فوائد الصدق .

ولم يقولوا جزافاً (النَجاة في الصدق) .

ولهذا ترى الاسلام يؤكد على الصدق أكبر تأكيد ، ويحث الناس على ملازمته ، ولو كان مظنة لإضرار يسيرة وقد رصد حشداً كبيراً من المدح والثناء على الصادقين .

يقول القرآن الكريم :

﴿ من المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[١٧٣] .

ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، إتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين ﴾[١٧٤] .

ويقول : ﴿ الصابرين ، والصادقين ، والقانتين والمنفقين ﴾[١٧٥] .

ويقول : ﴿ لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر . . . اولئك الذين صدقوا﴾[176] .

ويقول : ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله . . . اولئك هم الصادقون﴾ [177] .

الى غيرها . . من الآيات . .

وقال رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم : (تقبلوا ليّ بست ، أتقبل لكم بالجنة : اذا حدثتم فلا تكذبوا . واذا وعدتم فلا تخلفوا ، واذا أئتمنتم فلا تخونوا . . وغضوا أبصاركم . وكفّوا أيديكم والسنتكم . واحفظوا فروجكم)(١٠٢٢) .

قال النبي (ص) (ما يزال الرجل يَصْدق ويتحرى عن الصدق ، حتى يكتبه الله صديقاً)(١٠٢٣) .

ومعنى ليصدق : يستمر في الصدق ، لا أنه يَصدق مرة أو مرات.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « كونوا دعاة الناس بالخير ، بغير ألسنتكم .

ليروا منكم الإجتهادَ . . والصدق . . والورع »(١٠٢٤).

ولا يخفى ما في هكذا نوع من الدعوة ، من التأثير البليغ ، بما لا يؤثر الف مقول ويراع فإن الناس جُبلِوا على الإقتداء والتأسي ، فاذا رأوا عدواناً يعمل ، عملوا . . واذا رأوا شخصاً تقياً ورَعِاً صادقاً ، انتهجوا منهاجه ، واقتفوا أثره ، فاتقوا وتورعوا وصدقوا .

اما أذا رأوا من يدعوا الى الصدق . ، ولكنه يكذب ، أو يدعو الى الأمانة ، ولكنه يخون . أو ما أشبه . قالوا : لو كان خيراً ما خالفه ولو كان حسناً ما أتى بعده .

ولذا حذر القرآن الحكيم والسنة من الدعوة المجردة :

﴿ لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾(١٧٨) .

﴿لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له ، الناهين عن المنكر العاملين به﴾(١٧٩) .

وقال الامام الصادق عليه السلام :

« من صدق لسانه زكّى عمله ، ومن حَسُنت نيته زِيَد رزقه ، ومن حسن بِرّه بأهل بيته مُدّ له في عمره »(١٠٢٥) .

هذا هو الاسلام الذي يجمع كل خير : صدق اللسان ، وحسن النية ، والبر بالأهل ، وهل هناك ما يشابه الاسلام في هذه الآداب الرفيعة ومئات الألوف أمثالها ؟ !

وقال عليه السلام : **« لا تنظروا الى طول ركوع الرجل ،وسجوده ، فإن ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك ، ولكن انظروا الى صدق حديثه ، وأداء امانته »**(١٠٢٦) .

ومن اغرب الأحاديث هذا الحديث الآتي . ولكنه غريب بادىء النظر ، لاعند من عرف طبيعة الاسلام الذي يهتم بالفضائل ويجعلها غاية بعثة الرسول : **(انما بعثت لأتم مكارم الاخلاق)** ثم يجعل المقام عند الله وعند الرسول ، لمن ارتقى في مراقي الاخلاق الفاضلة .

وما هو الحديث ؟.

هذا ، فأستمع . . .

قال الإمام الصادق عليه السلام ـ لبعض اصحابه ـ : **« انظر الى ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فالزمه . فان علياً عليه السلام انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم بصدق الحديث وأداء الأمانة »**(١٠٢٧) .

ولعلك تقول : هذان امران بسيطان ، يتمكن كل احد من ملازمتهما ، اذا اجتهد قليلاً !

ولكن هذا مقالة من لا يعرف صعوبة ملازمة هذين في كل صغير وكبير ، طيلة العمر ، اما من يعرف ذلك يعلم ان ملازمة الصدق وأداء الأمانة اصعب من الجبال .

فمن يتمكن ان يصدق في كل مكان وزمان ، وبكل صراحة و وضوح ولكل خطير وصغير ؟

اما الأمانة ، فأستمع الى الآية الكريمة :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوماً جهولاً ﴾(١٧٩) . حملها جاهلاً بثقلها ، ثم ظلم نفسها ، لعدم الأداء .

وقال الامام الصادق عليه السلام ـ بصدد الصدق ـ : **« ان الله لم يبعث نبياً ، إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة الى البر والفاجر »**(١٠٢٨) .

وقال عليه السلام : **« اربع من كنّ فيه كَمُل ايمانه ـ ولو كان ما بين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك ـ : الصدق . . . واداء الأمانة . . . والحياء . . وحسن الخلق »**(١٠٢٩) .

وكيف لا يضره كل نقص ؟ أقرأ :

﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾(١٨٠) . وقوله تعالى **﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن سيئاته ﴾**(١٨١) .

فمن منّا يطيعه ؟ قليل ، بل أقل من القليل . فهل الصدق يسود الأسواق ؟ أو هل الصدق له مكان في الدوائر ؟ أو هل الصدوق يدير دفة الحياة ؟ .

أما مَنْ بالاسلام . فشعاره :

« اكذب . . ثم اكذب . . ثم اكذب . . حتى يصدقك الناس » .

لكنه اشتبه ، من كذب وكذب ، عرف عند الناس بانه كذوب فلا يقبلون حتى صدقه .

بَيْنَ الكَلام والصِّمْت

من أعجب آيات الله ـ وكل آياته عجيبة ـ اللسان !!

فهذه اللحمة المستدلية التي لا تبلغ قدر نصف الكف سعة ، تصنع العجائب المتضادة فخيرها لا يُثمّن ، وشرّها لا يُقدر ، وزمامها ـ اطلاقاً ـ من أشكل المشكلات ـ أما تعديلها بأن تلزم الجادة ، فلا تنحرف يميناً وشمالاً ، فيكاد يكون من المستحيل .

اما فوائدها :

فالصدق ، وقول الحق وشهادة الواق ، والأرشاد والهداية ، وإنارة الطريق ، والذكر والتسبيح والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و . و . و . بل أصل الإيمان إنما يؤتي باللسان . أليس هو قوله :

« لا إله إلا الله . محمد رسول الله »

وأما أضرارها :

فأضدادها تقدم . . والهمز واللمز والطعن واللعن والغيبة والنميمة والاستهزاء والخوض في الباطل والتغني و . و . و . . .

والإسلام . . بعد ما يؤكد على فوائدها ويأمر بملازمة كل فرد فرد منها وبعد ما يؤكد على أضرارها ، ويحث على ترك كل فرد فرد منها يشير إشارة إجمالية مطلقة على ان اللسان لها فوائد ولها اضرار ، ويأمر بحفظها عن كل إثم ومنكر ، وإطلاقها في كل معروف وخير .

يقول القرآن العظيم :

﴿ما يلفظ من قول ، إلا لديه رقيب عتيد﴾(١٨٢) .

ويقول : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم ، إلا من أمر بصدقة أو معروف ، أو اصلاح بين الناس﴾(١٨٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة)(١٠٣٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من وقى شر قبقبه ، وذبذبه ، لقلقه فقد وَقىٰ)(١٠٣١) .

القبقب البطن . والذبذب الفرج . واللقلق اللسان . وذلك لأن هذه الأعضاء الثلاثة هي التي تمضي غالباً ، فالبطن لأَكْل الحرام واللسان لاحتقاب الآثام ، والفرْج محط أبشْع الأجرام .

وقيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما النجاة .

قال : (املك عليك لسانك)(١٠٣٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اكبر ما يدخل الناس النار إلا جوفان . . . الفم والفَرْج)(١٠٣٣).

والفم ـ في الحديث ـ يجمع بين الأكل والكلام .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (وهل يُكبّ الناس على مناخرهم في النار ، إلا حصائد ألسنتهم ؟)(١٠٣٤) .

وقال له صلى الله عليه وآله وسلم : (ما أخوف ما يخاف عليّ ؟

فاخذ بلسانه ، وقال : هذا . . .)(١٠٣٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يستقيم إيمان عبد ، حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه ، حتى يستقيم لسانه)(١٠٣٦)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (اذا أصبح ابن آدم ، اصبحت

الأعضاء كلها تكفر اللسان ، فتقول : إتقِ الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإنْ استقمتَ استقمنا ، وإنْ أعوججتَ أعوججنا) .

وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: رجل : اوصني ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اعبد الله كأنّك تراه ، وعد بنفسك في الموتى ، وإنْ شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله ؟ وأشار بيده الى لسانه)(١٠٣٧) .**

وقالَ صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان الله عند لسان كل قائل ، فليتقِ الله إمرؤ على ما يقول)(١٠٣٨).**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من لم يحسب كلامه من عمله ، كَثُرت خطاياه ، وحضر عذابه)(١٠٣٩) .**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(يعذِّب الله اللسانَ بعذاب لا يعذبه شيئاً من الجوارح) .**

فيقول : أيّ ربِّ عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح ؟ فيقال له : خرجت منك كلمة بلغت مشارق الأرض ومغاربها ، فُسِفك بها الدّم الحرِام ، وأنتُهِب بها المال الحرام ، وانُتُهِك بها الفَرْج الحرام ، وعزتي وجلالي ، لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك)(١٠٤٠) .

هذا العذاب لمثل هذا اللسان ، اما كل لسان فلا ، والعذاب في الآخرة كالأمراض في الدنيا قسم منه يعم الجسم كله ، وقسم يخص بجارحة من الجوارح ، فكما ترمد العين ، وتوجع السِّن وما أشبه . كذلك عذاب الآخرة ، فللسان ما اقترف من الإثم ، ولليد ما اجترحت من العِصيان ، وللعين ما احتقبت من الجرُم، وهكذا . . .

وقال امير المؤمنين عليه السلام ـ لرجل كان يتكلم بفضول الكلام ـ : **« يا هذا ، انك تملي على حافظيْك كتاباً الى ربِّك ، فتكلم بما يعنيك ، ودع ما لا يعنيك »(١٠٤١) .**

ماأروع الكلام ، وما دهشته !

أليس الانسان اذا تكلم ، كتب الكاتبان ما قال ؟ وأليس الكتاب يرفع الى الله تعالى ؟ .

وقال عليه السلام : **« المرء مخبوء تحت لسانه »(١٠٤٢)** .

فإن تكلم تبين انه عالِم أو جاهل فصيح أو ألكَن .

وقال الامام السجّاد عليه السلام : **« ان لسان بن آدم يشرف كل يوم على جوارحه ، كل صباح فيقول : كيف اصبحتم ؟ فيقولون : بخير ان تركتنا ، ويقولون : الله اللهالله فينا ويناشدونه ، ويقولون : انما نثاب ونعاقب بك »»(١٠٤٣)** .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : **« ما من يوم إلا وكل عضو من اعضاء الجسد ، يكفرّ اللسان ، يقول : نشدتك الله ان نعذب فيك »(١٠٤٤)** .

وهل الحوار بين الأعضاء ـ التي منها اللسان ـ حقيقة لا ندركها أم تشبيه ؟ .

محتمل للأمرين .

وكيف يمكن حقيقة لا ندركها ؟ .

الى ما لا يحصى . انعرف ما في اجسامنا من اجهزة وآلات ؟ كلا ! وهل نعرف ما فينا من جراثيم ؟ وهل نعرف منطق الطير ؟ وهل نعرف علائم الأمراض التي تنتابنا ؟ وهل ؟ وهل ؟ وهل ؟ .

* * *

قد يظن الظان ان السكوت خير من الكلام ، ان هذا الظن خطأ على قدر خطأ ظن ان الكلام ـ إطلاقاً ـ خير من السكوت .

ان الاسلام يحب في كل أمْر معتدله ، فالكلام في نظر الاسلام خير من السكوت ، ان نفع والسكوت خير من الكلام ان ضر .

اما ان الاسلام يختار الصمت والسكوت ، أو التكلم والقول ، فليس بحسن .

يقول نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم :

(رحم الله عبداً تكلم خيراً فغِنَم ، أو سكت عن سوء فَسَلِم)(١٠٤٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إخزنْ لسانك إلا من خير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان)**(١٠٤٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم حينما جاء اليه إعرابي وقال : دلّني على عمل يدخلني الجنة ـ : **(أطعم الجائع ، وأسقِ الظمآن وأمرُ بالمعروف ، وإنْهِ عن المنكر ، فإن لم تُطِق فكفّ لسانك إلا من خير)**(١٠٤٧) .

ولكن حيث ان غالب الناس ، انما يحتقبون خير الكلام وشره ويهذرون ليل نهار ويرمون فارغ القول على عواهنه ، يؤكد الاسلام الحكم على ترك الكلام ـ إعلاقاً ـ يريد بذلك تقليله على قدر ، كما أن من يرى مَيلان الحمل الثقيل من جانب ، يجر الحمل بقوة الى الجانب الآخر حتى يعتدل ، وان عمل من القوة ما يكفي ميله الى الجانب الثاني لو كان معتاداً بالنسبة الى الجانبين .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(من صمت نجا)**(١٠٤٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(الصمت حِكَم ، وقليل فاعله)**(١٠٤٩) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(من كفَّ لسانه ، ستر الله عورته)**(١٠٥٠) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن ؟ الصمت وحسن الخلق)**(١٠٥١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً ، فادنوا منه فإنه يُلقّن الحكمة)**(١٠٥٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(الناس ثلاثة : غانم ، وسالم ، وشاحب : فالغانم الذي يذكر الله . والسالم الساكت . والشاحب الذي يخوض في الباطل)**(١٠٥٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(إنّ لسان المؤمن وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وإنّ لسان المنافق أمام قلبه ، فإذا هَمّ بشيء أمضاه بلسانه ، ولم يتدبره)**(١٠٥٤) .

وهاتان ملكتان يكسبهما الانسان بطول الممارسة ، فمن اعتاد على ان يتكلم بعد التدّبر اشتدّ عليه ذلك أول الأمر ، حتى اذا اتخذه دأباً سهل عليه ثم يصبح ملكة يصعب عليه تركه ، فاذا أراد ان يتكلم سبقه التدّبر والتفكّر والرويّة عفواً وبلا اعمال جهد بخلاف من ترك الكلام مرسلاً فإنه يصعب عليه التدّبر .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أمسك لسانك ، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك ، ثم قال : ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه)**(١٠٥٥) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ لرجل آتاه ـ: **(ألا أدَلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ .**

قال : بلىٰ يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : أنِل مما أنالك الله .

قال : فإن كنتُ أحوج ممن أنيله ؟ .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : فأنصُر المظلوم .

قال : فإن كنتُ أضعف ممن أنصره ؟ .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : فأصنع للأخرق (يعني أشر عليه) .

قال : فإن كنتُ أخرق ممن أصنع له ؟ .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : فأصمِتْ لسانك إلا من خير ، أما يُسرّك ان تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنة)(١٠٥٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (نجاة المؤمن حفظ لسانه)(١٠٥٧) .

وجاء رجل اليه صلى الله عليه وآله وسلم :، فقال (يا رسول الله اوصني ! قال : إحفظ لسانك . و قال : يا رسول الله أوصني ؟ قال : إحفظ لسانك ، قال يا رسول الله اوصني : قال أحفظ لسانك . ويحك ! وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد السنتهم ؟)(١٠٥٨) .

ان اللسان اذا أطلق . اغتاب وخاض في الباطل ، وكذب وبهت واستهزأ و . . و . . وكلها مما يسبب دخول النار .

والانسان الساكت يغنم ولا أقل من أنه لا يلقي بنفسه الى التهلكة ، وهل هذا قليل ؟ .

أما من اعتاد الحق والذكر فما أحسنه ،وكلامه خير من سكوته ألف مرة !

وقيل ـ لعيسى بن مريم عليهما السلام ـ: (دلّنا على محل ندخل به الجنة ؟ قال : لا تنطقوا أبداً ، قالوا : لا نستطيع ذلك . . قال : فلا تنطقوا إلا بخير)(١٠٥٩) .

وقوله عليه السلام : مبالغة وجذب للزمام ليعتدل الكلام وإلا فالنطق بخير . . دأب عيسى عليه السلام : ﴿ ويكلِّم الناس في المهد وكهلاً ﴾(١٨٤) .

وقال عليه السلام : « **العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفِرار من الناس** »(١٠٦٠) .

وعن أبي عبد الله قال : كان المسيح (ع) يقول : (**لا تكثروا الكلام في غير ذِكّر الله فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون**)(١٠٦١) .

وعن الامام الباقر عليه السلام انه قال : « **كان أبو ذر رحمه الله يقول : يا مبتغي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير ، ومفتاح شر ، فأختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك** »(١٠٦٢) .

فإن الذهب والورق ، كما لا ينفعان إلا لخير فعلى الانسان ان لا يتكلم إلا الخير .

وقال عليه السلام : « **إنما شيعتنا الخُرُس** »(١٠٦٣) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **في حكمة آل داود : : على العاقل ان يكون عارفاً بزمانه مُقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه** »(١٠٦٤) .

وفي الحقيقة : ان من جمع هذه الخصال الثلاث كان مكتمل العقل . وقليلٌ ما هم !

وقال عليه السلام : « **لا يزال العبد يكتب محسناً ، ما دام ساكتاً ، فاذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً** »(١٠٦٥).

وقال عليه السلام : « النوم راحة للجسد ، والنطق راحة للروح ، والسكوت راحة للعقل »(١٠٦٦) .

إن الروح تريد الإنطلاق ، فإنطلاقها الكلام ، اما العاقل العارف بمغبة كثير من الكلام فراحته السكوت .

وقال عليه السلام : « **الصمت كنز وافر ، وزين الحليم ، وستر الجاهل** »(١٠٦٧) .

وقال الرضا عليه السلام : « إحفظ لسانك تُعزَ ، ولا تمكنَّ الناس من قيادك فتَذِل رقبتك »(١٠٦٨) .

وقال عليه السلام : « من علامات الفقه : الحلم والعقل والصمت . ان الصمت باب من ابواب الحكمة ، ان الصمت يكسب المحبة ، انه دليل على كل خير »(١٠٦٩) .

وقال عليه السلام : « ان الرجل من بني اسرائيـل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك بعشر سنين »(١٠٧٠) .

وللسكوت من الفضيلة أكثر من ذلك وأكثر :

يُقال : ان احد النسّاجين نسج قطيفة ثمينة وأهـداها إلى مَلِك من الملوك ، فأستحسنها الملك وأمر بأجازته جائزة كبيرة . ثم سأل وزراءه ، عما يصلح له هذه القطيفة فقال كل بما يرتأيه من الصلاح ، لكنه استثنى وقال : لا بدّ وان ناسجها أعرف بما يمكن ان تصلح له فسأله الملك عن ذلك ؟ .

ففكر الناسِّج طويلاً ثم قال : انها تصلح لطرحها على جنازة الملك !

غضب الملك من مقاله وأمر بقتله ، لكنّ احد الحاضرين استمهل الملك يقول : كنتُ الليلة البارحة أترقب النساج كي اتمكّن من سرقة قطيفته وكنت أراه طول الليل يقول : اللهم إحفظ رأسي من لساني . . انه غير عامد بل لسانه ليس بأمره ينطلق الى المهاوي من غير خبث في ذاته .

فعفى الملك عنه . . وأكرمه !

* * *

الجَـــــاه

أيٌّ مِنّا لا يحب مقاماً مرموقاً ، ومنِصباً خطيراً ومكانة إجتماعية رفيعة ؟ .

كلنا يحب ذلك . ولكنّ الاسلام يحدد ذلك تحديداً في صالح الفرد والمجتمع . تحديداً يضر هذا الحب ـ لولاه ـ بنفس الشخص أولاً وبسائر الناس ثانياً .

وما تحديده ؟ .

تحديده : ان لا يحصل الجاه بالحرام ، ولا يحافظ عليه بالحرام ويكون مقصده من الجاه خدمة الإسلام المنطوي على خير الدنيا والآخرة وفي القرآن الكريم :

﴿ واجعلنا للمتقين إماماً﴾(١٨٥) .

لكن لّما كان الانسان ـ غالباً ـ يحصل الجاه بالحرام أو يحافظ عليه بالحرام أو يطلبه لأجل غايات مادية بحتة التي بدورها تؤدي الى عدم خدمة الناس والدِّين ، ذم الاسلام حبه ذماً قارصاً أورصد لمحبيه أكبر القَدْح والازدراء .

قال سبحانه : **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلّواً في الأرض ولا فساداً ﴾**(١٨٦) .

وقال سبحانه : **﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِ اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾**(١٨٧) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب ، كما ينبت الماء البقل**)(١٠٧١) .

ان الشخص يريد ان يتحفظ على جاهه أو ماله ، فلا بد ان يُرضي الناس بما هو خلاف الواقع يقول : لا مال لي ـ إبقاءاً على ماله ـ وهو نفاق وتملق بما لا يستحق الممدوح وهو يعلم انه لبس يستحق ، وهو نِفاق . . . وهكذا . . .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم ، قد تفرق رعاتها بأضرَّ في دين الرجل المسلم من الرئاسة**)(١٠٧٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : حسب امرىء من الشر ـ إلا من عصم الله ـ ان يشير الناس اليه بالاصابع)(١٠٧٣) .

وقال الإمام امير المؤمنين عليه السلام : « **تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتُذكر وتعلم واكتم ، تستر الابرار وتغيظ الفجار** »(١٠٧٤) .

وقال الامام الباقر عليه السلام : «**لا تطلبنَّ الرياسة ولا تكن ذئباً ، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله**)»(١٠٧٥) .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « **إيّاكم وهؤلاء الرؤساء ، الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال إلا هلك وأهلَك** »(١٠٧٦) .

هذا اذا كان يحب ذلك رئاسة للدنيا .

اما ما كان يصنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إلتفاف أصحابهِ حوله اينما توجّه فقد كان للآخرة ـ والآخرة فقط ـ وقد كان يرسل أناساً من المحتفين به الى أعماله صلى الله عليه وآله وسلم ولذا كانوا حوله لنشر الدعوة حتى في الطريق والسفر لا للكبر والرياسة .

وقال عليه السلام : « **ملعون من ترأس ملعون من هَمّ بها ، ملعون من حدّث بها نفسه** »(١٠٧٧) .

وقال : « من طلب الرياسة هلك »(١٠٧٨) .

وقال عليه السلام : « أترى لا أعرف خياركم من شراركم ؟! بلى والله ان شراركم من احب أن يوطأ عقبه انه لا بدّ من كذّاب أو عاجز الرأي »(١٠٧٩) .

وكم تقدر نزاهة الرؤساء لو أتبع ميزان الاسلام فتجنب الرئاسة كل رئيس حتى ألقت بازمتها ـ على كُرْه منه ـ اليه ؟ .

وفي الحقيقة ان المنهج الاسلامي في الرياسة افضل المناهج التي عرفها العقل البشري . . إنه الاسلام الحكم من عند إلهٰ عليم فهل يماثله شيء ؟ كلا ! والف كلا !! جعلنا الله ممن فقه الاسلام وعمل به ، ونشره بين المجتمع وأسعده بالاسلام في الدنيا والآخرة وهو المستعان.

الجزء الرابع



مقدّمة الجزء الرّابع

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على اعدائهم .

هذا هو الجزء الرابع من (الفضيلة الإسلامية) .

وقد ذكرنا في الاجزاء الثلاثة الماضية : ان والدي رحمه الله ، كان هو السبب الآمر لتأليفي : !

انه قُدِّس سره ، قد مات ، ولكن لم ينقطع عني أثره الذي خلّفه من بعده ، ولم يمح عن ذاكرتي ذكراه . . وفي كل صباح ومساء ، أراه - حينما يمرّ خاطري بذكراه - يحثني على العلم والعمل ، كما كان كذلك (ره) في زمن حياته .

وهل أتمكن من ارضائه ، وهو في الجنان ، بما تقربه عينيه ؟ .

أسأل الله ذلك !

وأسأله سبحانه : ان يرحمه كما ربّاني صغيراً، وان يجزيه بالإحسان احساناً ، وبالسيئات غُفراناً ، والوالد (ره) وان كان هو السبب في التأليف ،

إلا أني رأيت أن أُهديَ ثواب هذا الجزء الى السيدة الوالدة التي رحلت عنا الى جنان الخلد قريباً ، وأسأله سبحانه ان ينقلها من ضيق القبور الى سعة الدور والقصور وهو المستعان .

وبعد : ربما يَظن الظان إني أُكْثِر من الأمر بالفضيلة ، والكتابة حولها .

وهل هذا الظن صُحيح ؟ .

لو عرفنا : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (**انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق**) لعرفنا ان الفضيلة في المجتمع اقل من القليل ، قولاً ، وكتابة . . اما العمل على طبقها ، فذاك حظ الأوحدي من الناس . فأيّ تعدٍ فيما كتبناه ؟ .

ولو يرى الانسان ألف كتاب في الفضيلة وألف كتاب . . لرأى هذا العدد قليلاً بالنسبة الى الواجب ، فكيف بكتيب وكتيب ؟! . . .

والله المسؤول ان يوفقنا جميعاً للعلم والعمل وهو المستعان .

الخُمُــــول

إنتهى بنا المطاف ـ في الجزء الثالث ـ الى ما للشهرة وحبها من آفات . . .

فهل معنى ذلك إنّ الإسلام يأمر بالخمول ، والإنزواء ؟

كلا ! انه لا رهبانية في الاسلام .

وقد اختلط الأمر على كثير :

إنهم يرون ذمّ الغني والشهرة والرئاسة وما أشبه . . فيظنون ان الذمّ منصب على ذات هذه الأمور .

وقد تقدم ـ في بعض الاجزاء ـ ان النفس حيث تنقاد الى الرذائل بسهولة ويُسّر ، احتاط الاسلام في جذب الزمام ، حتى يعتدل الأمر ، ويستقيم الطبع .

فالغنىٰ حسن ، لكن حيث يلازمه الاعتلاء والكبر والاحتكار ونحوها يذمه الاسلام .

والشهرة حسنة ، ولكن حيث كان الغالب مقارنتها لصفات رديئة ورذائل خلقية ، يكرهها الاسلام .

والرئاسة التي تُقضي بها الحوائج حسنة ، لكنها تلازم في غالب النفوس التعدي عن الحق والتجاوز عن الحدود ، ولذا يمقتها الاسلام .

وهل غير الشهير الرئيس الثري . . يتمكن من قضاء الحوائج وإفراج المضيقات ؟ .

ولذا نرى انبياء الله تعالى وأوصياءهم .. حازوا شهرة كاملة ورئاسة مطلقة... ولِمَ ؟ لأن هذه فقط تشق الطريق امام الرسالات والفضائل الفردية والاجتماعية .. ارأيت : ان رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث لم تعضده الشهرة والرئاسة والقوة والمال.. لم يدخل في دينه الإسلامي إلا أنفار قلائل .

أما حيث واتته الشُهرة والمِنعة ، والقوة والثروة ، نزلت :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً ، فسبِّح بحمد ربك ، واستغفره انه كان تواباً ﴾[١٨٨] .

وهناك فرق بين من يجعل هذه الأمور وسائل لنشر الفضيلة ، وإعلاء كلمة الحق ، والعمل بالعدل .. وبين من يجعلها غاية ، يكدّ ويجهد ، ويتعب ويسهر ، للاغتراف من أكبر قدر ممكن منها .

وعلى أيٍّ فالاسلام انما يمدح الخمول ، جذباً للزمام ، وتعديلاً للسير ، لا أنه يمدحه بذاته ، وبهذه النظرة الواقعية على المرء أنْ ينظر الى اخبار ذم الشهرة والمال وما اشبه .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(ان اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الاتقياء الاخفياء ، الذين إذا غابوا لم يُفقدوا واذا حضروا لم يُعرفَوا ، قلوبهم مصابيح الهُدىَ ، يتحول من كل غبراء مظلمة)**(١٠٨٠) .

وقال صلى الله عليه وآله ؛ **رُبَّ ذي طَمْرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبّره ، لو قال اللهم أسألك الجنة لاعطاه الجنة ، ولم يعطه من الدنيا شيئاً)**(١٠٨١) .

وقال صلى الله عليه وآله : **(ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعَف ، لو أقسم على الله لابّره)**(١٠٨٢) .

وقال صلى الله عليه وآله **(ان أهل الجنة : كل أشعث أغبر ذي طمرين ، لا يؤبه له ، الذين اذا استأذنوا على الأمراء ، لا يُؤْذن لهم ،**

واذا خطبوا النساء لم يُنكَّحوا ، وإذا قالوا ، لم يُنصت لهم ، حوائج احدهم تخلخل في صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لَوَسِعهم)(١٠٨٣) .

ثم . . أليس تسلي هذه الأحاديث الاتقياء الاخفياء، الذين لم يسعهم الجري في مجاري الحياة ، خوفاً من جائر ، أو تجنباً عن آثم ؟ . . .

وأليس من حقّ الإسلام ان يشمل الغني والفقير ، والشهير والخمول . . بعطفه ولطفه ، حتى لا يقتل الفقير والخامل اليأس ، ولا يطغى الغني والشهير المال والجاه ؟ .

حتى ان الاسلام يُسلّي من بهت أو قذف بخير الدنيا والآخرة .

أليس في الآية الكريمة ، في قصة القذف الشائنة ، قوله تعالى : ﴿ **ان الذين جاؤوا بالأفك ، عصبة منكم لا تحسبوه ، شراً لكم ، بل هو خير لكم** ﴾(١٨٩) .

وقال (ص) : (**إنّ من أمتي مَنْ لو أتى أحدكم يسأله ديناراً ، لم يعطه إياه ، أو يسأله درهماً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله تعالىٰ الجنة لاعطاها إياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطها إياه ، وما منعها إياه لهوانه عليه)(١٠٨٤)** . . بل منعها إياه لأنه علم : ﴿ **ان الانسان ليطغىٰ إنْ رآه استغنى**﴾(١٩٠) .

وفي الحديث : « ان من الناس من لا يصلحه إلا الفُقْر ، ولو اغنيته لطغىٰ » .

وكم رأينا خاملاً اشتهر ، فتتجاوز الحدود ! . أو فقيراً أثرىٰ فطغىٰ وكذّب وتولىٰ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**قال الله عزّ وجلّ : ان من أغبط أوليائي عندي ، رجلاً خفيف الحال ، ذا حظ من صلاة ، احسن عبادة ربه بالغيب ، وكان غامضاً في الناس ، جعل رزقه كفافاً فصبره عليه ، عجلت منيته ، فقلّ تراثه ، وقلّ براكيه)(١٠٨٥)** .

ثم : بعد ذلك ، لا يبقى مجال للتساؤل : فهل يحق لنا ان نطلب الخمول ؟ .

فإن الإجابة على هذا السؤال ، كالإجابة على سؤال : هل يحق لنا ان نطلب من يقذف أعراضنا ؟ .

انه لا يحق لنا ذلك ، ولو طلبناه كنا معاقبين، وليس معنى الآية : ﴿ بل هو خير لكم﴾[١٩١] انه خير مطلوب ، بل معناه : ان هذا ، الأمر المكروه ، يطهِّر نفوسكم ويجزل ثوابكم ، كما نقول لمن قتل ظالم بعض ذويه : انه خير لك ، فلا تغتم .

وكما لا يحق لنا ان نطلب القذف. . . لا يحق لنا ان نطلب الخمول .

نعم . . لو خملنا بظروف قاسية ، يلزم علينا ان لا نحسبه شراً بل هو خير لنا !!

هَلْ تُحب أنْ تُمْدَح ؟

نعم . . كلنـا نحب أن نُمدَح . . ونكـره أن نُـذَم . . وهـل ذلـك مذموم ؟ .

كلا ! أليس الله احب أنْ يُمدح وكره أن يُذم ؟ اليس الأنبياء والأئمة حثّوا على ذكر فضائلهم ، والتجنب عن ذمهم ؟ .

اجل . . فرق بين من يحب المدح ويكره الذم لذاتها ، وبين من يجعلها لغاية . . كما إنه فرق بين من يعمل لإجلها ، وبين من يعمل إخلاصاً من دون نظر الى مدح وذم .

إنّ الأنبياء والأئمة احبوا المدح غاية لا ذاتياً ، إنهم أحبوا ان يُذكروا بالصدْق والامانة ، والورع والتقوى . ليتخـذهم الناس إسـوة فيسعدوا في الحياة ، وهم إنما يعملون اخلاصاً وحسبة ، لا لأن يمدحوا .

وفـرق بين من احب ان يتبعـه الناس في الـطريق ، ليـوصلهم الى الطريق . . وبين من احب أنْ يتبعوه ليسمع خفع النعال من خلفه .

والانسان الذي يحب المدح وسيلة ، نراه يعمل للغاية وهي الحق ، وان ذمه الناس وازدروه وقالوا فيه مقالات . . وذلك بخلاف الانسان الذي يتخذه غاية ، فإنه لا يَفتىء يعمل للمدح سواء كان عمله حقاً أو باطلاً ، مثوبة أو إثما ، فهو يذبح المثل السامية على مذابح الشهرة والصيت ، بينما الشخص الأول ؟يضحي بكل ما لديه لأجل الحق والفضيلة .

لكن لمّا كان غالب الناس يحبون المدح ، غاية ، لا وسيلة . . صبّ الاسلام ذمّه المُقذِع على من أحب المدح :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(إنما هلك الناس بأتباع الهوىٰ ، وحب الثناء)**(١٠٨٦) .

وقال صلى الله عليه وآله : **(رأس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى)** (١٠٨٧)

ثم .. ان المدح ـ في الغالب ـ يُغري الممدوح ، فيتكبر ـ أولاً ـ ويترهل عن الخير ـ ثانياً ـ ولذا يكره الاسلام المادح ، الى جنب كرهه من احب المدح .

أثنى رجل على رجل ـ والنبي صلى الله عليه وآله حاضر ـ فقال صلّى الله عليه وآله وسلم : **(لو كان صاحبك حاضراً ، فرضى بالذي قلت ، فمات على ذلك ، دخل النار)**(١٠٨٨)

وقال صلى الله عليه وآله ـ لمادح آخر ـ: **(ويحك ! قطعت ظهره ، ولو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة)**(١٠٨٩) .

وقال صلّى الله عليه وآله : **(ألا لا تمادحوا ! واذا رأيتم المدّاحين ، فاحثّوا في وجوههم التراب)**(١٩٠) .

ومن الظريف : ان الاقدار تعاكس من يحب المدح ويكره الذم ، فيذمه الناس ، أليس يعمل للمدح ؟ فهو ليس بمخلص وسرعان ما يعرف الناس دخيلة قلبه ، فلا يمدحوه أبداً . . . ولو مدحوه كُرْهاً ، كان أقرب الى الذم ، ولا يذهب زمان حتى ينقضّوا عليه ، ينقضوه وينقضوه كفاء ما مدحوه .

نعم .. يجب مدح المصلحين والصالحين .. ليتأسىّ بهم الناس ، كما يلزم ذم المفسدين والفاسدين ليتجنبهم الناس .

كما أن المدح على شخص ، لا يغتر ولا يتكبر بالمدح ، بل يكون محفزاً له على المضي في الخير اكثر فأكثر .. لا بأس به ، بل هو من التشجيع والمعاونة في الخير المأمور به في الآية الكريمة : **﴿تَعَاونوا على البرّ والتقوىٰ﴾**(١٩٢) .

الإخْـــلَاص

الأرض انما تعمر بـالعمل . . . والنفـوس انما تستقيم بـالعمل . . والحضارة انما تزدهر بالعمل . . والفضيلة انما تحصل بالعمل . . والفضاء انما تغزى بالعمل . . والمشاكل انما تحلّ بالعمل . . إذاً : فالعمـل هو الجهـاز الوحيد الذي يؤمن مختلف ميادين الحياة ، ويعبّد جميع طرق الدنيا والآخرة .

ولكن . . كما ان في العِمْلة صحيحاً وزيفاً ، وكما ان من الأرض ، عذبة وسبخة . . كذلك من العمل ما هو لا يوصل الى النتيجة المطلوبة ، بل كثيراً ما يوجب إنعكاس الأمر ، ومنه ما هو يُؤدِّي إلى الأمر المطلوب .

أما العمل المزيف فهو العمل المُرائي فيه ، الذي يؤتىٰ لسماع الناس أو رؤيتهم .

وأما العمل الصحيح فهو الـذي يؤتىٰ بقصد الإخـلاص ، وخدمـة الحقيقة ، فحسب .

والبون بين العملين « كبعد الأرض من جو السماء » .

ان البنّاء لو بنى الدار بقصد أن يُقال عنه : انه بانٍ ماهر ، تراه لا يهتمّ بالحقيقة ، وإنما يبني ما ظهر وبَان ، وجلْب انتباه الناس ، اما الاساس فهو بمعزل عن قصده . . فلا تمر إلا أيام قلائل ، واذا بالدار تهدم ، والمبالغ المصروفة تكون وبالاً مزدوجاً على صاحبها فإنه مضافاً الى ما خسر ولم يحصل على غاية طيبة ، يحتاج الى استئجار عمّال أو وسائل نقل ، لاخراج الانقاض المهدومة من ارضه ليبنيها من جديد !

وهو بخلاف الباني المخلص ، فإنه يهتم بالإساس اهتمامه بالمظاهر ،

فيربح ربحاً مزدوجاً ، عكس ذاك .

وهكذا الأمر ، في جميع شؤون الدنيا والآخرة .

ولذا نرى الاسلام ـ الذي يحب الحق والحقيقة ـ أكّد على الاخلاص في الاعمال ، كلها ، وكره الرياء كراهة عميقة ، وطاردها حتى عمّا لو كانت كدبيب النمل في الليل المظلم على الصفا الصلد .

قال الله تعالى : **﴿ وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**(١٩٣) .

وقال تعالى : **﴿ ألا لله الدين الخالص﴾**(١٩٤) .

وقال تعالى : **﴿ الا الذين تابوا ، وأصلحوا ، واعتصموا بالله ، وأخلصوا دينهم ﴾**(١٩٥) .

وقال تعالى : **﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يُشرك بعبادة ربِّه احداً ﴾**(١٩٦) ففي التفسير : انها نزلت في من يعمل لله ، ويحب ان يحمد عليه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(اخلص العمل ، يجزك منه القليل)**(١٠٩١) .

ان العمل الكثير من غير اخلاص كالماء الكثير المالح ، فهل ينفع أو يروي الغلة ؟. ان الماء القليل العَذْب يروي بقدره ، اما المالح الكثير ، فلا يروي من الظمأ ، بل يزيد العطش وهكذا العمل المخلص فيه بالنسبة للعمل الريائي .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ما من عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوماً ، إلا ظهرت ينابيع الحِكمة من قلبه على لسانه)**(١٠٩٢) .

ان الذي يخلص ـ بتمام معنى الكلمة ـ في هذه المدة الطويلة لا بد وان يتلقى من الآيات الكونية ، والدساتير الشرعية ، قدراً لا بأس به من المعارف

والحكم ، فيكون قلبه كمُعينْ عذب ، لا بدّ وان يجري منه على لسانه .

ولكن . . هل الاخلاص التام - وخصوصاً أربعين يوماً - يأتي إرتجالاً وبدون مقدمات؟ كلا ! إنه يحتاج الى مجاهدات طويلة ، حتى يتمكن الانسان : ان يأكل وينام ويلبس مُخلصاً . . ويتكلم ويتحرك ويسكن مُخلصاً . . ويقرأ ويكتب وينظر مُخلصاً . . ويعطي ويمنع ويقصد مخلصاً . . وهكذا .

وخصوصاً يستمر الأخلاص التام ، اربعين يوماً .

وهل ترى ذلك عملاً هيناً ؟ انه تزول الجبال الرواسي ، قبل هذا العمل الجهادي المُضني . . فهل ترى بعد ذلك : يصح قول القائل : اني اخلصت فلِمَ لم تجرِ الحكمة على لساني ؟ . أو فلان اخلص ، فلم نراه كما نرى سائر الناس ؟. ولذا يقول الأمام الباقر عليه السلام : « ما اخلص عبد الايمان بالله أربعين يوماً ، إلا زهده الله تعالى في الدنيا ، وبَصّره داءها ودواءها ، وأثبت الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه » .

والاخلاص هو الذي ينبغي للمرء أن يهتم به . . فما فائدة طن من الحصاء ، ازاء مثقال من الماس ؟ يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام :

« لا تهتموا لقلة العمل ، واهتموا للقبول »(١٠٩٣).

ويقول عليه السلام : « طوبىٰ لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينسَ ذكر الله بما تسمع أُذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره »(١٠٩٤) .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ ليبُلَوَكم أيكم أحسن عملاً﴾[١٩٧] : « ليس يعني اكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً ، وإنما الإصابة خشية الله ، والنية الصادقة »(١٠٩٥) ثم قال عليه السلام : « الإيفاء على العمل حتى يخلص أشدّ من العمل ، والعمل الخالص : الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد ، الا الله عز وجل ، والنية

افضل من العمل ثم تلىٰ قوله عز وجل : ﴿ قل: كل يعمل على شاكلته﴾[198] « يعني على نيته »(1095) .

والذي يريد الاخلاص ، احتاج بدء الأمر الى مراقبة دقيقة وتعب مستمر ، فيلاحظ كل عمل من اعماله ، وينقدها نقد الصرّاف ، الدرهم المشكوك ، فإن رآه زيفاً ، طرحه، وإلا حفظه . . وهكذا من يريد الاخلاص . . حتى يتيقن من حصول ملكة الاخلاص ، وفي هذه الحال تقع الاعمال منه متصفة بالاخلاص ، عفوياً ، من غير إحتياج الى دقة المراقبة .

* * *

قال تعالىٰ ﴿ والذين ينفقون اموالهم ريّاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾[199]

أما الرياء . . وما أدراك ما الرياء ، انه يسبب تبار العمل وفساده . ويذر الحقائق بلا تعب ، لا يُصلح دنيا ، ولا ينفع آخرة .

ارأيت لو علمت ان المصلي يصلي رياءاً ، فهل تقيم لصلاته تلك وزناً ؟ أو لو علمت ان الثري بنى داره الفخمة ، ليقال عنه : انه غني ذو مال ، فهل تراه نظيف القلب؟ كلا ! ان الانسان جُبل على ذم الرياء والُمرائي ، وازدراء العمل المرائي فيه ومن يأتي بذلك العمل . . هذا بالإضافة الى ان العمل لو كان رياءاً ، ابتعد عن الحقيقة ، وكان أقرب الى النِفاق ، فالُمزكي الذي يزكي رياءاً ، لا يزكي إذْ لا يراه أحد ، ومن يبني ليقال عنه : انه ثري . . . لا يبني اذا علم عدم هذه المقالة في حقه .

ولذا ترى الاسلام يمقت الرياء ، ويذم صاحبه ، وينظر الى عمله نظرة الى السراب المخادع ، ولا يقيم لطاعاته وعباداته وزناً بل بالعكس يعد المرائي كل عقاب وعذاب .

يقول القرآن الحكيم في ذم اناس : ﴿يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾[200] .

ويقول : ﴿ كالذي ينفق ماله رئَاءَ الناس ﴾[201] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنّ أخوف ما أخاف عليكم : الشِرْك الأصغر ، قالوا : وما الشِرْك الأصغر ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : الرِياء)(١٠٩٦) .

يقول الله عز وجل ، يوم القيامة للمرائين ، اذاجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم ترائون لهم في الدنيا ، فأنظروا هل تجدون عندهم الجزاء ؟)(١٠٩٦) .

انه شرك ! ولِمَ لا يكون شركاً ؟ أليس أشرك بالله تعالى غيره من الذين ينظرون الى عمله ، ويأتي المرائي العمل لله ولهم ؟ .

إذاً : فليس لهم عند الله ثواب .. انه يريد العمل الخالص ، وعمل المرائي ليس بخالص .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إستعيذوا بالله من جب الحزن !! قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال (ص): وادٍ في جهنم أعدّ للقراء المرائين)(١٠٩٧) .

ومن هم القراء المراؤون ؟ الذين يقرأون القرآن . رياءاً لا عبادة ، وما اكثرهم في هذا الزمان ؟

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (يقول الله تعالى : من عمل لي عملاً ، اشرك فيه غيري ، فهو له كله ، وأنا منه بريء ، وأنا أغنى الاغنياء من الشرك)(١٠٩٨)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يقبل الله تعالى عملاً ، فيه مثقال ذرة من الرياء)(١٠٩٩) .

وكم مثقال الذرة ، وما هي الذرة ؟؟ الذرة هي التي ترى في الشمس ، اذا دخلت أشعتها الغرفة أو نحوها ، من الكوة .. والمراد بالمثقال : ثقلها ..

فكم تقدر ثقل الذرة ؟ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(أن أدنى الرياء شرك)**(١١٠٠) .

أليس جعل الله وغيره شريكاً في العمل ؟ وان كان المجعول لغيره مقدار واحد في عشرة آلاف . وأليس من أعطى عشرة آلاف إلا واحداً شريكاً لمن أعطى واحداً ضمن ما اعطى الأول ؟

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان المرائي ينادىٰ عليه يوم القيامة ، يا فاجر ! يا غادر ! يا مرائي . . ! ضلَّ عملك وحبط أجرك ، اذهب فخذ اجرك ممن كنتَ تعمل له)**(١١٠١) .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يبكي ! فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : **(اني تخوفت على أُمتي الشرك . . اما انهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ، ولا قمراً ، ولا حجراً ، ولكنهم يراؤون بأعمالهم)**(١١٠٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم ، وتحسن فيهم علانيتهم ، طمعاً في الدنيا ، لا يريدون به ما عند ربهم ، يكون دينهم رياءً ، ولا يخالطهم خوف ، يعمهم الله بعقاب ، فيدعونه دعاء الغريق ، فلا يستجيب لهم)**(١١٠٣) .

وما دعاء الغريق ؟ انه دعاء المتقطع ـ بتمام معنى الكلمة ـ ومع ذلك لا يُستجاب !

وهل يستجاب دعاء من يلقي نفسه من شاهق ، فيدعو في وسط الطريق ـ وهو يهبط ـ ان يحفظه الله من الوقوع !!

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به ! فاذا صعد بحسناته ، يقول الله عز وجل : . اجعلوها في سجين ، إنه ليس إيايّ اراد به)**(١١٠٤) .

وقال الإمام امير المؤمنين عليه السلام : **« اخشوا الله خشيةً ليست بتعذير ، واعلموا بغير رياء وسمعة ، فانه من عَمِل لغير الله وكلّه الله الى**

عمله يوم القيامة »(١١٠٥) .

والفرق بين الرياء والسمعة : ان الرياء هو ان يعمل الشخص عملاً ليراه الناس ، فيمدحوه أو يقع من نفوسهم موقعاً حسناً . . والسمعة هي ان يعمل الانسان عملاً ، ليسمع بعمله النـاس ، من دون ان يروه فعـلاً ، فيحصل على مدحهم واعجابهم ، وكلاهما شرك ، مذموم ، ومعاقب عليه .

اما هذه الرواية ، فتنسف غالب الأعمال الخيرية !

فمن منّا من لا يذكر عمله ؟

استمع :

قـال الامام البـاقر عليـه السلام : « **الإبقـاء على العمـل اشـدّ من العمل** » .

قيل : وما الإبقاء على العمل ؟ .

قال عليه السلام : يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده . لا شريك له ، فتكتب له سراً ، ثم يذكرها ، فتمحى . . . فتكتب له علانية ، ثم يذكرها ، فتمحى ، فتكتب له رياءاً »(١١٠٦) .

نعم . . ان ذلك لا بدّ وان يحمل : على ما اذا ذكرها مباهاة وافتخاراً ، اما اذا ذكرها لتشجيع الغير ، من دون ان يخطر بخاطره المباهاة ـ وقليل جداً من لا يخطر بخاطره ـ فذلك من الإعانة على البر والتقوى .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «**قال الله تعالى : انا خير شريك ، فمن عمل لي ولغيري ، فهو لمن عمله : غيري »(١١٠٧) .**

وهذا تشبيه ظريف : أليس الشريكان في التجارة ، لو فوض الشريك حصته الى شريكه كان خير شريك ؟ . . وكذلك العمل الذي يؤتى به لله تعالى ولغيره ـ رياءاً ـ فالله سبحانه يفوض حصته من العمل الى شريكه الذي روئي لأجله .

إذاً : فليأخذ المرائي ثوابه وأجْره من ذلك الشريك .

قال الإمام الصادق عليه السلام : **« كل رياء شرك ، انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله »**(١١٠٨) .

وقال عليه السلام ـ لعبّاد البصري ـ : **« ويلك يا عبّاد ! إيّاك والرياء ، فإنه من عمل لغير الله وكله الله من عمل له »**(١١٠٩) .

قال عليه السلام : **« اجعلوا امركم هذا لله ، ولا تجعلوه للناس ، فإنه ما كان لله ، فهو لله ، وما كان للناس ، فهو لا يصعد الى الله »**(١١١٠) .

ثم .. هل يحتاج الله الى عمل حتى يقبل الرياء ..؟ انه تعالىٰ لا يحتاج الى العمل الخالص فكيف بغيره .. لكنه سبحانه تطهيراً للنفوس وتنزيهًا لها عن الاوهام وما اشبه .. أمر بالعبادة ويثيب عليها ، اما العمل الخليط ، فهو تعالى غني عنه :

يقول الإمام الصادق عليه السلام : **« قال الله تعالى : أنا أغنىٰ الاغنياء عن الشريك ، فمن أشرك معي غيري في عمل ، لم أقبله ، إلا ما كان لي خالصاً »** .

وقد أبىٰ الله سبحانه لصاحب الرياء ، إلّا أن يظهره على الناس ، ويقلل في اعينهم عمله بخلاف ما كان له تعالىٰ ، فإنه يظهره للناس حسناً عظيماً ... أرأيت المجتمع يعرف المرائي من المخلص ؟ فمن أين ذلك ؟ انه من الله تعالى الذي يظهر الخير ويكثره ، ويُري المرائي ويقلل عمله .

قال الامام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل :

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه احداً ﴾(٢٠٢) .

« الرجل يعمل شيئاً من الثواب ، لا يطلب به وجه الله ، انما يطلب تزكية الناس ، يشتهي ان يسمع به الناس ، فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم

قال : ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الايام ابداً ، حتى يظهره الله له خيراً ، وما من عبر أسرّ شراً ، فذهبت الايام حتى ، يظهره الله له شراً »(١١١١) .

وقال عليه السلام : **« ما يصنع احدكم ان يظهر حسناً ، ويسر سيئاً ؟ أليس يرجع الى نفسه ، فيعلم ان ذلك ليس كذلك ..؟ والله عز وجل يقول : ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة﴾[٢٠٣] ان السريرة اذا صحت قويت العلانية »(١١١٢) .**

وقال عليه السلام : **« من أراد الله عز وجل بالقليل من عمله ، اظهره الله له اكثر مما أراده به ، ومن أراد الناس بالكثير من عمله ،في تعب من بدنه، وسهر من ليله ، أبىٰ الله إلا ان يقلّله في عين من سمعه »(١١١٣)**

وسر ذلك واضح ، اذ المرائي لا ينفك يرائي حتى يظهر رياءه من فلتات لسانه ، أو جوانب اعماله .. واذا عرف الناس منه رياءاً واحداً ـ فكيف بالكثير ـ ازدروه حتى ان اعماله الخالصة ، لتحترق في أعين الناس ، لأجل ذلك الرياء الواحد .

كالرجل الكذوب الذي لا يفتأ يكذب ، حتى يطلع الناس على كذبة واحدة في كلامه ، فلا يصدقون ، حتى فيما صدق فيه .

وقال الإمام الرضا عليه السلام ـ لمحمد بن عرفة ـ : **« ويحك يا أبن عرفة ! إعملوا لغير رياء ولا سمعة ، فإنه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ، ويحك ! ما عمل أحد عملاً ، إلا أراده الله به إنْ خيراً فخيراً وان شراً فشراً »(١١١٤) .**

فكيف نصنع ؟

هذا سؤال يسأله الكثير، في هذا الصدد .. كيف نصنع بما فُطِرنا عليه من حب إطلاع الناس ، وان كنّا نكره هذه الحالة من انفسنا ، أليس الانسان يسرّ بأطلاع الناس على اعماله الخيرية ؟ .

والجواب :

ان الاسلام لا يكره هذا ، بل يجعل له ثواباً ضعفاً .

رُويَ ان: رجلًا جاء الى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ، فقال : اني أسرّ العمل .. لا احب ان يطلع عليه احد ، فيطلع عليه ، فيسرني ؟ .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : **(لك اجران : اجر السّر وأجْر العلانية)(١١١٥)** .

اجر السرّ واضح ، انه عمل مخلص فيه ، وكم له من اجر ، واما اجر العلانية ، فلأنه يسبب إقتداء الناس ، وقوة الدين ، وإشاعة الخير .

وسئُل الإمام الباقر عليه السلام : عن الرجل يعمل الشيء من الخير ، فيراه انسان ، فيسره ذلك .

قال عليه السلام : **« لا بأس ، ما من احد إلا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير ، اذا لم يكن صنع ذلك لذلك . »(١١١٦)** .

وعن لسان النبي ابراهيم عليه السلام يحكي القرآن الكريم : **﴿ واجعل لي لسانَ صِدْقٍ في الآخرين ﴾(٢٠٤)** .

لكن مقام استواء الناس بنظر العامل ، حتى انه لا يفرح بإطلاعهم ،

ولا يحزن بعدمه ـ إلا من جهة الإسوة وما اشبه : مما هو راجع الى الله تعالى ايضاً ـ مقام رفيع ومنزلة سامية لا يلقها إلا الذين جاهدوا وراقبوا ، حتى لم يروا إلا الله تعالى .

ودعاء ابراهيم عليه السلام ، سؤال لـلإجل الإسـوة والإقتداء والله العالم ، وهو المستعان .

النِـــفَاق

هل رأيت احداً يحب النِفاق والمنافقين ؟ .

كلا ! انك لم تره ، ولم يره بَشر ، ولن يراه .

فلِمَ كلنا ينافق ؟ ولِمَ ترىٰ الظاهر في الناس على خلاف الباطن فكل يشرب حسواً في إرتغاء ؟ .

إنه النفاق : هو ان يظهر الانسان للناس بمظهر حسن جميل وينطوي على باطن سيء قبيح ، أما أنْ يخفي عن الناس صِلاتَه وصَلاته ، تَقرباً وزلفىٰ ، أو يمدحك خلف ظهرك ، ثم يتورع عن الرياء فيصمت أمامك . . فليس هذا من النفاق ، بل من احسن الخصال الذي لا يتحصل عليه الشخص إلا بمجاهدات نفسية شاقة ، لا يحصل عليها إلا ذو حظ عظيم .

اما النفاق ، سواء كان في الايمان والدين ، أم في العبادة والطاعة ، أم في العِشْرة والإجتماع . . . وسواء كان لطلب ثروة أو صيت أو زوجة أو منصب . . فهو من أرذل الصفات ، وأقبح الاعمال والملكات .

وفي كل انسان ـ الا من عصم ـ بذرة من النفاق ، فإن سقاها ورباها ، وعنى بها ورعاها . . أتت أُكَلها المرة ، وأصبح صاحبها منافقاً . . أمّا من راقب نفسه ، حتى أخرجها من قلبه ، ثم حصّن نفسه بالاخلاص والصراحة . . لم تمضِ مدة إلا ونقّى قلبه نقاء اللجين وصارت الفضيلة المتمثلة : في الصِدْق والاخلاص والصراحة ـ ملكة له .

وهناك ينَهال عليه المدح والثناء ، من الاقرباء والبُعداء ، يوضع موضع العِزّ والإحترام والإجلال والإعظام . . بخلاف المنافق ، فإنه مُهان مرذول ،

يُجتنب عنه اجتناب الإنسان عن الحيّة الملساء ، التي ظاهرها مليح ، وباطنها سم نقيع .

ومن هنا نرى الاسلام العظيم ، يذم النفاق ، ويلعن المنافقين ويجعل مكانهم اسفل السافلين : ﴿ ان المنافقين ، في الدرك الاسفل من النار﴾(٢٠٥) . ، ﴿ والله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾(٢٠٦) ، ﴿ ولكن المنافقين لا يفقهون﴾(٢٠٧) . وغيرها وغيرها .

يُروىٰ « ان الله تعالىٰ أوحىٰ الى عيسى المسيح عليه السلام يا عيسىٰ ليكن لسانك في السرّ والعلانية ، لساناً واحداً ، وكذلك قلبك ، إني احذرك نفسك ، وكفى بي خبيراً ، لا يصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان في غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الأذهان »(١١١٧) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من كان له وجهان في الدنيا ، كان له لسانان من نار يوم القيامة)(١١١٨) .

وجه يطريك ، ووجه يزريك ، فاذا شهدت مدحَكَ وأثنىٰ عليك ، واذا غِبتَ انتقصكَ وأهانكَ . . . ومن المعلوم ان لسانه المادح ، أو لسانه الذام ليس إثماً بذاته ـ لأن من يستحق المدح ، لا إثْم في مدحه ، ومن يستحق الذم لا إثْم في ذمه ـ وإنما صار له لسانان من نار ، لأن هذا العمل بذاته ، يجعل الحسن قبيحاً ، ألا ترى ان الناس يكرهون حتى مدح من يذمهم ، وقد ورد (من مدح وذم كذب مرتين) .

واليك المشهد الهائل المُخزي الذي يتقزّز منه الانسان ، ويقف شعر جلده ، ولو لم يكن للمنافق عقوبة إلا هذه لكفت هَوْلاً وتنفراً وهذا هو المشهد :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (يجيء يوم القيامة ذو الوجهين ، دالعاً لسانه في قفاه ، وآخر من قدامه يلتهبان ناراً ، حتى يلهبان خده ، ثم يُقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين ، يعرف بذلك

يوم القيامة)(١١١٩) .

وماذا يريد ذو الوجهين : هل خير الدنيا ؟ والحال انه في الدنيا ممقوت منفور ، لا يؤبه له ، وما حال من يرى مدحه قَدَحاً وثناءه ذماً ، وإطراءه نِفاقاً وكذباً ؟ أو خير الآخرة ؟ وقد رأيت مشهده الفظيع المخزي من ثنايا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد أردف الإمام الباقر عليه السلام هذه الصفة المخزية ، بما يلازمها غالباً ، وهو الحسد فإن المنافق لا بد وان يكون حسوداً إذ النفاق لا يكون إلا عن صغير النفس ، وكل صغير النفس حسود ، لا يتمكن ان يرى النعمة لغيره ، فهو دائماً يريد زوال النعمة .

قال الامام عليه السلام : « **لبئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري اخاه شاهداً ويأكله غائباً ، إن أعطيَ حسده ، وان ابتليَ خذله** »(١١٢٠) .

والمنافق بطبعه النفاقي ليس أميناً، ولو كان أميناً لكان أميناً في لسانه ، ولذا ورد في التوراة : « **بطُلت الامانة ، والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين ، يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين** »(١١٢١) . فلا يأمن الانسان المنافق ، ولا يودعه مالاً أو عرضاً أو ما اشبه ، فإنه يخون فيه .

ان الصفات الذميمة حلقات متسلسلة ، آخذة بعضها برقاب بعض ، فالنفاق ، والحسد ، والخيانة ، كلها مقترنة في سلسلة واحدة .

ولذا يلزم على الانسان أن يُجاهد ويجاهد لإزالة هذه الصفات من نفسه ، بقلع جذور النفاق ، فليتكلمه شاهداً أو غائباً بحق ، وإلا فإن كان جباناً لا يقدر على المجاهرة بالحق ، او كان هناك مصلحة تقتضي الرفق والمداراة فليسكت ، لا يطري شاهداً ، ولا يذم غائباً .

ومن غريب الصفات (عكس النفاق) .

فإن من الناس من يذم حاضراً ، ويُطري غائباً . . إنها صفة سبعية

تطاولية ، فاذا رأى الصديق ذمه ، إثباتاً لاعتلائه عليه وإظهاراً ، لشجاعته وجرأته ، فاذا غاب الصديق ، مدحه، حيث لا يجد مانعاً عن المدح .

وهذه الصفة ، وإن كانت أهون من الأولى ، إلا أنها مهلكة ، ورذيلة ، فالصديق مَنْ صَدَقَكَ ، وحفظك شاهداً وغائباً ، لا من أطراك في حال ، وذمك في حال مهما كان سبب الإطراء والذم ، وكيفما وضع الوصفين في المشهد والمغيب .

ألغُــــرُوُر

﴿ وكل شيء عنده بمقدار﴾[208] و ﴿ من كل شيء موزون﴾[209] هكذا يقول الله سبحانه في القرآن الحكيم ، فكل شيء مُقدّر بمقداره ، وكل شيء موزون بوزن .

وحيث ان الانسان ناقص بالطبع ، وأمامه درجات لا تتناهى ، دنيا وآخرة ، فكل ظن كمال ، خلاف الوزن والتقدير ، وخلاف الحق والحقيقة .

وهذا هو (الغرور) انك ان اغتررت بمالك ـ والمال عرضة الزوال ـ كنتَ مغروراً لأنه تقدير للمال ، بغير قدرة ، وان اغتررت بجمالك ـ والجمال ظل زائل ـ كنت مغروراً ، لأنه تقدير للجمال بالدوام وإمكان الاعتماد عليه ، بينما ليس هو كذلك ، بل يكون حيناً ويَعدم احياناً . وان اغتررت بعلمك ـ والعلم بحر لجّيٍ ، ولا يتمكن الانسان من احتوائه إلا كمن يقدر من اغتراف غرفة من البحر ـ كنت مغروراً ، لأنك ظننت الكمال ، وأنت بَعدُ في أول المراحل . . وهكذا من اغترّ بسلطانه ، وقوته ، وسائر مزاياه .

اما ان اغترّ بما ليس بمزية واقعية ، فهو (مغرور مركب) مثل (الجاهل المركب) انه مرة مغرور لأنه حسب النقص كمالاً ، ومرة اخرى مغرور ، لأنه حسب الوصول الى النهاية في كماله المزعوم .

من هذه الجهة ، كان الغرور مذموماً ،ـ انه كذب وخلاف الواقع .

من جهة اخرى يكون مذموماً ، لأنه يوقف بالانسان الى المراتب الدانية من الكمال ، ويجمد الفكر عن الانطلاق نحو آفاق ، الكمالات الواسعة ، ونحو إبعاد الفضيلة الشاسعة .

ولذا ذمّه الاسلام ذماً قارصاً ، وأرصد له اكبر قدر من التنفير والذم .

قال القرآن الحكيم : ﴿ فلا تغرّنكّم الحياة الدنيا ﴾[٢١٠] فتقعدون عن اكتساب الكمال اللائق بكم اعتماداً على الدنيـا ، وما قـدمت اليكم من بهارجها وزيفها : ﴿ ولا يغرّنكم بالله الغرور ﴾[٢١١] فالغرور هو الشيء الذي يسبب غرور الانسان ، سواء كان مالاً أو جاهاً أو عِلماً أو عملاً . . فإن هذه الأمور تغرّ الانسان (بالله) فلا يدرك ما أراده الله سبحانه في السير السريع الدائب نحو الفضيلة والعمل الصالح .

وفي آية اخرى ، تذم أهل الغرور ، يقول سبحانه : ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم ، وتربّصتم ، وارتبتم وغرّتكم الأماني ، حتى جاء امر الله وغرّكم بالله الغرور ﴾[٢١٢] .

ولنقف قليلاً عند قوله تعالى : ﴿ وغرّتكم الأماني ﴾ ان الانسان يتمنى (بقاء المال) و(بقاء العمر) و (بقاء الأولاد) و (بقاء المنصب) كما يتمنى الامور المستقبلة ، من جاهٍ يترقبه ، أو مالٍ ينتظره أو ما اشبه ، وهذه الأماني هي التي تحول بين الانسان وبين الطاعة ، فاذا قلت له : لِمَ لا تحج ؟ قال : في السنة المقبلة ـ لأنه يتمنى بقاء العمر ـ واذا قلت له : لِمَ لا تُزكي ؟ قال : سوف أُزكّي ـ لأنه يتمني بقاء ماله أو وفرته . . واذا قلت له : لِمَ تصرف عمرك باطلاً ؟ قال : سأتجرد للعلم والعمل ـ لأنه يظن ان العمر سيمتد به حتى يفعل ما يريد وهكذا « واذا عصارة كل ذاك انامه » .

ان الخير لا يحصل بالامنية ، والشـر لا يذهب بـالامنية : ﴿ ليس بامانكيم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجزَ به ﴾[٢١٣] .

ولذا ورد الرصيد الكبير من الروايات حول ذم الغرور .

قال رسول الله صـلى الله عليه وآلـه وسلم : (حبّذا نـوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقىٰ وإجتهادهم ، ولمثقال ذرة من صاحب تقوىٰ ويقين أفضل من ملاءِ الأرض من المغترين)(١١٢٢) .

أرأيت كيف يربح المهندس الذي يشتغل ساعة ، وينام طول ليله بملأ جفنيه ، حينما يخسر العامل وإنْ كَدَّلَيل نهار ، إنّ الأول يأخذ بتصميم بناء في نصف ساعة خمسة دنانير ، بينما الكادح يأخذ ديناراً لعمل اثني عشرة ساعة ؟ .

وهكذا الفرق بين (المتقي) الذي يُصلّي واجبه ، وينام ليله وبين (المغرور) الذي يُصلي ليل نَهار يظن ان صلاته عظيمة ، وانه قد أسدي بذلك خدمة كبرى لله سبحانه .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : **« المغرور في الدنيا مسكين ، وفي الآخرة مغبون ، لأنه باع الأفضل بالأدنى ، ولا تعجب من نفسك ، فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك ، ان لعلّك تبقى ، وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك واصحابك ، لعلك تنجو بهم ، وربما اغتررت بجمالك ومنيتك وأصابتك مأمولَكَ وهواك ، فظننت انك صادق ومُصيب ، وربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك في العبادة ، ولعلّ الله يعلم الإخلاص ، وربما افتخرت بعلمك ونسبك ، وانت غافل من مضمرات ما في غَيبْ الله تعالى ، وربما توهمت انك تدعو الله تعالى وانت تدعو سواه ، وربما حسبت انك ناصح للخلق ،وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك ، وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على الحقيقة »**(١١٢٣) .

وهناك نوع آخر من الغرور يبتلي به كثير من الناس ، يدعون بناتهم كيما يحصلون على زوج مرغوب فيه مالاً أو جاهاً أو ما اشبه . أو يتربصون بأنفسهم وهم في ريعان الشباب إبتغاء زوجة يتخيلونها أو يتركون معلماً لائقاً طلباً لغيره ، أو لا يهتبلون فرصة ثمينة تربصاً لأحسن منها ، وهكذا .

واذا بهنّ عوانس وبهم كهولاً ، ويبقون بلا معلم ،وقد ذهبت الفرصة ، وبان الغرور سراباً خادعاً ، وخيالاً باطلاً ، فيقولون :

ألا ليت الشباب يعود يوماً ... فنخبره بما فعل المشيب ؟

والجواب : « ليت وهل ينفع شيئاً ليت ؟ .

ونوع آخر من الغرور ، الاعتماد على النفس أو القوة أو ما اشبه ، مما يحول دون التهيؤ الكامل ، لمواجهة الأمر المترقب ، وغالباً ما يسبب هذا النوع من الغرور انحطاط الأمم وتأخر الأذكياء ، وانكسار التجار ، بينما الذي ليس بمغرور يجدّ ويجتهد لئلا يبقى في آخر القافلة .

وقصة (الارنب والسلحفاة) مشهورة ، حيث تشارطا على قطع المسافة من مبدأ معلوم الى شجرة معينة ، فأيّهما سبق صاحبه كان له السَبْق ، فأشتغل الأرنب بلعبه ولهوه ، اعتماداً على سرعته وقفزه ، بينما اهتمت السلحفاة في المشي ، واذا بالارنب يتلفت ، ليرى السلحفاة عند الشجرة ، حيث السَبْق لها إذ تقدمت في السبق .

* * *

وفي مقابل (الغرور) الفَطانة والكِياسة .

الفَطِن الكيّس، هو الذي يقدر الأمور حق قدرها ، وينظر الى الاشياء بالمنظار الصحيح ، ولذا يدأب ابداً ، وان كان احسن الناس علماً وعملاً ، ومالاً وجمالاً ، وجاهاً ومنصباً . . ومثله حَريٌّ بالتقدم والفوز ، سواء كان كيّساً في امور دنياه ، أو في امور آخرته .

نعم الكّياسة الحقة ، هي التي كانت بالنسبة الى امور الآخرة .

قال الامام الصادق عليه السلام : « اعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمنّي ، إلا بصدق الانابة الى الله ، والإخبات له ، ومعرفة عيوب احوالك ، من حيث لا يوافق العقل والعلم ، ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة ، وأئمة الهدى ، وان كنت راضياً بما انت فيه ، فما احد اشقى بعملك منك ، واضيع عمراً ، فأورثت حسرة يوم القيامة »(١١٢٤) .

فإنه ليس متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، والدنيا ليست إلا لعباً

ولهواً . . . فالكيس الفطن هو الذي يهيءّ نفسه لآخرته ، ويدأب ليل نهار لتحصيل المقامات الرفيعة هناك .

وليس معنى هذا ان يترك الانسان الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة ، ولقد قال احد الملحدين : « ان المسلمين حيث كانوا متوجهين الى السماء ، اتتهم الأرض منقادة ، وحيثما توجهوا الى الأرض ، فأتتهم السماء والأرض » فمن الجدير بالانسان ان يواظب على نفسه حتى لا يغتر .

ومن المشهور ان سبب فناء أُمة وقيام أُمة ، أو بَوار حكومة أو تجدد حكومة : هو ان الأولى من الأمة أو الحكومة تكسل وتترهل فتفقد عنصر البقاء ويأخذها الغرور ، فلا تعمل ، بينما تعمل الأمة الثانية وتنشط نواة الحكومة المستقبلة ، فتأخذ الثانية مكان الأولى .

الأمـــل

« اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً ، واعمَل لآخرتك كأنك تموت غداً » (حديث شريف) وهذا الحديث هو عنوان المؤمن الفَطِن حقّاً ، يعمل لاصلاح الدنيا ، وتقدم الحضارة ، عمل من يرى أن الدنيا أبدية دائمية ، فيعبِّد الأرض ، ويشقّ الأنهار ، ويزرع الفيافي ، ويعمِّر البلاد ، وما الى ذلك من زينة الحياة الدنيا ، وبهجة الحضارة البشرية . . . هذا من جانب ، ومن جانب آخر يعمل للآخرة ، كأنه يموت غداً ، فيصلي لربِّه الفرائض ويؤدي الصدقة الواجبة ، ويَحج البيت إن استطاع اليه سبيلاً ويصوم الصوم الواجب ويأمر بالمعروف ويتحلى بالفضيلة ، ويجتنب المحرمات والمآثم ، حتى لا يبالي أمات غداً أو بعد الف سنة .

وهكذا إنسان هو الجامع بين خير الدنيا وخير الآخرة .

اما الذي يؤخر أمر الآخرة كأنه يعيش ابداً ، ويقدم أمر الدنيا فهو الذي له (أمل خاطىء) ومثل هذا الأمل مذموم مُهلِك ، انه يعتقد بقاءه مدة متمادية ، فيهيء لنفسه لوازم لهذه المدة ، من مال ودار وأثاث ورياش ، ثم لا يلتفت الى الآخرة يرجىء الحج ويؤخر الخمس ولا يخرج عن المظالم ، ولا يبادر بقضاء ما فاته من صلاة وصيام ، وهكذا فجأة يأتيه الموت فيقول : ﴿ ربِّ ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾[٢١٤] فيجاب بـ « كلا !» .

يقول الشاعر :

يـا مَـنْ بـدنـيـاهُ أشـتـغـلْ قـد غـرّه طُـول الأمـلْ
والمـوت يـأتي بـغـتـةً والـقـبـر صـنـدوق الـعـمـلْ

وهذه الصفة أعني (طول الامل) تفسد الدنيا ، قبل افسادها للآخرة ، ان من طال أمله لم يجعل الموت والآخرة نصب عينيه لا بدّ وان يتعدىٰ عن الحدود المصلحة للاجتماع ، والموازين المقررة لإصلاح النفس ، وقتله يفسد ويسبب التأخر والانحطاط .

ولذا حذر الاسلام طول الأمل اشد تحذير .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان أشدُّ ما أخاف عليكم خصلتان : إتباع الهوى وطول الأمل ، فإما إتباع الهوى فإنه يصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا**)(١١٢٥) إتباع الهوىٰ يصد عن الحق ، وكيف ؟ فإنه من اتبع هواه كان الهوىٰ . قائده ، ولم ينظر الى الحق ، انه يتبع هواه في تحصيل المال فيغضب ويُرابي ويَحتكر ، ويَظلم الفقراء والأيتام والضعفاء في سَلْبهم لقمة العيش هكذا ، ويتبع هواه في تحصيل الجاه ؛ فيقتل الناس بغير الحق ويضرب ، ويحبس ويبعّد، وهكذا ، اما من كان الحق رائده ، فإنه مقيد بالحق ، إنْ أباح له الحق تبع ، وإنْ خطر عليه الحق اجتنب .

واما طول الامل ، فإنه الحب للدنيا فقط ، وهذا ميزان مائل فإن الحب يجب ان يقسم بين الدنيا والآخرة ، فيجعل لدنيا من الحب ، مقدار العبور والانتقال ، وللآخرة من الحب مقدار البقاء والاستقرار ، كمن يريد ان يعبر قنطرة الى روضة ، انه يحب القنطرة ويصلحها ، وإلا كيف يمكن العبور عليها ، وكفى حبه لها حب عرضي مرحلي ، لا حبّ ذاتي أصلي ، اما حبه للروضة التي يقصدها ، فهو حب بالذات ، وهذا هو الميزان العادل .

وقد قال الإمام المرتضى هـذا الكلام مـع اختلاف يسـير في اللفظ والاحتفاظ بجوهر المعنى ، قال عليه السلام : « **إنّ أخوف ما أخاف عليكم أثنتين اتباع اهوى وطول الامل ، اما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق واما طول الامل فإنه يُنسي الآخرة** »(١١٢٦) .

ثم .. أردف الرسول الأعظم بكلمته السابقة قوله : « .. ان الله يُعطي الدنيا من يحب ويبغض ، واذا احب عبداً أعطاه الايمان ، إلا أن للدِّين أبناء ،

وللدنيا أبناء ، فكونوا من ابناء الدين ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، إلا ان الدنيا قد ارتحلت مُوليّة ، إلا ان الآخرة قد أتت مقبلة ، ألا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل »

والمراد بابناء الدين ، من ينظر الى كل من الدنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿ **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة**﴾[٢١٥] فإن العمل للدنيا ، ايضاً من الدين ، اما المراد بابناء الدنيا ، فهم الذين يتكالبون على حبها والتزوّد منها ، كيف ما كان ، ناسين الآخرة : ﴿ **وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾[٢١٦] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في كلمة اخرى يذم فيها الأمل : « **نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل**)(١١٢٧) . . ولعلّ مراده صلى الله عليه وآله وسلم ، من (النجاة) نجاة الدنيا والآخرة ، ومن (الهلاك) هلاك الدنيا والآخرة ، فإن الزاهد المتيقن ، لا يترك الدنيا لكي يستغلها الفسّاق والظالمون ، فيملؤنها فساداً وتباراً ، بل يجاهد في سبيل الله والمستضعفين وبذلك تعمر الدنيا ، كما يعمّر آخرته بالعمل الصالح ، الذي يحفز اليه زهده ويقينه ، بخلاف البخيل الطويل الأمل ، فإنه حيث يحب الدنيا وزينتها ، ولا يكافح في سبيل الحق ، وكيف يكافح ؟ أليس الكفاح قد يؤدي بالانسان فيهلك وقد يؤدي بماله فيتلفه ولذا يستغل الدنيا الآثمون ، الذين يفسدون ويفسدون .

وقال الرسول الأعظم في كلمة اخرى : (**اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فإنك لا تدري ما أسمك غداً**)(١١٢٨) .

وسمع الرسول (ص) : ان أُسامة اشترى وليدة بمائة دينار، إلى شهر فقال : (**ان أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده، ما طوقت عيناي إلا ظننت أن شفرّيّ لا يلتقيان ، حتى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى أقبض ، ولا لقمت حتى ظننت إني لا أسيغها حتى اغض بها**

من الموت ثم قال (ص) : يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين)(١١٢٩) .

. ما أروعها من كلمة ، وما أجملها من حكمة ، وما أصدقها من قولة . .

ألم ترَ ـ وخصوصاً في هذه الايام التي انطوت فيها مناهج الصحة الاسلامية عن المجتمع ـ اناساً ماتوا بالفجأة ، حيث يضحكون أو يتكلمون ، أو يأكلون أو ما أشبه . . وقد كان أبي « ره » يتوضأ عصراً ، تهيؤاً لصلاة المغرب والعشاء ، وفي أثناء الوضوء لبّى داعية الموت ، ولم يمهله الأجل حتى يكمل وضوءه . . واخت لي كانت في ريعان الشباب ، ذهبت أول الليل الى سطح الدار لتنام ، وفي الصباح اتينا بها جثة هامدة ، حيث لم يعرف الذين كانت نائمة في وسطهم في اية لحظة ،سلمت روحها الى بارئها ، وهكذا ، وهكذا . . أفبعد ذلك يكون الانسان طويل الأمل اذا رجا بقاءه شهراً ؟ وليس معنى ذلك ان تبطل المعاملات والمداينات ، بل معناه ان يهتم الانسان بأتقان اموره حتى اذا مات في اللحظة حيث لا يحتسب لا يكون بدون تهيئة واستعداد .

وفي حديث آخر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : **(يا أبا ذر أتحب أن تدخل الجنة ؟ قال : نعم ، فداك ابي . قال : أقصر من الأمل ، واجعل الموت بين عينيك ، واستحِ من الله حق الحياء)(١١٣٠)** ان الاستحياء من الله حق الحياء كافٍ في سوق الانسان الى اعلى مراتب الجنان ، لكن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم أكّد على (قصر الأمل) و (ذكر الموت) لأنهما من أهم المحفزات لصلاح الانسان ، المنتهي به الى الجنة قطعاً .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه : **(اللهمَّ اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل)(١١٣١) .**

وقال امير المؤمنين عليه السلام : **« ما أطال عبد الأمل ، إلا أساء العمل »(١١٣٢) .**

فليقصر الانسان من أمله ويهتم بعمله ، واذا حدثته نفسه بالآمال ،

فليزمها بزمام الزهد والموعظة ، فإن قصر الأمل موجب لخير الدنيا وسعادة الآخرة .

* * *

من أهم ما يوجب قصر الأمل ، والإقبال على العمل (ذكر الموت) والذهاب الى المقابر ، وتذكر احوال الماضي من الاقارب والاصدقاء ، ومطالعة كتب السابقين الذين عاشوا في الدنيا طويلاً ، ثم :

جَرْت الرياح على مَحّل ديارهم   فكأنَّهم كانوا على ميعاد

أحسنوا أم أساؤوا ، بنوا أو هَدَموا ، أصلحوا أو أفسدوا ، كسَلَوا أم نَشِطوا ، ثم ذهبوا ، ولم تبقَ منهم باقية ، فهم رهائن القبور ، ومضامين اللحود ، ورهائن التراب لا يتنفس منهم احد ، ولا يعمل منهم انسان ، ولا يفرحون بأفراح الدنيا ، ولا يحزنون بأحزانها ، فكأنهم لم يكونوا ، وكأنهم لم يأتوا ولم يذهبوا .

وكذلك التفكير في احوال الاموات الذين يموتون من أقارب الإنسان وأصدقائه ، أو من الأبعدين .

فإذا حُمِلَت الى القبور جنازةً   فأعْلَم بأنك بعدَها محمولُ
كل ابن أنثى وإنْ طالتْ سلامتُهُ   يوماً على آلة حدباء محمولُ

وخصوصاً اذا صاروا جماعة من أهل التقوى ، واخذوا في تذكر احوال الأموات وتفكروا في الفناء وتذاكروا قصص الماضين ، وبكوا وتباكوا ، وانتخبوا واكثروا من الاسترجاع ، فإنه ينبت في القلب حب الآخرة والزهادة في الدنيا ، والتهيؤ للعمل الصالح ، والتجافي عن زخارف الحياة ، والكفّ عن الظلم والفساد .

ولذا يُقال : ان الصالحين من السابقين كانوا يعقدون مثل هذه المجالس ، ويكثرون الترداد على المقابر وقد نقل لي احد الثقات : انه ذات مرة ذهب الى المقبرة ـ حيث هي مقفرة حتى من الزائرين ـ واذا به يسمع صوتاً ضعيفاً من قبر ، قال فدنوت ، واذا بقبر غير مصموم ، واسمع من داخله إنساناً يقول : ﴿رب ارجعوني لعل اعمل صالحاً فيما تركت﴾[٢١٧] وبعد الالحاح والترداد والتكرار ، وإذا بالقائل يرد على نفسه : « قد رجعناك فأعمل صالحاً » قال الرواي واذا بي أرى (السيد ميرزا مهدي) ـ ويقصد والدي « ره » ، قد خرج من القبر وهو مغبر مترب كاسف البال ، قال فلما رآني اخذ مني العهود والمواثيق ان لا أذكر ذلك لأحد ما دام في الحياة .

ويروى ان احد الملوك كان جالساً في قصره وحوله وزراؤه ، وإذا به يرى ان زاهداً يريد الدخول في القصر والخدم يدفعونه فيحتج عليهم ، بأنه لِمَ يمنعوه عن الاستراحة برهة في هذا (الخان) ـ أي محل المسافرين ـ فاستشاط السلطان غضباً ، وأمر من يحضر الزاهد لديه ، فلما حضر قال له : وكيف تقول : هذا خان قال الزاهد : فما هذا قال الملك: إنه قصر ملوكي قال الزاهد : لمن كان قبلك ؟ قال الملك : لجدي ، قال الزاهد: ثم لمن ؟ قال الملك : لأبي ، قال الزاهد : ثم لمن ؟ قال الملك لي ، قال الزاهد : ثم لمن ؟ قال الملك لولدي . فقال الزاهد : فقد اقررت انه خان اليس خان محل المسافرين وأليس أبوك وجدك كانا مسافرين نزلا فيه ثم ارتحلا وهكذا انت تعترف بنزولك فيه وارتحالك بعد قليل ليخلفك ابنك ؟ فانتبه الملك ، ثم تسلل ليلاً عن القصر ، والتحق بالزاهد .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**اكثروا ذكر هادم اللذات** ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟؟ قال : (**الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا ، ولا في شدة إلااتسعت عليه**)(١١٣٣) .

إنّ الانسان ربما تضيق عليه الدنيا ، بسبب فَقْر أو مرض ، أو موت قريب أو ذِهاب جاه ، أو ما اشبه فاذا ذكر الموت ، وتذّكر فناء الدنيا ، وان كان حاله الى زوال ، لابد وإن ينشرح ، وان تتسع نفسه ، ويجلو همه . . وبالعكس ، ربما تتسع الدنيا لانسان ، ويفرح فرحاً كثيراً ، حتى انه اذا بقيت له تلك الحالة ، سببت طغياناً ، وخبالاً ، فاذا تذكّر وتفكّر ، وذكر الموت والبلاء ،

لا بد وان يحزن لانه يعلم عدم بقاء الحالة ، وعدم مبرّر للفرح بما أُوتيَ من مال أو جاه أو ما أشبه ، فحبذّا تذكر الموت دواءاً ناجعاً للحالتين .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(تحفة المؤمن الموت)(١١٣٤)** وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(الموت كفارة لكل مسلم)(١١٣٥)** .

ومن الطبيعي ان يكون الموت تحفة للمؤمن ، أليست الدنيا سجن المؤمن ؟ كما أن من الطبيعي ان يكون الموت كفّارة ، فإن شدائدها وأهوالها تذهب بالذنوب التي اقترفها المؤمن جهلاً وخطأً .

وسئل الرسول (ص) : هل يحشر مع الشهداء احد ؟ قال (ص) **(نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة)(١١٣٦)** وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا)(١١٣٧)** . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(كفى بالموت واعظاً)(١١٣٨)** .

فإن آخر ما يعظ الواعظ ان يقول : اعمل الصلاح : واترك الفساد ، فإن وراءك موتاً وحساباً . . . والموت ـ تفكره وتذكره ـ يولد في النفس نفس هذا الشعور الذي يولده الواعظ الخبير .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(الموت الموت ، ألا ولا بدّ من الموت جاء الموت بما فيه ، وجاء بالروح والراحة ، والكرة المباركة الى جنة عالية ، لأهل دار الخلود ، الذين كان لها سعيهم ، وفيها رغبتهم)(١١٣٩)** .

ان الانسان هبط من الجنة ـ كما في قصة آدم عليه السلام ـ فاذا ذهب الانسان الى الجنة كانت كرة الى ما اهبط منه ، وفيها من البركة والخير الدائم ، ما ليس لشيء غيره إطلاقاً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **(اذا استحقت ولاية الله والسعادة ، جاء الأجل بين العينين ، وذهب الأمل وراء الظهر ، واذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين ، وذهب الأجل وراء**

الظهر)(١١٤٠) .

تشبيه لطيف . . والاستحقاق لا يكون إلا بالمقدمات التي يهيىء الانسان لها ، من تفكر وتذكر وعمل وما أشبه .

ولنقف قليلاً عند هذا الحديث لننظر كيف (ذكر الموت يؤثر في ميزان الانسان . . فقد ذكر عند الرسول (ص) رجل ، فأحسن الحاضرون الثناء عليه ! فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**كيف ذكر صاحبكم للموت ؟** قالوا : ما كنّا نكاد نسمعه يذكر الموت . . قال صلى الله عليه وآله وسلم: **فإن صاحبكم ليس هنالك)(١١٤١) .**

انه ليست له مرتبة راقية ، وكيف تكون له ، وهو لا يذكر الموت ؟ ان من لا يعد نفسه للحساب لا يعمل عمل من يعد نفسه للحساب ، والذي يعد نفسه للحساب ، ؛ لا بد وان يذكر الحساب كثيراً ، ارأيت من يكون له مستقبل خطر ، كيف يكون دائماً في ذكره ، واعداد العدة له ؟ فاذا رأيت من له مستقبل خطير ثم لا يفكر ولا يتذاكر حوله ، فأعلم أنه ابله وليس بحازم عاقل .

وسئل الرسول (ص) أيّ المؤمنين أكيّس وأكرم ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**اكثرهم ذكراً للموت واشدهم استعداداً له ، أولئك هم الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة)(١١٤٢) .**

ان الآخرة شيء مّدهش ثوابها ومدهش عقابها ، حتى ان اشد الناس اغتباطاً ومقاماً في الدنيا ، لا يصل الى اقل مستويات الصالحين في الآخرة ، كما ان اشد الناس عذاباً وسوءاً في الدنيا لا يصل الى اقل الناس عـذاباً في الآخرة . . ولذا كان الأكيّس هو الذي يحصر امره في الآخرة ، وليس معنى هذا ان يترك الدنيا فإن تارك الدنيا بنظر الاسلام ممقوت ، بل معناه ان يترك الدنيا التي هي وبال وخبال .

وقال الامام الباقر عليه السلام : « **اكثروا ذكر الموت فإنه لم يكثر ذكره انسان الا زهد في الدنيا »(١١٤٣)** وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **اذا**

انت حملت جنازة ، فكن كأنك انت المحمول ، وكأنك سألت ربك الرجوع الى الدنيا ففعل ، فانظر ماذا تستأنف »(١١٤٤) ثم قال عليه السلام : « عجباً لقوم حبس أولهم عن آخرهم ، ثم نودي فيهم بالرحيل ، وهم يلعبون »(١١٤٥) لقد حبس الاموات الذين قبلنا ، عن الارتحال الى الآخرة ، حتى نلحق بهم ، فاذا التحق البشر كلهم بقافلة الاموات كانت القيامة الكبرى ، ثم الجنة أو النار ، وقد علمنا إنّا نموت جميعاً ـ فكأنه نَوديَ فينا بالموت ـ فهذان سببان لأن نجد في العمل الصالح ـ الأموات الذين قبلنا وهم عبرة ، وعلمنا بأنّا نموت لكنّا مشغولون باللعب واللهو ، بالدنيا التي ليست إلا لهواً ولعباً . أليس في هذا ما يستدعي اشد العجب ؟!

وقال الامام الصادق عليه السلام لابي بصير : « اذكر يا أبا محمد ، تقطع اوصالك في قبرك ، ورجوع احبائك عنك ، اذا دفنوك في حفرتك ، وخروج نبات الماء من منخريك ، وأكل الدود لحمك فإن ذلك يسلي عليك ما أنت فيه »(١١٤٦) قال أبو بصير فوالله ما ذكرته إلا سلىّ عني ما أنا فيه من همّ الدنيا .

نبات الماء هي الدود ، وما أهوله من فجيعة « من كان لا يطأ التراب برجله » « يطأ التراب بناعم الخد » (تقطع الأوصال) ! يالله ، لقد كنا نداوي بألف دواء جرحاً صغيراً في جسمنا ، فما هان حتى تتقطع أوصالنا ولا دواء ؟ (رجوع الاحباء) اين هم ، وقد كانوا يهتمون بأمورنا ، ويفدون انفسهم لأقل كارثة تنزل بنا ؟ لقد اصبح الانسان في القبر وحيداً فريداً ، فلا قريب ولا صديق ، انهم اشتغلوا بأنفسهم ، ونسوا من كان يكدح ويتعب ويسهر لهم (خروج نبات الماء) لقد كنا نطارد البعوض وذرة من التراب اذا سقطت على وجوهنا ، فما هذه الديدان التي تختلف ذاهبة وراجعة من أعز موضع هو المخ الى اجمل موضع هو الوجه ، ثم لا نملك حَوْلاً ولا طولاً حتى في الذب والدفع ، واخيراً اخذت الديدان تأكل اللحوم بكل اطمئنان . . . يا لها من فجيعة ؟ ويا له من هول ؟ لو بكينا له طول العمر لم نؤدِ حقّه .

نـاداهم صارخٌ من بعـد ما دفنـوا   أين الأَسـرة والتيجـانُ والحـللُ ؟
فـأصبح القبـرُ عنهم حين سـائلهم   تلك الـوجوهُ عليهـا الـدودُ تَنتقـلُ
قد طالما أكلوا دهراً ، وما شَرِبـوا   فأصبحوا بعد طولِ الأكْـلِ أُكِلُوا

وقال عليه السلام :« ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ، ويقلع منابت الغفلة ، ويقوي القلب بمواعد الله ، ويُرقّ الطبع ، ويكسر اعلام الهوى ، ويطفي نار الحرص ، ويحقر الدنيا »(١١٤٧) .

فاللازم على الانسان ان يهيىء برنامجاً للموت (١) فيتذكر كل يوم صباحاً الموت ، ولو مقدار خمس دقائق ، (٢) ثم يعمل بما يقتضي الاستعداد له من الايمان والعمل الصالح والانقلاع عن المآثم والمظالم ، (٣) ان يذكر الناس بالموت (٤) ان يزور المقابر أسبوعياً ولو مرة (٥) ان يكتب وصيته ويحضر كفنه (٦) ان يطالع الكتب التي تتعرض لهذا الشأن كل اسبوع ولو مرة (٧) ان يحضر الجنائز والمغتسلات والمآتم والفواتح ، وما أشبه (٨) ولو تمكن ان يعقد المجالس الدورية المنعقدة من أهل التقوى والصلاح . كل اسبوع مرة . ، لتذاكر الموت فيها ونعت الدنيا .

* * *

ذهبت ذات مرة الى زيارة ثري كان مريضاً ، فسألت عن عمره ؟ فقال (ما يقارب المائة) ثم اردف قائلاً : ولكن ليس بي من مرض إلّا رخوة في الركبتين ، وهي التي أجلستني عن الخروج عن المنزل !!

وذهبت ذات مرة اخرى الى ثري آخر كان قد أصيب بالفالج ، وعمره ما يقارب التسعين ـ كما قال أهله ـ فقال ـ بلسان يتلعثم من أثر المرض فلا يكاد يفهم كلامه إلا نتفاً مبعثرة ـ : « لقد ذهبت الى الاطباء فقالوا لي ليس بك من مرض ، إلا (نوم بعض الاعصاب) وقد نذرت ان لو رجعت الى حالتي السابقة ـ ويقصد قبل عشرين سنة ـ ان افعل كذا !!

ونقـل احد الاصـدقاء . . . ان إمـرأة مُعُمرِّة ، في دارهم ، أصيبت بالسكتة ، حتى لم تتمكن ان تحرك من جسدها شيئاً إلا الوسطى والبنصر من أصابعها ، تحريكاً بكل صعوبة . . قالوا لها : اوصي . . فقالت : ماذا تريدون مني وليس بي شيء من المرض الا ترون كيف أُحرك أصابعي !! عجيب امر الانسان ، وعجيب جداً !!! « يرجي المرء ما أن لا يراه » « وبين يديه عزرائيل حاضر » انه يهرب حتى من ذكر الموت ، وكأن الهرب ينفع ؟ لكن القلب اذا قسى ، وأطبق الجهل على العقل ، تكون النتيجة كهذه !

فأنظر البون الشاسع بين القصص المتقدمة وبين قول الامام امير المؤمنين عليه السلام : **« ما انزل الموت حق منزلته ممن عدّ غداً من اجله »** . (١١٤٨) وقول الامام الصادق عليه السلام : **« ما من أهل بيت شعر ولا وَبر إلا ومَلَك الموت يتصفحه كل يوم خمس مرات »**(١١٤٩) وقول الإمام امير المؤمنين عليه السلام : **« والله لابن أبي طالب أُنس بالموت من الطفل بمحالب امه »** .

وقد كان الصالحون ينتظرون الموت ، إنتظارهم لمن وعدهم بعد ساعة .

قال رسول الله : (**احب لقاء الله ، ولا تكره لقاءه ، فإن الله يحب لقاء مَن يحب لقاءه ، ويكره لقاء من يكره لقاءه .**)(١١٥٠) .

الحَيَــــاء

إن من الأمور ما يقبح كَوْن الانسان عليه سواء أطلّع عليه احد ام لا ؟ ومن الأمور ما يقبح ان يُرىٰ الانسان عليه ، ومن الأمور ما يقبح ان يتكلم الانسان به .

و (الحياء) هو التحفظ من الأمور الثلاثة . . نعم اخذ في معنى (الحياء) فرض طرف مقابل ، ففي الوحدة والخلوة ، يكون الحياء من (النفس) كمن يلعب بلحمه فإنه خلاف الحياء من النفس ، أو من (الربّ) سبحانه أو (الملائكة) مثلاً . . وفي المجلس ، يكون الحياء من الطرف المقابل الحاضر .

والقبيح ، قد يكون قبيحاً ذاتاً ، كالمقابح التي تطابق العقل والشرع على قبحها ،وإن زالت قباحته لدى الناس لأنحراف في عادتهم ، كالتضارط عند الفسّاق . . وقد يكون قبيحاً لعرف خاص . . .

وعلى أيّ حال فـ (الحياء) محبوب و (الوقاحة) وهي ضد الحياء مذمومة .

قال الامام الصادق عليه السلام « **الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة** »(١١٥١) .

وقال عليه السلام « **الحياء والعفاف والعَيّ - أعني عيَّ اللسان لا عيَّ القلب - من الايمان** »(١١٥٢) .

و « العَيّ) السكوت ، تشبيهاً له بالذي لا يفصح . . فقد قال رسول الله (ص) (**وهل يَكُّب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد السنتهم**)(١١٥٣) .

وقال الامام الصادق عليه السلام ايضاً « **الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب احدهما تبعه صاحبه** »(١١٥٤) .

فمن ذهب حياؤه لا أيمان له ، ومن ذهب ايمانه لا حياء له ، فإن الايمان عبارة عن مجموعة من الفضائل ، فاذا انتقص احدها لم يكن الايمان ، كما ان المركب ينتفي بانتفاء احد أجزائه .

وقال عليه السلام ـ بهذا المعنى ـ « **لا ايمان لمن لا حياء له** »(١١٥٤) .

وقد وكّل الله سبحانه حب الناس بالحيّ العفيف ، بخلاف الوقح المستهتر ، فإنه لدى الناس مذموم ممقوت . . ولذا يلزم على الانسان ان يواظب حتى يتصف بهذه الصفة الحسنة ، وحتى يطرد من نفسه صفة الوقاحة ، إنْ كان متصفاً بها ـ لينال مرضات الله سبحانه ، ومرضات الناس .

* * *

العِصْيَــان

من الناس من يواظب على أمره ، حتى لا يخرج عن المنهاج المستقيم ، والجادة التي عبِّدت له ، والدستور المقرر ، فيكون ذلك ملكة له ، لا يصدر إلاّ عنها ، ولا يواظب إلا عليها ، ولا يزيغ قيد شعرة وإن مالت به نفسه ذات مرة ، أو غلبت هواه حتى تنكّب ، رجع وتاب ، ولزم الشارع مرة ثانية .

ومن الناس من كان امره فَرَطاً ، إنْ أطاع فلا عن ملكة واستقامة وان عصي فلا يبالي بالمعصية .

وهاتان الحالتان توجدان عند كل فئة من الناس الذين لهم منهج خاص ، وأمامه طريق مسلوك .

وإنما الكلام هنا حول اطاعة الله ومعصيته .

فالاطاعة جمال واستراحة ونجاح ، والعصيان تنكب وانحراف وفشل . .
فإن الله سبحانه الذي خلق الانسان والكون هو الذي وضع الدستور والمنهاج ، على طبق الفِطْرة ، وعلى وفق الحكْمة والمصلحة ، فكل زيغ عن منهاجه سبحانه خبال وخسارة ، خسارة في الدنيا ، وفي الدين ، ولذا قال تعالى : ﴿ **والعَصْر إنّ الإنسان لفَي خُسرُ ، إلا الذين آمنوا وعملِوا الصالحات ، وتواصوْا بالحقّ ، وتواصوْا بالصبر** ﴾(٢١٨) .

قسماً بالعْصر والزمان ، الذي هو سبب خسر الانسان أو ربحه لأنه اذا مرّ والانسان مشغول بالطاعة كان في ربح ، وأن مرّ والانسان لاهٍ أو مشغول بالمعصية كان في خسارة : كل انسان في خسارة ، إلا المؤمن العامل بما أمر الله سبحانه ، وحيث يملّ الانسان كان محتاجاً الى التواصي بكل من الحق والصبر ،

حتى يلزم الجادة فلا ينجرف ، وحتى يستمر في العمل فلا يقف .

فمن الضروري على الانسان ان يهيء نفسه للطاعة ، ويجنّب نفسه عن العصيان .

والإسلام قد حذّر من المعصية غاية الحذر ، في نتفٍ متفرقة من الأدلة ، وبَيَنّ لكل عصيان عقاباً ـ كما يظهر من الآيات والأحاديث .

كما حذّر عن العصيان والذنب ، جملة وإجمالاً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث طويل : **(ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام ، وانه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمْنَ)**(١١٥٥) وقال امير المؤمنين عليه السلام : **« لا تبدين عن واضحة وقد عمتك الأعمال الفاضحة ولا تأمنّنَ البيات ، وقد علمت السيئات »**(١١٥٦) .

فعلى الانسان أن لا يظهر سوأة غيره ، وإن كانت واضحة بادية للعيان ، وإلا انكشفت عورته ، وهل هنالك أحد لا جريرة له ، ولا ذنب عليه « لسانك لا تبدي به سوأة إمرىء » « فكلك سوآت وللناس ألسنُ » . اما البيات فهو العقاب الذي يأخذ الانسان بليل ، ان المسيء يجب ان لا يأمن العذاب الذي ينزل به ليلاً ، وإلا فلّيقْلع عن الذنب أو يمحوه بالندم والاستغفار .

ومن اعجب الاحاديث ما قاله الإمام الباقر عليه السلام ، فليتنبه الانسان لذلك ، قال عليه السلام : **« ان الله قضى قضاءً حتماً الا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة »**(١١٥٧) وقد اخذ هذا الكلام الشاعر فقال :

اذا كنت في نعمة فأرعِها　　فإن المعاصي تزيل النِعَم
وحافظ عليها بشكر الإله　　فإن الإله شديد النِقَم

وقال عليه السلام : **« ما من شيء افسد للقلب من خطيئته ، ان القلب ليواقع الخطيئة ، فما يزال به حتى يغلب عليه فيصير أعلاه أسفله »**(١١٥٨) .

ان الخطيئة قد تكون عملاً عابراً ، وق تكون عن ملكة قلبية باعثة على الذنب ، فإذا صارت الخطيئة حالة للقلب ، انقلب القلب عن صفائه ونظافته الى كدرة نجسة ، ويكون حينذاك مبعث كل شر وإثم .

وقال عليه السلام : « **إن العبد ليذنب الذنب فيزوي عنه الرزق** »(١١٥٩) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **يقول الله تعالى إنّ أدنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي أنّ أحرمه لذيذ مناجاتي** »(١١٦٠) أرأيت كيف يلتذ الانسان بالتكلم مع الملوك والكبراء ، أو العلماء والصلحاء ـ حسب مجانسة الانسان وإلفتهّ مع كبير أو صالح ـ ؟! ان لذة مناجاة الله تعالى ، أكبر وأكبر ، كيف والانسان في ذاك الحال يناجي أعظم الملوك واكبر الكبراء ؟ فاذا عصى الانسان الإله حُرّم هذه اللذة حتى انه يكون كالمريض الذي لا يعرف طعم الأكلة الشهية .

وقال عليه السلام : « **من هَمَّ بسيئة فلا يعملها ، فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراه الربّ تعالى فيقول : وعِزَتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك ابداً** »(١١٦١) . وقال (ع) : « **اما انه ليس من عرق يُضرب ، ولا نكبة ولا صداع ، ولا مرض بذنب ، وذلك قول الله عز وجل في كتابه : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ﴾**[٢١٩] . »(١١٦٢) وقال (ع): « **وما يعفو الله اكثر مما يعاقب به** »(١١٦٣) .

ان المعصية لا بدّ لها في الدنيا من جزاء ، فكيف بالآخرة ؟ ولذا يجب على الانسان العاقل أن يتجنب العصيان مهما كلّف الأمر وانظر الى هذا الحديث المروي عن الإمام الكاظم عليه السلام قال : « **حقّ على الله أن لا يُعصى في دار إلا اضحاها للشمس حتى يُطهرّها** »(١١٦٤) .

فالعاصي منقوص الرزق ، مُعرض للنكبات ، وداره معّرضة للخراب وهل يبطىء به الجزاء ؟ كلا ، فأسمع الى هذا الحديث الشريف (**ان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في اللحم**)(١١٦٥) فأيّ عاقل يقدِم على

مثل هذا العمل الذي يسيء اليه في دنياه وآخرته ؟ .

وقد يغتر العاصي بما يرى من تأخير العقوبة ، ألا فلا يغترر لذلك « فلربّ معصية أتاك عقابها » « من بعد لأيٍ حين تلهو غافِلاً » « فأحذ ر عقاب الذنب حين أتيته » « واقلع عن العصيان ان تك عاقلاً » « هذي ديار الظالمين بلاقعاً » « من بعد ما كانت ثوى مَعاقِلا » .

* * *

والانسان مهما كان نظيفاً نزيهاً ، لا بد وان تصدر منه المعصية ـ ما خلا المعصومين ومن يتلو تلوهم ـ فإن دواعي الشهوات ، ونوازع النفس ، ومُغريات الحياة ، تجذب الانسان مهما كان قوياً ، ولذا يقول الشاعر : « نفسي وشيطاني ودنيا والهوى » « كيف الخلاص وكلهم اعدائي » .. وانما الفرق بين النزيه وغيره ، ان النزيه بَطيء الخطأ نحو العصيان ، سريع الاستغفار والإنابة ، وغيره سريع الخطأ نحو الإثم بَطيء الإنابة والرجوع قال سبحانه : ﴿ **ان الذين اتقوا اذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فاذا هم مُبصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغيّ ثم لا يقصرون**﴾[٢٢٠] .

ولذا يلزم على الانسان مراقبة نفسه ، فاذا زلّ ، تدارك الزلّة بالتوبة ، وقد أرصد الاسلام رصيداً كبيراً للتوبة والتجسيد اليها .

قال الله تعالى : ﴿ **ان الله يحب التوّابين ، ويحب المتطهّرين**[٢٢١] وقال عز اسمه : ﴿ **توبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون**﴾[٢٢٢] . وقال رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم : (**التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمَنْ لا ذنب له**)(١١٦٦) .

وانظر الى هذا الحديث الذي يقطر عطراً وندى ، قال الإمام الباقر عليه السلام : « **ان الله اشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء ، فوجدها ، فالله اشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذاك الرجل براحلته حين وجدها** »(١١٦٧) .

ان الله سبحانه لا يفرح مثل فرحنا ، ولا يحزن مثل حزننا، وإنما المراد بهذا الحديث ، وأمثاله ، فِعْلُهُ ، تعالى بالعبد فعل الفرح أو الحزين ، أو الغاضب أو ما أشبه ، ولذا قيل بالنسبة اليه تعالى « خذ الغايات ، وأترك المبادىء » ، فما هي الغاية التي ينتهي اليها الفرح ؟ انها الإحسان الى مَنْ أفَرحه ، . . . وغـاية الغضبـان عقاب من أغضبـه وهكذا ، والله يفعـل الإحسان ، أو العقاب ، بالنسبة الى من أطاع أو عصى .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **التائب من الذنب كمَنْ لا ذنب له ، والمقيم على الذنب ، وهو مستغفر منه كالمستهزىء** »(١١٦٨) أرأيت من قال لك : اني نادم من إساءتي اليك . ثم اساء ثانياً وثالثاً فإن كلامه هراء واستهزاء ـ وكذلك من يذنب ويسَتغفر انه ـ وإنْ لم يقصد الاستهزاء ـ لكنه كالمستهزء ، فلينقلع الانسان من الذنب حتى لا يكون عاصياً ولا كالمستهزىء . . . نعم تكرّر الذنب الذي يعقبه الندم حقيقة ، لا يضرّ ، فإن الانسان ضعيف ، وكَيْد الشيطان مغرٍ ، فربما اذنب الانسان ثم ندم حقيقة ، ثم وقع في إحبولة الشيطان ثانياً ، وثالثاً ، وهكذا ، ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام : « **ان الله يحب من عباده المفتن التوّاب** »(١١٦٩) يعني كثير الذنب كثير التوبة فكلما اصابته فتنة ندم وتاب توبة حقيقية .

وقال عليه السلام : « **اذا تاب العبد توبة نصوحاً ، أحبه الله فستر عليه** » قال الراوي : « **وكيف يستر عليه ؟** قال عليه السلام : « **يُنْسي مَلَكَيه ، ما كانا يكتبان عليه ، ويُوحي الى جوارحه والى بقاع الأرض ان اكتمي عليه ذنوبه ، فيلقىٰ الله عز وجل حين يلقاه ، وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب** »(١١٧٠) .

انه غاية الفضل ان يُنسي الله الملكين وما اشبه حتى ذنب عبده حتى لا يكون مُهاناً لديهم ، أرأيت ان الانسان قد يذنب الى احد ذنباً ثم يغفر ذلك له ذنبه ، لكن الانسان يبقى خَجِلاً لديه ، لأنه اقترف إساءة في حقه في زمان ؟ .

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديث ان الله اعطى التائبين ثلاث

خصال ثم قرأ الآيات الكريمات :

١ ـ ﴿ ان الله يحب التوابين﴾[٢٢٣] .

٢ ـ ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم . . . فأغفر للذين تابوا . . . وذلك هو الفوز العظيم﴾[٢٢٤]

٣ـ ﴿ والذين لا يَدْعُون مع الله إلهاً آخر . . يُضاعِف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، إلا من تاب وآمن . . . وكان الله غفوراً رحيماً﴾[٢٢٥] .

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام احب العِباد الى الله المنيبون التائبون .

ثم ان الانسان اذا اساء الى شخص أو حكومة أو ما أشبه ، كان الغالب عدم غفران المسيء اليه ، اذا ندم المسيء وأظهر الندم لكن الله سبحانه بفضله وكرمه ، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات . ولو كانت كثيرة ، فعن القرآن الحكيم : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾[٢٢٦] . وفي آية اخرى : ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾[٢٢٧] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ، ثم ندمتم لتاب الله عليكم)(١١٧١) .

لو كانت الخطايا اجساماً ، فكم من هذه الاجسام تتكدس حتى تبلغ السماء ؟ انها لو كانت بهذا المقدار الهائل تكفيه التوبة الصادقة في نسفها ومحوها ، بل يبدل الله سبحانه سيئاتهم حسناتٍ ـ في بعض الاحيان ـ فهل رأيت أكرم من الله سبحانه ، إنه أولاً تفضل بدون استحقاق ، ثم اذا أذنب الانسان لم يقطع لطفه عنه ، ولم يعاجله بالعقوبة وبعد ذلك لو ندم واتاب عفى عنه وستر عليه وأعطاه حسنات . . . ان الأم والأب وهما أرأف الناس بالولد ، ثم عصاهما الولد ، قطعا لطفهما عنه ، ولو خالفهما ثم جاء مُعِتذراً لم يقبلا عذره في كثير من الاحيان ، لكنَّ الله هو وحده أرحم الراحمين الذي أللّطف والإحسان

صفته الابدية ، حتى بالنسبة الى أعظم المذنبين .

اسمع الى هذا الحديث الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **(ان العبد ليذنب الذنب ، فيدخل في الجنة)** . قيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : **(يكون نصب عينيه تائباً منه فاراً حتى يدخل الجنة)**(١١٧٢) . ومثله ما قاله الإمام الصادق (ع) : **« ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة »** . قيل يدخل الله بالذنب الجنة ؟ قال عليه السلام : **« نعم انه ليذنب فلا يزل منه خائفاً ماقتاً لنفسه ، فيرحمه الله ، فيدخله الجنة »**(١١٧٣) .

اما بالنسبة الى كتابة الذنب ، فإنه لا يسجل بمجرد ان أذنب الانسان بل يؤجل لعله يتوب ويؤدب . قال الإمام الصادق عليه السلام : **« العبد المؤمن إذا أذنب أجلَّه الله سبع ساعات ، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء ، وان مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة وان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له وان الكافر لينسى من ساعته »**(١١٧٤) ان الكافر لا يعدّ الذنب معصية حتى تحزّ ضميره وتبقى في ذاكرته ويخاف منها، ولذا ينسىٰ الذنب من ساعته .

وقد رُويَ عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم حديث يدل على كثرة فضل الله سبحانه بالتائب ، وانه يقبل توبته الى آخر لحظة من حياته ، قال صلّى الله عليه وآله وسلم : **(من تاب قبْل موته بسنة قَبِل الله توبته ، ثم قال : ان السنة لكثير ، من تاب قَبْل موته بشهر قَبِل الله توبته ؟ ثم قال ان الشهر لكثير ، من تاب قَبْل موته بجمعة قَبِل الله توبته ، ثم قال ان الجمعة لكثير ، من تاب قَبْل موته بيوم قَبِل توبته ، ثم قال ان يوماً لكثير ، من تاب قَبْل ان يُعْاين مَلَكَ الموت قَبِل الله توبته)**(١١٧٥) .

فهل بعد هذا من مفزع والتوبة عبارة عن الندامة ، فلا حاجة حتى الى الاستغفار اللفظي ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **(كفارة الذنب الندامة)** لكن للندامة آثار ، فإن من يندم على نهب مال زيد ، من أثار ندامته ان يردّ المال الى صاحبه ، ومن ندم على ترك الصلاة أو الخمس ، من أثار ندمه

القضاء والإعطاء ، وهكذا .

واسمع الى هذا الحديث لترى كثرة فضل الله سبحانه ، قال الإمام الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم « **ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له ، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة ، أما والله انها ليست إلا لأهل الايمان** » **قال محمد بن مسلم فقلت له : فإن عاد بعد التوبة والاستغفار** من الذنوب ، وعاد في التوبة ؟ قال : « **يا محمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته** » قال : فإنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر؟ فقال عليه السلام : « **كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة ، عاد الله عليه بالمغفرة ، وإنّ الله غفور رحيم ، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فإيّاك ان تقنط المؤمن من رحمة الله** »(١١٧٦) .

وقد كان من فضل الله سبحانه على الانسان إنْ تفضل عليه بقبول التوبة ووسّع له في ذلك أكبر توسعة ، فأسمع الى هذا الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**إنّ آدم عليه السلام ، قال : يا ربِّ سلطت عليَّ الشيطان وأجريته مني مجرى الدم ، فأجعل لي شيئاً ! فقال تعالى : يا آدم جعلت لك إنّ مَنْ همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، ومن همّ منهم بحسنة ، فإن لم يعمله كتبت له حسنة ، فإن هو عملها كتبت له عشراً : قال : يا ربّ زدني قال جعلت لك إنّ من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له ، قال يا رب زدني ، قال : جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه ، قال يا ربِّ حسبي**)(١١٧٧) .

واعجب من هذا الحديث اكثر فأكثر ، وان لم يكن فضل الله عجباً .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « **ما من مؤمن يقارف في يوم وليلته اربعين كبيرة ، فيقول وهو نادم واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم ، بديع السماوات والأرض ذا الجلال والاكرام وأسأله ان يصلّي على محمد وآله محمد وان يتوب عليّ ، إلا غفرها الله له ، ولاخير فيمن يقارف في يومه اكثر من اربعين كبيرة** »(١١٧٨) ولا عجب من فضل الله سبحانه ، ان يغفر للمذنب

ولو تكررت منه الخطايا اربعين مرة ، في يوم وليلة ، أليس الله غفّار الذنوب ؟ أو أليس يتوب على المذنب ، ولو انقلع بعد سبعين سنة من الذنب . لكنّ العجب أن يُفوِّت الانسان مثل هذا الغفران الذي وسع كل شيء .

ولقد عجبتُ لهالِك ونجاته موجودة ، ولقد عجبت لمن نجىٰ

ان كل واحد منهما يُورث العجب ، فكيف يهلك الانسان مع هذه السعة في المغفرة والرحمة ؟ وكيف ينجو الانسان مع هذه المغريات والمهلكات ؟ .

فعلى الانسان ان يهتم كل اهتمام حتى لا يذنب ، فاذا اذنب ـ والعياذ بالله ـ فعليه ان يهتم في أنْ يتوب ولا يعود ، فإن زلقت قدمه ، فلا ييأس من روح الله ، وانما على الانسان ان يجدد التصميم ، ويبدأ الدور من جديد ، ويتوب توبة نصوحاً .

الرِّقَـــابة

أرأيت كيف يُراقب الشريك شريكه لئلا يبخسه حقه ؟ والعدو عدوه لئلا يغلبه ويهضِم حقه ؟ .

ان الرقابة طبيعية للانسان ، لأجل جلب المنفعة ودفع المضرة وهل هناك نفع أعظم من الخير العام لنفسه وللبشر اجمع في الدنيا والآخرة ، ؟ وهل هناك ضرر ، أنكر من الشر العام لنفسه وللانسانية جمعاً في الأولى والأخرى ؟ كلا ! والخير العام يتمثل في خطوط الإسلام التي وضعها لإسعاد البشر والشر العام يتمثل في مخالفة تلك الخطوط .

لذا كان من اللازم على الانسان ان يراقب نفسه ويراقب مجتمعه لئلا تحيد نفسه عن منهاج الاسلام ولئلا يزيغ المجتمع عن الخطوط المبينة في الاسلام .

يقول الله سبحانه : ﴿ **ولننظر نفس ما قدمت لغد**﴾[٢٢٨] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**حاسبوا انفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، وزِنوها قبل أنْ تُوزنوا**)(١١٧٩) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله تعالى ، فإذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لا يسأله شيئاً إلا أعطاه فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا عليها ، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة ، ثم تلا : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين الف سنة﴾**[٢٢٩] »(١١٧٩) .

وهل تنقضي خمسون الف سنة ؟ إنّ عمر الانسان في الدنيا خمسون سنة ويراها طويلة ، فكيف بمقام القيامة وحدها ، وهي خمسون ألف سنة ، ألا يجب

على الانسان أن يُحاسب نفسه في هذه الايام القلائل ليأتي آمناً يوم الفزع الأكبر ؟ .

والمحاسبة والمراقبة ، بمعنى ان تكون نوايا الانسان وأعماله تحت الحساب ، فلا يعمل عملاً ولا ينوي نية إلا ويُراقِب هل أن ذلك يعود اليه بالنفع أو الضرر ؟ ثم اذا أفلت العمل أو النية عن يده وجاء بما يعود عليه بالإثم تداركه فوراً بالتوبة والعمل الصالح ، وقد كان الزهّاد يراقبون انفسهم في كل عمل ، ثم اذا جاء الليل حاسبوها ليروا هل ربحوا أم خسروا .

* * *

النيَّـــــة

القلب مبعث الخير والشر ، ولذا قال سبحانه ﴿ أثم قلبه ﴾[٢٣٠] حتى ان العمل الصالح الصادر من الانسان بدون قصد نية ، لا يعد حَسْناً فاعلياً ، وان كان حُسْناً بذاته ، وكذلك العمل السيء الصادر من الشخص بدون نية وعزم ، لا يُعدّ قبيحاً فاعلياً ، وان كان في نفسه قبيح . . . فلو أنك في مشيك قتلت عقرباً تريد لدغ انسان ، ، وانت لم تشعر بذلك ، لا يُقال لـك : أحسنت ، وان كان قتلك حسناً ، ولو انك في مشيك كسرت إناء فقير بدون أنْ تشعر ، لا يُقال لك : أسأت وان كان الفعل سيئاً بنفسه .

ولذا يجب الاهتمام البالغ بأمر القلب ، فهو ميزان الخير والشر والحسن والقبح ، والجميل والمشوّه ، فالعمـل الصالـح إن كان خـالص لوجـه الله سبحانه ، كان خيراً وثواباً ، وان كان مشوباً بالاغراض الدنيوية ، كالرياء والسمعة ، وحب الاستعلاء ، والشهرة والانانية وجلب المادة ، وما اشبه كان باطلاً وموجباً للعقاب كثيراً .

فعلى الانسان ان يصرف ارادته كلها لله سبحانه . . . ولا يظن ظان انه أقلّ ربحاً من الذين يخالط بأرادته الاغراض ان الأمر بالعكس تماماً أما خير الآخرة فهو للذين لا يريدون إلا وجه الله سبحانه ، وأما خير الدنيا فقد فَطَر الله الناس على حب المخلص ، وكره المرائي والذي أشبهه من الذين يعمل لغير الله تعالى .

أرأيت لو علم الناس بأن أكبر العلماء انما تعلّم وعلّم وألّف لغير الله . . ولو علموا بأن أعظم الزهّاد إنما تعبّد وصلّىٰ وصام لأجل دنيا أو جاه أو ما أشبه ، سقط ذلك العالم والزاهد عن اعينهم ولم تكن لهما قيمة في نفوسهم ؟ .

ولهذا السبب أكّد الاسلام تأكيداً بليغاً حـول تصفية النيـة وتخليص العمل .

١ - **قال الله سبحانه : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾(٢٣١) .**

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآلهِ وسلم : (**انما الأعمال بالنيات ، ولكل إمرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، أو إمرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه**)(١١٨٠) .

ان كانت الهجرة لله ، كان أجْر المهاجر على الله ، وإن كانت الهجرة للدنيا ، كان ثواب الهجرة هي الدنيا ، وليس لهذا المهاجر عند الله من خلاف ، إنه هاجر للدنيا ، فهل يصح ان يطلب ثواب الهجرة من الله ؟ .

وقد أطلق الرسول (ص) هذه الكلمة الذهبية حين سمع ان بعض الذين هاجروا الى المدينة المنورة ، حفزهم على الهجرة تحصيل دنيا مرفهة ، من مال أو جاه أو ما أشبه . . . انهم وان كانوا عدوا في جهاز الاسلام ، خصوصاً في يوم غربته ، وحين كان يحتاج الى اكبر قدر من الناصر والسواد ، لكن الرسول لم يبعث لسادة الدنيا ، كالفاتحين ، وإنما بُعثِ لانقاذ الناس من الظلمات الى النور ، فاذا كان من ينصره يريد الدنيا لم يكن له في مقياس الرسول أية قيمة .

وهذه الكلمة الذهبية إكليل على رأس كل من يعمل عمل الآخرة من تعلّم العِلم ، الى التبليغ لرسالات السماء ، الى الأمر بالمعروف والنَهْي عن المنكر ، الى إعانة الضعفاء والمعوزين ، الى تأسيس المؤسسات وتكوين المشاريع الى غير ذلك ، فإن كانت أعماله لله ورسوله ، أثابه الله جناتٍ تجري من تحتها الانهار ، وان كانت أعماله لشهرة أو صرْف وجوه الدنيا الى نفسه فعمله لما عمل له ، وماله في الآخرة من ملاقٍ ، وشرّ الناس من عمل بأسم الله ، وهو يريد غير الله .

وقد رُوَي أنه فيما أوحىٰ الله سبحانه الى داود النبي عليه السلام ، انه قال : **(يا داود لا تطاول على المريدين ولو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي ، لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها ، يا داود لئن تخرج مريداً من كربة هو فيها تستعده كتبتك عندي حميداً ، ومن كتبته حميداً لا يكون له وحشة ولا فارقة الى المخلوقيين)**(١١٨١) .

إنّ المريد هو الذي جعل إرادته رضىٰ الله سبحانه ، وهذا أعظم من الكبريت الأحمر ، وأهل المحبة هم الذين يحبون الله سبحانه ولم يصلوا تلك المرتبة ، ودرجة (حميد) كدرجة (مشير) في الجيش رتبة رفيعة جدّاً ، مما لا تصل جميع رتب الدنيا الى اقل مستواها ، ولكن هل بالامكان تحصيل مثل هذه الرتبة بسهولة ؟ ان الانسان كثيراً ما يتمكن على زمام جسمه ، ولكن النادر النادر ان يتمكن على زمام قلبه .

واسمع هذا الحديث الذي فاه به الرسول الأعظم (ص) حيث قال . **(إن الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما ينظر الى القلوب لأنها مظنة النية)**(١١٨٢) ان القلب اذا استقام استقامت الصورة وكان المال بميزان ، اما استقامة الصورة وكثرة المال فليستا بميزان صحة الانسان .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : **(ان العبد ليعمل اعمالاً حسنة ، فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة ، فتلّقي بين يدي الله تعالى ، فيقول إلقوا هذه الصحيفة فإنه لم يُرَد بما فيها وجهي ، ثم ينادي الملائكة : اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئاً من ذلك ؟! فيقول الله تعالى انه نواه)**(١١٨٣) .

العمل الذي لا يُراد به وجهه تعالى لا فائدة فيه ، اما النية لعمل خير ففيها كل الفائدة ، فاذا وُفِق الانسان ان يحفظ عمله عن الزيغ فكم له من فائدة ؟ .

وكما ان نية الخير فيها ثواب ، فكثيراً ما يكون لنية الشر عقاب فقد قال

رسول الله (ص) **(الناس أربعة ، رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالاً ، فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل : لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل ، فهما في الأجر سواء ، رجل آتاه الله مالاً ، ولم يؤتِهِ علماً ، فهو يتخبط بجهله في ماله ، فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل ، فهما في الوزر سواء)**(١١٨٤) .

وقد قال القرآن الحكيم : ﴿ **قل ان تبدوا ما في نفوسكم أو تخفوه ، يحاسبكم به الله** ﴾(٢٣٢) .

وفي الزيارة المأثورة : « ولعن الله أُمة سمعت بذلك فرضيت به » .

وفي الحديث ان الرسول (ص) لما خرج الى غزوة تبوك قال : **(إنّ بالمدينة أقواماً ، ما قطعنا وادياً ، ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ، ولا أصابتنا مخمصة ، إلا شاركونا في ذلك ، وهم في المدينة)** . قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ قال : **(حبسهم العُذْر ، فشاركونا بحسن النية)**(١١٨٥) .

وفي الحقيقة ان الأمر في الاسلام في باب الخير ليوسع جدّاً ، ان القاعدة المطردة عند الناس ، بالنسبة الى الأعمال الدنيوية ، انهم يعطون الأُجراء الأَجْر ، بعد تمام العمل ، لكن الإسلام يضع الثواب لمجرد النية .

وورد في خبر « ان رجلاً قُتِل في سبيل الله بأيدي بعض الكفّار ، وكان يُدعى بين المسلمين ؛ (قتيل الحمار) ، لأنه قاتل رجلاً من الكافرين ، نية أن يأخذ حماره ويسلبه ،فقتل على ذلك فأضيف الى نيته ، وهاجر رجل الى الجهاد مع اصحاب النبي (ص) ، وكانت نيته من المهاجرة أن يأخذ إمرأة كانت في عساكر الكفّار ويتزوجها ، وتسمى أم قيس ، فإشتهر هذا الرجل عند اصحاب النبي (ص) بـ (مهاجر أم قيس) » .

وفي حديث **(ان مسلمَيْن تقاتلا ، فقتل أحدهما الآخر ، فقال الرسول (ص) : القاتل والمقتول كلاهما في النار ، قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال صلى الله عليه واله وسلم : لأنه أراد قتل صاحبه »** .

ولا منافاة بين الأحاديث التي دلت على ان من هَمّْ بالسيئة فلم يعملها لم يكتب له وزر ، وبين ما دلّ على كتابة الوِزْر اذ الطائفة الأولى فيما لم يأتِ بالمظهر لما نواه من الإثم ، والطائفة الثانية فيما اذا أتى بالمظهر ، كما رأينا في هذا الحديث الأخير : إنه أراد قتل صاحبه وتقاتل معه . . .

وقال رسول الله (ص) : « إذا التقى الصفان ، نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم ، فلان يقاتل للدنيا ، فلان يقاتل حمية ، فلان يقالت عصبية ، ألا فلا تقولوا : قتل فلان في سبيل الله ، إلا لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا)(١١٨٦) ان الله لا يريد إلا تقدم الله بالدين ، و ليس عند الاسلام (الغاية تبرر الواسطة) .

وقال الرسول الاعظم (ص) (من تزوج إمرأة على صِداق وهو لا ينوي إداءه ، فهو زانٍ ، ومن استدان ديْناً ، وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق ، ومن تطيّب لله تعالى ، جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة)(١١٨٧) .

ولعلّ المراد من التطيب لغير الله ، التطيب المحرّم ، كتطيب المرأة لغير زوجها ، أو الرجل لاغراء النساء المحرمات ، أما التطيب للمسلمين فهو من النظافة والطيب الذي أمر الله تعالى به .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا ربّ ، ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير ، فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق النية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله ، ان الله واسع كريم »(١١٨٨)

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « نية المؤمن خير من عمله »(١١٨٩) وذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه ، « ونية الكافر شر من عمله »(١١٨٩) وذلك لأن الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه » .

فعلى الانسان العاقل ان : (١) يعمل الخير (٢) ويكثر من عمل الخير

(٣) وينوي الخير (٤) ويكثر من نية الخير ، كأن ينوي انه لو كان بأمكانه هدي العالم كلهم الى الايمان والعمل الصالح ، وما أشبه ، ليكون من أوفىٰ البرية عند الله سبحانه في الحسنات يوم يلقاه .

حُبُّ الله وأَلحُـــبُّ لِلّهِ

إنّ كل خير أصاب الانسان ، أو يصيبه في المستقبل ، انما هو من الله سبحانه .

وإنّ كل شر دُفِع عن الانسان في الماضي ، أو يُدْفع عن الانسان في المستقبل ، انما يدفعه الله سبحانه .

إذاً . . فالله سبحانه أحق بالحب ، من كل شيء وكل شخص ، واذا أحب الانسان الله عن معرفة خليٰ قلبه عن حب سواه ، اذ كل محبوب ما خلاه مجازي لا حقيقة له ، وان شئتَ قلت يلزم ان تحب الانسان ما عدا الله سبحانه حباً بالعَرض أما حب الله فهو حب بالذات ، فمثلاً : ان الانسان يحب أبويه لكن حبه لهما دون حب الله تعالى إذ أنّ الله هو الموجد الحقيقي والأبوان واسطة ، والانسان يحب الانبياء والصالحين ، لأنهم مربطون بالله ومقربون اليه ، وهكذا سائر اقسام الحب .

أما الحب لله ، فهو ان يحب الانسان كل شيء محسوب لله سبحانه ، اما ما يكرهه الله تعالى ، فاللازم على الانسان أن لا يحبه وان وصل الى الشخص من ذلك الانسان خير وإحسان وأي عاقل يترك الأهم ويأخذ بغيره ؟ مثلاً : اذا احسن اليك كافر ، كان اللازم ان لا تحبه لإحسانه لأنه لا يجمع بين حب الله وبين حب ذلك الكافر ، والله أولى بالحب لأنه مصدر كل خير ، حتى ان الخير الذي وصل اليك من ذلك الكافر ، مصدره الحقيقي هو الله تعالى.

وقد أمر الإسلام بحب الله وحب من امر الله بحبه ، ارشاداً الى هذه الحقيقة ففي القرآن الحكيم في وصف المؤمنين : ﴿ **يحبهم ويحبونه**﴾[٢٣٣] وفي آية آخرى : ﴿ **والذين آمنوا أشدّ حباً له**﴾[٢٣٤] وفي آية ثالثة : ﴿ **ان كان**

آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وعشْيَرَتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا ﴾(٢٣٥) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما)(١١٩٠)

وقال صلى الله عليه واله وسلم : (الحب من شروط الايمان)(١١٩١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أحبوا الله لِما يفدوكم به من نعمه وأحبوني لحبّ الله)(١١٩٢) وفي دعائه له صلّى الله عليه وآله وسلم : (اللهمّ إرزقني حبك وحب من يحبك ، وحب من يقرّبني الى حبك واجْعل حبك احب اليّ من الماء البارد)(١١٩٣) .

أرأيت كيف يشاق الانسان الى بعض مطالب الروح ، حتى ان مطالب الجسد تكون في جنبه كالصفر بما للنسبة الى العدد ؟ وهكذا يكون الانسان المُحِب لله تعالىٰ، ان الملاذ الجسدية كالماء البارد والطعام الشهي والزوجة الجميلة والقصرالفخم وما أشبه كلها تكون حينئذٍ بمنزلة الاصفار بالنسبة الى حب الله ، حتى انه يُرجَح رضىٰ الله على تلك الاشياء لا ترجيحاً عقلياً فقط ، بل ترجيحاً خالط روحه وملأ نفسه ، ان الانسان قد يرجح شرب الدواء على أكل الطعام اللذيذ لكنه ترجيح عقلي ، أما ترجيحه لحب ولده على حب انسان بعيد عنه ترجيح روحي عاطفي بالأضافة الى كونه عقلياً ايضاً .

واسمع الى هذا الحديث الذي يكاد يسيل رقة ولطفاً : « لقد نظر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم الىاحد اصحابه مقبلاً ، وعليه إهاب كَقَبس ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (انظروا الى هذا الرجل قد نوّر الله قلبه ، لقد رأيته بين أبويه ، يغذيانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون)(١١٩٤) ، انه ترك عطف الأبويين ، وما فيه من الرفاه ، لأجل الله تعالى ، واخذ يقاسي الشدائد لأجل محبوبه .

وروي انه جاء اعربي الى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا

رسول الله متى الساعة ؟ قال (ص) : ما ، أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ، إلا إني احب الله ورسوله ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : المرء مع من أحب » .

ولا يغرَّنَّ الانسان ما يزعمه من ظاهر هذا الحديث ، من أن المرء مع من احب ولو خالفه في الطريقة إذ المُخالف في الطريقة لا يُسمىٰ مُحباً وإنّ زعم الحب ، أرأيت أن اليهود الذين يزعمون حبهم لموسىٰ عليه السلام والنصارى الذين يزعمون حبهم لعيسىٰ عليه السلام وربما احبوهما عاطفياً حباً غامراً تسيل معه دموعهم اذا ذكروهما ـ هل يُحشرون معهما وهل يكونون في زمرتهما ؟ .

ان الحب كاذب اذا لم يكن معه عمل ، ولو كان هناك عاطفة ورقة ، فإن الحب شيء والعاطفة شيء آخر .

وفي دعاء كُميل بن زياد : « فهبني يا إلهيْ وسيدي ومولاي وربي : صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك ؟ » ان علم الانسان ان من يحبه ساخط عليه اشد ألماً ، من الآلام الجسدية ، اذ الروح اكبر تألماً من الجسد ، ومعنى الفراق البعيد روحاً ، لا البعد جسماً فإن الله سبحانه منزّه عن الجسم والجسمانية ، وفي دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام : « أنت الذي اذللت الاغيار عن قلوب احبائك ، حتى لم يحبوا سواك ، ولم يلجؤا الى غيرك وقال عليه السلام : « يا من أذاق أحباؤه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين » .

وليعلم الانسان الذي يريد تحصيل حب الله تعالى انه لا يحصل الحب إلا بالعلم والفكر ، فمن المحال ان يحب الانسان من لا يعرفه ، أولا يفكر في لطفه وحسنه واحسانه ! ولذا يلزم على الانسان ان ينمي ملكة حب الله في نفسه أولاً بالعلم بالله وبسعة فضله وكمال قدرته وسائر محامده ، وثانياً بالتفكّر والتذكّر في لطفه ، وإن ما عداه لا يعد شيئاً في قباله ، أرأيت لو انك كنت تحب جندياً واحداً لأنه يدافع عن بلادك ، ثم علمت ان الحكومة العُليا هي التي تدافع وإنما هذا الجندي فرد واحد صغير في جنب تلك القوةالهائلةالتي تدير البلاد يجب النفع لها ودفع الضرر عنها ، كيف تنصرف عن حب الجندي الى حب

الحكومة ؟ حتى إنك تُقدم رضاها على رضاه ، وهكذا يكون من عرف الله سبحانه ـ ولا مناقشة في الامثال ـ .

وقد رُوِيَ : إن عيسى عليه السلام : (**مرّ بثلاثة نفر ، قد نحُلَت أبدانهم ، وتغيرت ألوانهم فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا : الخوف من النار ، فقال : حقّ على الله ان يؤمِّن الخائف ، ثم جاوزهم الى ثلاثة أخرى فاذا هم أشد نحولاً وتغيراً ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا الشوق الى الجنة ، فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ، ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى ، فاذا هم أشدنحولاً وتغيّراً ، كان على وجوههم المرايا من النور ، فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا حب الله عز وجل ، فقال : انتم المقربون**)(١١٩٥) .

الجنة نعيم جسدي ، والنار عذاب جسمي ، أما حب الله فهو نعيم روحي ، ومن ذاق ذلك كان اشد فرحاً وانبساطاً وانشراحاً ممن ذاق حلاوة النعيم الجسدي ، كما أن من خاف قوته وعدم الوصول اليه ، كان أشدّ نحولاً وتغيّراً وهولاً ، ممن خاف حرمان ، الجنة ، أو الابتلاء بالنار .

وحب الله الذي لا يمكن ان يتصور لذّته ، من لا نصيب له منه ، كالطفل الذي لا يمكن ان يدرك لذة الوجاهة عند السلطان ، أو كالجاهل الذي لا يمكن ان يدرك لذة حل المسألة المستعصية ، لدى العالم ، أو كالأعمى من الأم ، الذي لا يمكن ان يدرك لذة المبصرات الجميلة .

* * *

اما الحب لله ، فهو ايضاً مما حرَّض عليه الاسلام ابلغ تحريض ، وبقدر انه يوجب رفعة الانسان ، مُشكل وصعب ، فإن الانسان بحكم ميوله واتجاهاته ومصالحه ، يذهب يميناً وشمالاً في حبه ، اما ان يصرف حبه كله في الله ، فلا يحب الا الله ، ولا يكره إلا لله ، فذلك صعب ، مشكل جداً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ودُّ المؤمن للمؤمن في الله اعظم شعب الايمان ، ألا ومن احب في الله ، وأبغض في الله وأعطى في الله ، ومنع في الله ، فهو من أصفياء الله)(١١٩٦) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوماًلأ صحابه : (أيّ عُرى الايمان أوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله اعلم ، وقال بعضهم : الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة ، وقال بعضهم الصيام ، وقال بعضهم : الحج والعمرة، وقال بعضهم ، الجهاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لكل ما قلتم فضل ، وليس به ، ولكن أوثق عُرى الايمان : الحب في الله والبغض في الله ، وتوالي أولياء الله والتبري من اعداء الله)(١١٩٧) .

إن كان الأمر كذلك فإن الحب في الله والبغض في الله ، لا يكون إلا إذا كانت وجهة الانسان مصروفة الى الله تماماً ومن المعلوم أن من صرفت وجهته الى الله ، يتأتى العمل الصالح تلقائياً ، فالجهاد والصلاة والصيام وما أشبه أثر من آثار الحب في الله .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (المتحابّون في الله يوم القيامة على أرض زبرجد خضراء في ظل عرشه عن يمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ وجوههم اشد بياضاً من الثلج و أضوء من الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كل مَلَك مقرَّب، ونبي مرسل يقول الناس من هؤلاء ؟ فيقال هؤلاء المتحابّون في الله)(١١٩٨) .

المراد بـ (عن يمينه) انه لو فرض شخص في العرش مقبلاً بوجهه على الناس ، كان طرفه الأيمن محل هؤلاء ، ولما كان الكلام مشار شبهة الجسمية ، اضرب صلى الله عليه وآله وسلم بقوله كلتا يديه يمين ـ دفعا لإيهام الجسمية .

وقال الامام السجّاد عليه السلام : « اذا جمع الله الأولين والآخرين قام منادٍ فينادي بنداء يُسمِع الناس ، فيقول : اين المتحابون في الله ؟ قال : فيقوم عنق من الناس ، فيقال : لهم اذهبوا الى الجنة بغير حساب ، قال : فتلقاّهم الملائكة فيقولون : الى اين ؟ فيقولون : الى الجنة بغير حساب فيقولون : أيّ

ضرب انتم من الناس ؟ فيقولون : نحن المتحابون في الله ، قال : فيقولون : وأي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنا نحب في الله ونبغض في الله قال : فيقولون نِعْم أجر العاملين »(١١٩٩) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **اذا أردت أنْ تعلم أنَّ فيك خيراً ، فأنظر الى قلبك ، فإن كان يحب أهل طاعة الله ، ويبغض أهل معصيته ففيك خير ، والله يحبك ، واذا كان يبغض أهل طاعة الله ، ويحب أهل معصيته ، فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحبَّ »(١٢٠٠) .**

وانظر الى هذا الحديث الذي قاله الامام الباقر عليه السلام لترى قيمة المحبة في الله ، قال عليه السلام : « **لو أنّ رجلاً أحبَّ رجلاً لله اثابه الله على حبه إياه ، وإنّ كان المحبوب في علم الله من أهل النار ، ولو أنَّ رجلاً أبغض رجلاً لله ، لأثابه الله على بغضه إياه ، وإنّ كان المبغض في علم الله من أهل الجنة »(١٢٠١).**

ان الحب في الله ، موضوعي ، لا طريقي ، اذ الحب هو الباعث للخير في الدنيا والسعادة في الآخرة ، فأَيّهم ان يكون المحبوب من آل الله أو من اعداء الله ، وكذلك البُغْض في الله موضوعي وليس طريقياً .

ثم ان ملكة الحب في الله والبغض في الله ، كسائر الملكات التي قابلة للايجاد ثم قابلة للانماء ، فإنك اذا اكثرت التفكر في الكون ، وان جميع الخيرات من الله سبحانه ، وجميع الشرور ليست من الله سبحانه ، ثم تذكرت عظمة الله سبحانه وسعة ملكه ، لاحببته حباً يشغف قلبك ويمتزج بروحك ويخالط نفسك ، فإن الانسان مجبول على حب المحسنين وعلى حب العظماء . . . ثم اذا احببت الله سبحانه ، احببت كل ما يتعلق بالله ، فقد قالوا :(كل شيء من الحبيب حبيب) ، واذا غمر قلبك حب الله وحب ما يتعلق به ـ وهو الحب في الله ـ كأنه لا بدّ وأن تبغض ما هو على خلاف الله ، وعلى خلاف محبوب الله وهناك كمال الايمان والخير في الدارين .

قال الصادق عليه السلام : « **من أحب الله ، وأبغض لله وأعطى لله ،**

فهو من كَمُل إيمانه »(١٢٠٢) وقال عليه السلام : « ان المتحابين في الله يوم القيامة ، على منابر من نور ، قد أضاء نور اجسادهم ونور منابرهم كل شيء ، حتى يعرفوا به ، فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله »(١٢٠٣) .

فاذا نظم الانسان كل يوم ، ولو ربـع ساعـة ، للتفكر حـول هذا الموضوع ، لم تنتهِ سنة إلا ويرى نفسه متصفاً بهذه الملكة الثمينة التي هي مبعث سائر الفضائل ، والكمالات ، فاذا احب الانسان ربه، لم يأتِ بمحرم ولم يترك واجباً ، فإن الحب يؤسر صاحبه حتى لا يأتي بما يكره المحبوب .

* * *

العُـــزْلَـــة

يقول الشاعر الفارسي :

صَمْت ، وجـوع ، وسهرو ، عـزلت ، وذكر بـداوم
نــا تمــام جــهــان راكــنــد ايــن پــنــج

يعني ان (الصمت والجوع والسهر والعزلة ودوام ذكر الله) هذه الخمسة تكمل الناقصين . والأمر كما قال هذا الشاعر ، فإن البدن كلما رُبي ضَعُف جانب الروح وقويت البهيمية في الانسان ، وبالعكس كلما ريض البدن قويت الحالة الملكوتية في الانسان ، وصفى الروح ، والامور الخمسة المذكورة هي التي تريض البدن وتقوي الروح .

فحفظ اللسان عن الكلام ، وتخلية المعدة عن الطعام ، وإفراغ العين عن المنام ، والانعزال عن الآنام ، وذكر الله على الدوام ، كلها من مصفيات الروح ، ومضعفات البدن .

لكن هل يجوز حفظ اللسان عن الارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم والوعظ وما أشبه ؟ .

وهل يجوز عدم الاكل حتى يضعف الانسان عن الواجبات ، ويكون بدنه مُعرضاً للأمراض ؟ .

وهل يجوز عدم النوم حتى يمرض الانسان ، وينعس عند اداء الواجبات ، ويكسل عن إقامة السِنَن ؟ .

وهـل يجوز تـرك الناس بـدون واعظ مُنْذر ، والفـرار الى الكهـوف والثغور ؟ .

كلا ! والإسلام ينهي عن ذلك ، ويأمر بخلافه ، إنما المهم الرقابة الكاملة على النفس ، حتى لا تنزلق الى حضيض البهيمية . والأئمة الطاهرون خير أسوة في تطبيق الحياة المتوسطة بين الأفراط والتفريط فهم كانوا يتكلمون بخير أو يصمتون وكانوا يأكلون بمقدار تقوية ألابدان وتقويم الاجساد ويجوعون ، وكانوا ينامون شطراً ويسهرون شطراً : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون**﴾[٢٣٦] وكانوا يخالطون الناس لارشادهم ، ويعتزلون بقدر ، اما ذكر الله قلباً ولساناً ، فقد كان يغمر أوقاتهم .

نعم مختلف الظروف والاحوال في تقدير هذه الأمور ، فربما كان الظرف ملائماً للصمت ، فلا مجال للكلام ، وربما كان العكس ، فلا مجال للصمت ، وهكذا سائر الأمور المذكورة ، فالعزلة التي كلامنا فيها الآن ان كانت موجبة لحفاظ الانسان من المعاصي والمحرمات فيما لم يكن اختلاطه سبب هداية واصلاح ، تكون واجبة . . . وان كانت بالعكس كانت محرمة ، ولذا ورد قسماً من الأدلة في هذا الباب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**ان الله يحب العبد التقي الخفي**)(١٢٠٤) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**افضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، ثم رجل معتزل في شعب من الشِعاب**)(١٢٠٥) وسأل رجل الرسول (ص) : عن طريق النجاة ؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (**ليسعك بيتك ، وامسك عليك دينك ، وأبكِ على خطيئتك**)(١٢٠٦) وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **فَسُد الزمان ، وتغير الأخوان ، وصار الأنفراد أسكن للفؤاد** »(١٢٠٧) وقال عليه السلام : « **أقلل معارفك ، وانكر من تعرف منهم** »(١٢٠٨) وقال عليه السلام : « **صاحب العزلة متحصّن بحصن الله تعالى ، ومتحرّس بحراسته ، فيا طوبى لمن تفرد به سِراً وعلانية** »(١٢٠٩) الى غيرها من الاحاديث التي هي بهذه اللهجة والاسلوب . . . وفي الحقيقة ان بعض الظروف تتطلب العزلة اذ الاختلاط لا يوجب الا الفساد والإفساد ، كما ان لبعض الناس العزلة لهم خير ، لأنهم في المجتمع يفسدون ويفسدون .

اما الظروف العادية ، بالنسبة الى الانسان العادي ، فالأختلاط هو اللازم ، حتى ان العزلة ـ لاستلزامها ترك الارشاد ، وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ تكون محرمة .

ولذا وردت الأحاديث في ذم العزلة ، ومدح الاختلاط ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**المؤمن أِلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**)(١٢١٠) وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (**من فارق الجماعة مات ميتة الجاهلية**)(١٢١١) فإن رهبان الجاهلية كانوا يفارقون الجماعة ولا رُهبانية في الإسلام ، بل سيرة النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام خير شاهد للإلفة والاختلاط ، لكن الانسان يجب ان يحافظ على دينه، لئلا يغمره تيار الإنحرافات التي تخرط الناس في مسلكها في كل زمان ومكان خصوصاً في زماننا الحاضر .

ان المجتمع قَبْل سقوط الدولة الاسلامية ، كانت قمتها الزُهّاد ، وبعدهم العدول ، والهرم العاديون الذين قد تأتي منهم المعاصي الأولية ، كالغيبة والكذب ، وما أشبه ، ولذا كان المخالط يجد ـ من ناحية الإسوة الصالحة ـ ومن ناحية ، المتدينين . . . اما اليوم فالقمة العدول، وبعدهم الفسّاق ـ بلوني الفسق البدائية والمغلظة ، كالزنا والخمر والقمار وترك الصلاة وما أشبه ـ والهرم المنحرفون عقائدياً ، والمنكرون للضروريات ، وما أشبه ، ولذا كانت الاستقامة في مثل هذا المجتمع من اشكل الأمور ، لكن ، من الضروري على المتدين ان يبقى في المجتمع ، ويأخذ زمام الارشاد والهداية وإلّا كان مسؤولاً امام الله سبحانه .

الرِّضـــا

الكون كله خاضع تحت إرادة الله الواحد القهّار ، لا يحيد عنها قيد شعرة ، فقد : ﴿ قالتا أتينا طائعينْ ﴾[٢٣٦] وجزء من هذا الكون ـ وهو الانسان ـ خاضع لهذه الارادة الإلهية لا يتمكن ان يحيد عنها قيد شعرة ، إلا بقدر ما أراد الله سبحانه فأعطاه الزِّمام ، وأثَر الانسان في الكوْن أقْل من أثَر النملة على الصفاة الملساء .

ان الانسان يتمكّن من (البناء) ومن (الطيران) ومن السير بوسائل مختلفة ، لكن كم تقدر نسبة هذه الأمور الى الأرض التي تسكنها ؟ فكيف بالكون كله ؟ .

ثم انه قد (جرى قلم القضاء بما يكون (فسيّان التحرك والسكون) إلا في حدود ضيقة جدّاً شاءت الأرادة الكلية ، ان يكون للانسان بعض المصيب ﴿ لنبلوهم ايهم احسن عملاً؟ ﴾[٢٣٧] .

فاذا رضي الانسان بما قدره الله سبحانه ، من حياة وموت وصحة وسقم ، وغنى وفقر ، وارتفاع وانخفاض ، أو ما أشبه ، كان مطمئن الخاطر في الحياة ، مثاباً بعد الممات وإلاّ لم يحصل إلاّ الاضطراب في هذه الدنيا ، والعقاب في الآخرة ، ولذا يلزم على الانسان ان يدرب نفسه على (الرضا) وينمي في نفسه هذه الملكة الشريفة .

وليس معنى الرضا الاستسلام والكسل وعدم العمل ، بل معناه : ان يعمل الانسان حسب المستطاع ، وكما أمَر الله ، في مختلف شؤون الحياة ، ثم اذا جاء القدر لم يغضب ولم يسخط وانمايتقبله بقبول حسن ، حتى يوفّى في أجره غير منقوص .

وقد أرصد الإسلام لهذه الناحية المهمة أكبر رصيد ، ففي الخبر القدسي : (**أنّا الله لا إلهٰ إلاّ أنا ، من لم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعمائي ، لم يرضَ بقضائي ، فليتخذ رباً سواي**)(١٢١٢) وفي خبر قدسي آخر : (**قدّرت المقادير ، ودبّرت التدبير ، واحكمت الصنع ، فمن رضي ، فله الرضا مني حين يلقاني ومن سخط فله السخط مني حين يلقاني**)(١٢١٣) وقال موسى عليه السلام في مناجاته لله سبحانه : (**إيْ ربّ أيَّ خلقك احب اليك ؟ قال : من اذا اخذت منه المحبوب سالمني ، قال عليه السلام : فأيّ خلقك انت عليه ساخط ؟ قال : من يستخيرني في الأمر ، فاذا قضيت له سخط قضائي**)(١٢١٤) .

ولعلّ معنى (يستخيرني في الأمر) انه يطلب مني ان اجعل الخير في عمله ، فاذا عمل بذلك ، ورأى ضرراً سخط ما قدرت له !

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **ومن سخط القضاء مضى ، عليه القضاء ، واحبط الله اجره** »(١٢١٥) وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه ، ويحقّر منزلته ، والحاكم عليه الله ، وانا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرِّضَا ان يدعو الله فيستجاب له** »(١٢١٦) ان هذا الضمان كبير جداً ، لكن الشرط ايضاً مشكل ، فإن الرِّضا المطلق لا يحصل إلاّ بعد طول المجاهدة .

وانظر الى هذا الحديث الذي فيه التحذير والترغيب على حدّ سواء « رُويَ انه اوحىٰ الله تعالى الى داود : (**تريد واريد وإنما يكون ما أريد ، فإن اسلمت لما اريد ، كفيتك ما تريد ، وان لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد** »(١٢١٧) ,

وفي الحديث : (**ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل اصحابه : ما انتم ؟ فقالوا : مؤمنون ، فقال : ما علامة إيمانكم ؟ فقالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر عند الرضاء ، ونرضىٰ بمواقع القضاء ، فقال صلّى الله عليه وآله وسلم : مؤمنون وربِّ الكعبة**)(١٢١٨) وفي خبر آخر انه صلّى الله عليه

وآله وسلم قال : (**حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء**)(١٢١٨)

وقال صلّى الله عليه واله وسلم : (**اذا احب الله عبداً ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، فإن رضي اصطفاه**)(١٢١٩) ولنقف قليلاً عند هذا الحديث فالله سبحانه لا يحب العبد إلا إذا كان مُطيعاً ، فإذا اطاع احبه وهناك درجة أرقى من درجة الحب ولا ينالها إلا الذي يبتلي فيصبر ولذا يدرج الله محبوبه بالابتلاء والشدائد الى هذه الدرجة ، فإن نجح وذلك بأن صبر في البلاء فلم يجزع ولم يعمل عملاً يكرهه الله تعالى « اجتباه » اي اختاره ،والمختار ـ كما نشاهد ـ قسمان : قسم مصفّى من جميع الشوائب ، وهذا هو « المصطفىٰ » وقسم ليس بهذه المنزلة ، فالمُبتلَى أن رضي بالابتلاء ـ وهو فرق الاصطبار كان جديراً بالإصطفاء ، وهذه درجة رفيعة جداً لا ينالها إلا الأوحدي من الناس وقليل ما هم !

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**اذا كان يوم القيامة ، انبت الله لطائفة من امتي اجنحة ، فيطيرون من قبورهم الى الجنان ، يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا ؟ فتقول لهم الملائكة : هل رأيتم الحساب؟ فيقولون : ما رأينا حساباً ، فتقول لهم : هل جُزْتم الصراط ؟ فيقولون : ما رأينا صراطاً ، فتقول لهم : هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون : ما رأينا شيئاً ، فتقول الملائكة : من أيّة امة أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فتقول : ناشدناكم الله ، حدثونا : ما كانت اعمالكم في الدنيا ، فيقولون : خصلتان ، كانتا فينا ، فبلغنا الله هذه المنزلة ، بفضل رحمته فيقولون : وما هما ؟ فيقولون : كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه ، ونرضى باليسير مما قسم لنا فيقول الملائكة : يحق لكم هذا**)(١٢٢٠) .

ان هاتين الصفتين « الاستحياء في الخلاء » و « الرضى باليسير » في قمة الفضائل ، التي ما وراءها قمة ، فإن الحياء في الخلاء ، يدل على ملكة راسخة في القلب تبعث على الخوف والخجل من الله سبحانه ومن المعلوم : ان الذي يخجل من الله تعالى لا يعصيه وإنما يفعل ما يأمر . والرضا باليسير لا يتسنّى لكل

احد ، وانما هو صفة راسخة في النفس يرى الإنسان لسبب هذه الصفة ان الله محسن اليه ، وإنْ أعطاه اليسير ، وان ذلك لمصلحة وحكمة، ولو دققت اليوم في المسلمين لوجدت قلّة قليلة منهم بهذه الصفة .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **ان الله بعدله وحكمته وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى عن الله تعالى ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط**»(١٢٢١) .

ان المتقين بثواب الله ، والراضي بفعل الله ، لا بد وان يرتاح ويفرح بما يأتيه بخلاف الشاك الساخط ، فهذه الفضيلة ـ اعني الرضا ـ توجب خير الدنيا قبل خير الآخرة ، وأيّ خير احسن من الروح والفرح ؟ .

وقال الإمام السجاد عليه السلام : « **الصبر والرضا رأس طاعة ، الله ، ومن صبر ورضي عن الله ، فيما قضي عليه ، فيما أحبّ أو كره لم يقضِ الله عز وجل له فيما أحبّ أو كره إلا ما هو خير له** »(١٢٢٢) .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **أحقُّ خلق الله ان يسلم لما قضى الله عز وجل ، من عرف الله عزّ وجلّ ، ومن رضي بالقضاء ، أتى عليه القضاء ، وعظّم الله اجره من سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله اجره** »(١٢٢٣) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **اعلم الناس بالله ، أرضاهم لقضاء الله** »(١٢٢٤) وقال عليه السلام : « **قال الله عز وجل عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلّا جعلته خيراً له فلْيرضَ بقضائي ، وليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، اكتبه يا محمد من الصديقين عندي** »(١٢٢٥) .

ان الله سبحانه لا يريد بالعبد شراً فاذا وصل اليه شيء مما يكره ، مما لا يدله في ذلك الشيء ، كان له من الله أجراً جزيلاً وثواباً جميلاً ، اما اذا لم يرضَ فما الفائدة ؟ انه خسر الدنيا ، كما خسر الآخرة ، وأقل خسران الآخرة ان لا ينال نصيبه من الثواب ، أليس ذلك خسارة كبيرة ، ولذا كان اعلم الناس بالله وبحكمه في اموره ارضاهم لقضائه .

انظر الى هذا الحديث المروي عن الإمام عليه السلام ، انه سبحانه اوحى الى موسى بن عمران : **« يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً احب اليَّ من عبدي المؤمن ، فإني أنمّا ابتليته لما هو خير له ، وأعافيه لما هو خير له ، وأزوي عنه ما هو شرٌّ له ، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي ، فلْيَصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ولْيَرضَ بقضائي اكتبه في الصديقين عندي ، اذا عمل برضائي وأطاع امري »**(١٢٢٦) .

وقال عليه السلام : **« عجبت للمرء المسلم ، لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له ، ان قرض بالمقاريض كان خيراً له ، وان ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له »**(١٢٢٧) .

وهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها ، وهي ان بعض الناس يظنون ان الرضا بالقضاء يلازم الاتكال وترك الاسباب ، والانفلات عن قبضة العلل والمعلول ، أليس كل شيء بقضاء وقدر ؟ وأليس من رضي فله من الله الرضا ، ومن لم يرضَ جرى عليه القضاء ولا اجر له ؟ .

ولكن هذا من أعظم الأشتباه ، ان الله سبحانه جعل الدنيا دار السبب والمسبب ، وأمر بالتوصل بالأسباب الى مسبباتها ، لكنَّ هناك شيئين خارجين عن مقدور الانسان (الأول) بعض الاسباب (الثاني) الامور الاتفاقية ، مثلاً الانسان الذي ليست له قوة ، لا يتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد يزرع الزارع ولكن الرياح الخارجة عن قدرته تسبب فساد الزرع .

فمحل الرضا ، بالقضاء هذان الأمران ، ومحل العمل والكد والجد الأمور الاختيارية التي للانسان شأن فيها وله قدرة عليها .

وكل واحد من الاتكال على القضاء ـ المزعوم ـ بعدم العمل والكد ، فيما بيد الانسان طريقه ويتمكن من سببه . ومن عدم الرضا بالقضاء فيما لا إرادة للانسان فيه ، خروج عن سنن الكون وتضييع للواقع ، فاذا أصاب الانسان مرض مثلاً ، يلزم ان يذهب الى الطبيب ويستعمل الدواء ، فاذا لم ينجح الدواء وأزمن المرض يلزم ان يرضى بالقضاء ، اما عدم الذهاب الى الطبيب ـ بزعم

انه قضاء وعليه ان يرضى ـ او اذا ذهب ولم يبل بغضب ولا يرضى ، فكلا الأمرين خبال واشتباه .

ولكن ليعلم ان هناك من الناس من يشط عن جادة الصواب ، ويتكل على الاسباب فقط ناسياً رب الكون وانه المقدّر والمسيّر والموصل الى النتيجة ، هذا جهل وزيغ وانحراف .

ولو مثلنا الواقع ـ ولا مناقشة في الامثال ـ بأنسان يريد الوصول الى النجف الاشرف فاللازم ان يركب السيارة ويسوقها السائق حتى يصل ، (١) فاذا لم يركب السيارة ، بزعم ان وصوله الى النجف وعدم وصوله بقضاء وقدر ، فلم يتعب نفسه ؟ كان إغراقاً من جهة الإتكال (٢) واذا ركب السيارة وزعم انها هي السائرة بلا واسطة سائق ، كان زَيْغاً وظلالاً (٣) واذا ركب واعتقد بالسائق ، لكنها خربت في الطريق ثم لم توصل ، فغضب وابدى عدم رضاه ، كان من عدم معرفة بالواقع ، ولا يفيد غضبه وسخطه .

والنفس المتوسطة التي لا تكون منحرفة الى احد الاطراف الثلاثة الزائفة ، لا تحصل إلا بعد طول الفكر والروية ، وإعمال القوة الروحية ، واذا حصلت كان الانسان متوسطاً عدلاً ، لم يتحسر على ما لا حيلة له فيه ، ولا يحزن لما يصيبه حزن أهل الدنيا ، ولا يعتمد على الاسباب مما يفسد عليه جمال التوكل وسعة الروح المتطلعة الى عالم الغيب .

ولذا ورد في القرآن الحكيم : ﴿ **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[٢٣٨] فإنه ليس المراد عدم الحزن مطلقاً ، وإلا فقد حزن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم على ولده ابراهيم عليه السلام ، وحزن الإمام الحسين عليه السلام على ولده علي الاكبر عليه السلام الى غيرهما بل المراد حزن أهل الدنيا الذين يرون الاسباب والمسببات ولا يرون الحكم والمصالح والفوائد الآجلة والعاجلة والثواب والجزاء ، وهكذا الكلام بالنسبة الى « لا خوف عليهم » فإنه لا ينافي خوف موسى عليه السلام من فرعون وزملائه، فإن المراد خوف اهل الدنيا الذين يرون « ما وراء عبادان قرية » .

وقد ورد في الحديث القُدسي ان الله سبحانه قال لداود عليه السلام (يا داود ما لأوليائي والهمّ بالدنيا ، إن الهَم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم إن محبتي من أوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون)(١٢٢٨) .

كما أن ما ورد من ان الأمور كلها بيد الله تعالى كقوله تعالى : ﴿ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾(٢٣٩) وقوله سبحانه : ﴿ ان الله هو الرزاق ﴾(٢٤٠) وما اشبه وكلها ناظرة الى جهة السير وواقع المسير والموصل ، فالله هو الموصل ولكن بالاسباب .

التَّـــوَكُل

إيكال الأمور الى الله من أفضل المقامات التي يصل اليها الانسان ، ولا يصل الانسان الى هذا المقام إلا بعد جدّ وجهد ، ولذا كثير من الناس ـ بل اكثرهم ـ لا يرون للتوكل معنى ـ أولا يتمكنون أن يصلوا لى هذا المقام .

ومعنى إيكال الأمر اليه سبحانه ، ان لا يحرص الانسان بالأتيان على اكثر من الأسباب الظاهرية ، ولا يَغْتم لما فاته ولا يحزن اذا لم يصل الى النتيجة ، مثلاً اذا عقل الانسان رجل بعيره في المحل الآمن من السبع واللص ووكل الأمر بعد ذلك اليه سبحانه كان معنى التوكل إنه يهدأ باله ، فلا يتفكر في امر بعيره هل يصيبه شيء أم لا ؟ واذا اصابه شيء ، لم يحزن حزناً لا يرى في ذلك له مصلحة واجراً .

اما من لا يعقل بعيره ، ويقول : « توكلت عليه تعالىٰ » فهذا خلاف ميزان التوكل ، اذ التوكل في الأمر الزائد على الأسباب ولذا لما رأى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعيراً بغير عقال ، سأل صاحبه عن السبب ؟ وحيث أجاب الإعرابي : بانه توكل على الله ! زجرّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : إعقِل وتوكَّل .

كما أن من يَعقِل لكنه لا يرى لله سبحانه دخلاً في حفظه ، أويرى ان له دخلاً ، لكنه لا يستقر قلبه ، او اذا اصابه شيء حزن وجزع ، فهو خلاف التوكل .

وقد يزعم بعض الناس المفرطين : ان التوكل عبارة عن عدم التماس الاسباب ، وهذا خبال وجهل ، كما انه قد يزعم بعض الناس المفرّطين : ان التوكل لا معنى له اذ الدنيا دار اسباب ، وهذا ايضاً جهل وزَيْغ ، فإن الاسباب ليست هي وحدها الموصلة الى المسببات ، وانما هناك ارادة قوية فوق الاسباب ، هي المقررة للمصير أرأيت من يزرع ، هل هو الذي يأتي بالثمر ؟ أو من يباشر هو الذي يأتي بالولد ، ؟ أو من يتجر هو الذي يأتي

بالأرباح ؟ وهكذا ؟ وان كان الأمر كذلك فلِما كثيرون من يزرع ولا يحصد ، أو يباشر ولا ينجب ، أو يتجر ويخسر ؟؟؟

والتوكل بالأضافة الى انه امر واقعي ، وان من الجهل عدم التوكل ، انه يوجب الارتياح وهدوء البال ، واطمئنان النفس .

ثم التوكل باعتبار كونه ملكة من النفس تبعث على إيكال الأمور الى الله - بعد تحصيل الأسباب اللائقة - يحتاج الانسان في تحصيلها الى المجاهدة ، وإلاّ فالجزع والحزن والحرص هي الغالبة على الانسان في كثير من الاحيان والاشخاص ، كما ان الكسل وعدم العمل والاهمال هي الغالبة على بعض الناس الذين يزعمون انه التوكل ، فاللازم على الانسان ان يسلك السبيل الاوسط ويمارس هذا المسلك حتى يكون له ملكة ، وهناك التوازن والاعتدال ، والاطمئنان وارتياح البال ، وقد أرصد الاسلام لهذا ، الموضوع المهم في حياة الانسان ، جداً ، رصيداً كبيراً من الآيات والأحاديث .

قال القرآن الحكيم : ﴿وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾[٢٤١] وقال : ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[٢٤٢] وقال : ﴿ان الله يحب المتوكلين﴾[٢٤٣] وقال : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[٢٤٤] وقال : ﴿ومن يتوكل على الله ، فإن الله عزيز حكيم﴾[٢٤٥] .

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : (من انقطع الى الله كفاه كل مُؤّنة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها)(١٢٢٩) ولنقف قليلاً عند هذا الحديث الذي به يتبين سائر الأحاديث ايضاً ، لنرى الفرق بين المتوكل وغيره ، اذ كثيراً ما يخطر ببال بعض الناس ، إنّا نرى عدم الفرق بين المتوكل وغير المتوكل ففي هؤلاء اغنياء وفقراء وفي أولئك اغنياء وفقراء ؟ فكيف يكفي الله مُؤْنة المتوكل دون من عداه ؟ .

والجواب ان في الأمر مراحل ثلاث :

(١) مرحلة الهدوء النفسي ، ولا شك ان المتوكل هادىء النفس بخلاف غيره ، كما تقدم .

(٢) مرحلة الاجر والثواب ، ولا اشكال في ان المتوكل مأجور دون غير المتوكل .

(٣) مرحلة الأمور الدنيوية كالربح والمنصب وما أشبه ـ وهذه المرحلة هي مرحلة الاشكال والاشتباه ـ فنقول : ان التوكل على الله يورث الاستقامة التي هي بدورها تعطي كل امر حقه من العلاج والتسبيب والجهد له ، بخلاف عدم التوكل فإنه يورث عدم الاستقامة الذي هو بدوره يوجب الزيغ والافراط والتفريط .

مثلاً ، التوكل يوجب الطلب بقدر ، والانفاق في المصارف المقررة بقدر ، وهذا يسبب الغِنىٰ والاستقامة في العيش ، اما عدم التوكل فإنه يورث التكالب ، المنجر الى الربا والاحتكار والحروب التجارية وغلاء الاسعار والاختلال في التوازن الاقتصادي في البلاد ، وما أشبه .

فالأنقطاع الى الله بالتوكل بقدر ، والعمل والتسبيب ـ كما امر تعالى ـ بقدر ، موجب لكفاية كل مؤونة ، والعيش السعيد ، بخلاف الانقطاع الى الدنيا ، فإنه يوجب كل شرٍ وبَؤْس .

وحيث ان بعض الناس يفهم من هذا الحديث وبعض الأحاديث الآتية ، تعطيل الأسباب ، فلنقدم جملة من الأدلة الدالة على لزوم التسبيب ، ثم نرجع الى ما كنا بصدده من فضيلة التوكل ، بعد ما تقدم حديث « إعقل وتوكّل » قال الإمام الصادق عليه السلام : « **اوجب الله على عباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التي سببها لذلك ، وامرهم بذلك** » وفي القرآن الحكيم آيات دالة على لزوم الأخذ بالاسباب ، كقوله سبحانه : ﴿**يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال**﴾[٢٤٦] و﴿ **ولا تحاضون على طعام المسكين**﴾[٢٤٧] و﴿ **اعدوا لهم ما استطعتم من قوة من رباط الخيل**﴾[٢٤٨]) و﴿ **خذوا حذركم**﴾[٢٤٩] و ﴿ **قل اعملوا**﴾[٢٥٠] . الى غيرها . . .

وقد يزعم بعض الناس ان الله هو الذي يأتي بالسبب ، أليس هو سبحانه مسبب الأسباب ؟ وهذا اشتباه فإن معنى مسبب الاسباب انه جعل السبب سبباً ، لا أن معناه انه تعالى يأتي بالسبب ـ مثلاً ـ الله سبحانه جعل المباشرة سبباً لإنجاب الأولاد ، لا ان معناه انه يأتي بالأولاد بدون مباشرة ، وفي المشهورة « ابي الله ان يجري الأمور إلا بأسبابها وعمل النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام من أقوى الشواهد للزوم التمسك بالاسباب .

فالتحريض بالتوكل ، في مقابل من لا يتوكل ـ وهم غالب أهل المادة ـ لا في مقابل من يأتي بالأسباب ، كما أمر الله تعالى ، ثم يتوكل في الأمور الخارجية عن يده .

اذا عرفت هذا ، فلنرجع الى سائر ادلة التوكل المرشدة اليه والمحرضة للتمسك به ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**مَنْ سره ان يكون أغنىٰ الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده**)(١٢٣٠) ان ما في يد الانسان قد يتلف ، اما خزائن الله فلا تنفذ : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ**﴾[٩٦ ـ النحل] و ﴿ **ولله خزائن السماوات والأرض**﴾ [٧ ـ المنافقون]وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (**لو انكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقتم كما ترزق الطيور ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**)(١٢٣١) وليس معنى هذا ان يبقى الانسان في بيته ، بل معناه ان يغدو في طلب الرزق ، كما تغدو الطيور ، ومن المعلوم ان الغدر مع التوكل يوجب سوق الرزق الحلال الهنيء ـ كما هو كذلك بالنسبة الى الطيور ـ فلا يُقال : ان الغدو لا يحتاج الى التوكل ، لأنّا نرى غير المتوكل ايضاً يرزق ؟

واسمع الى هذا الحديث الطريف المروي عن الامام السجاد (ع) قال عليه السلام : « **خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط فأتكأت عليه ، فاذا رجل عليه ثَوبان ابيضان ، ينظر في اتجاه وجهي ثم قال : يا علي بن الحسين ، مالي اراك كئيباً حزيناً ، أعلى الدنيا ؟ فرِزْق الله حاضر للبر والفاجر ، قلت : ما على هذا أحزن وانه لكما تقول ، قال : فعلى الآخرة ، فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر قادر ، قلت : ما على هذا احزن ، وانه لكما تقول ، فقال مِمَ حزنك : قلت : مما نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس ! قال : فضحك ، ثم قال : يا علي بن الحسين هل رأيت احداً سأل الله فلم يجبه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت احداً توكل على الله ، فلم يكفه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت احداً ، سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ، ثم غاب عني** »(١٢٣٢) .

ولعل الرجل كان الخضر عليه السلام أو من الأرواح الطاهرة وانما جاء ليقول للإمام السجّاد عليه السلام تعليماً للناس ، فإنهم كثيراً ما كانوا لا يتمكنون من اظهار علومهم إلا بالاسناد .

وهنا كلامان (الأول) ان الخوف كيف يلائم مع علم الإمام بالمستقبل ، فإنك اذا

علمت ان مريضك يموت أو علمت انه لا يموت ، لا يصحّ ان تقول : أخاف من موت مريضي ، بل الخوف للأمر المترقب المشكوك فيه (الثاني) انه على تقدير صحة الخوف مع العلم ، فالإمام المطلع على الثواب والأجر ، لا وجه لخوفه .

والجواب (١) ان في بعض الأحاديث : ان الأئمة عليهم السلام ، اذا شاءوا عَلِموا . . فحالهم في علم المستقبل حالنا في رؤ ية الأشياء ، اذا أردنا فتحنا العين لنرى ، واذا لم نشأ لم نفتحها فلا نرى ، إذاً فمن الممكن عدم مشيئتهم لعلم المستقبل ، لمصلحة في عدم العلم (٢) يصح الخوف مع العلم بالمضر المستقبل ، ولذا يصح ان تقول اخاف من الموت ، مع انك تعلم انه يأتيك لا محالة (٣) من المحتمل قريباً ان يكون العلم بواسطة الاسباب العادية هي التي تؤ ثر في الحالات النفسية المعتادة ، اما العلم بواسطة الأسباب غير العادية ، فتارة تؤ ثر وتارة لا تؤ ثر مثلاً انك اذا علمت بأن عملية جرح الولد تسبب له راحة لا تحزن وانما تفرح ، لأنه علم بواسطة السبب العادي ، اما الأمام الحسين عليه السلام حيث كان علمه بأن قَتْل علي الأكبر يوجب له راحة كاملة وكان عليه السلام يرى الجنة ونعيمها التي ينعم فيه أبنه الشهيد ، بواسطة السبب الخارق للعادة ، لم يكن ذلك العلم يؤ ثر في فرح الامام عليه السلام وانما كان يحزن ويبكي لقتل ولده ـ وهذا الجواب دقيق جدّاً وبه يمكن ان يحل كثيراً من هذا القبيل من الاشكالات ـ .

(٤) ان العلم بالثواب لا يسبب عدم الخوف ، بل الخوف كالألم نتيجة لعالم الجسم ، فكما أن العلم بالثواب لا يسبب عدم ألم الجسم من سيف العدو ، كذلك العلم بالثواب لا يسبب عدم الخوف الحاصل من مقدمات الخوف ، كالفتنة وما أشبه . . . ولا يخفى ان هذا المبحث مربوط بالفلسفة انسقنا اليه انسياقاً ، دفعاً لم يتبادر الى بعض الأذهان ، من امثال هذا الحديث ، من الاشكال ، والله العالم بحقيقة الحال .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً ، من أعطى الدعاء ، أعطَي الإجابة ، ومن أعطى الشكر ، أُعطيَ الزيادة ، ومن أعطىٰ التوكل أُعطيَ الكفاية ، ثم قال : أتلوت كتاب الله عز وجل ؟ : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾**(٢٥٣) **وقال : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾**(٢٥٤) **وقال : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾**(٢٥٥) .

وقال عليه السلام : « ان الغنى والعز يجولان ، فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا »(١٢٣٤) وقال عليه السلام : « اوحى الله الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي ، دون احد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته ، ثم تكيده السموات والأرض من فيهنّ ، ألا جعلت له المخرج من بينهنّ وما أعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت اسباب السموات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبالِ بأي وادٍ هلك »(١٢٣٥) .

ثم ان كثيراً من الناس يزعمون ان التوكل ، لقلقة لسان ، وقوله : « توكلت على الله » . وهذا زعم باطل أرأيت المريض ، لو تلفظ بالدواء ألف مرة ، هل كان يكفي ذلك ، ويبلّه من مرضه ، حتى يستعمل الدواء ؟ انه كذلك «التوكل » لا ينفع لفظه ، إلا اذا استعمل به الانسان ، وانمى ملكته في نفسه ، نعم قولة : « توكلت على الله » اظهار وإيحاء ، وما اكثر فائدتها ، اما « الاظهار » فلأنه شعار ، والشعار مهم جداً ، شرعاً وعقلاً وعرفاً ، واما « الايحاء » فلأن الانسان اذا كرّر شيئاً ، خصوصاً اذا كان بصوت ، اوحى ذلك الشيء المكرر الى نفسه بالالتزام بذلك الشيء ولعل هذا هو سر ما ورد في الأحاديث الكثيرة من استحباب التلفظ بالفاظ الذكر والدعاء والقرآن وما أشبه ، بالأضافة الى فائدة « التعلّم » و « التذّكر » .

ولذا اعتاد الناس إملاء أذهانهم بالمحفوظات ، وإن كان وقت الحفظ قد لا يستفيد الانسان من محفوظة شيئاً ، إلا ان ذلك تَذْكِرة وإيحاء ، وما اكثر فائدتها !

ألشُّـــكُر

هل رأيت انساناً تقدم اليه « ماءً » ثم يشرب ، ولا يقول لك شيئاً ، كيف تمتعض ؟ انه ليس بأنسان كامل ، وإلّا لشكرك وأقلّاً ، باللفظ فقط ؟ .

ثم إئت الى الأزيد فالأزيد ، حتى تصل الى مَنْ أَنْعم عليك بكل شيء وكل شيء ، ألا يحق ان تشكره ليل نَهار ، وسرّ جهار وإنْ لم تَشكر ، فأنت جاحد كافر ، ولا أعني بالكُفر كفر العقيدة ، فإنه خاص بمن ينكر أو يرتاب في أصول الدين فقط ، وإنما أقصد بالكفر كُفْر العمل ، فإن من لا يصلي كافر ، ومن لا يحج كافر ، ومن لا يشكر كافر ، ولذا وردت الآيات والأحاديث في نسبة الكفر الى هؤلاء وأمثالهم ! في حديث ينقله شيخنا المرتضى في كتاب المكاسب ، ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام : (يا علي كَفَر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة ، النّمام و . . . .)

والشكر فضيلة جميلة ، يوجب كمال إنسانية الانسان ، وإلّا فالخالي عن الفضيلة ليس بانسان اطلاقاً ، وان كان ماشياً على رجلين ، فالدب وبعض القردة ايضاً تمشي على رجلين ، ولذا قال الإمام المرتضى صلوات الله عليه ، في الديوان المنسوب اليه

«إبني : إنّ من الرجلين بهيمةً في صورة الرّجل السميعِ المُبصرِ » مما أخذه السعدي الشيرازي فقال :

اكَـــر آدمي بكَـــوش است ودهـــان وچشم وبيني
چـــه مـــيـــان نـقش ديـــوار ومـــيـــان آدمـيـــت ؟

والشكر على ثلاثة انواع :

١ ـ الشكر باللّسان ، ؛ بأن يتلفظ الانسان بلفظه (الشكر لله أو أشكر الله)، أوما أشبه ، بل كل حَمْد ومدح له سبحانه فهو داخل في إطار الشكْر وان لم يكن بلفظ الشكر .

٢ ـ الشكر بالقلب ، بأن يعرف الانسان بقلبه ، ان النِعَم منه سبحانه ، وينوي له شكراً ومدحاً ، ويخضع قلباً ، أمام مُنعمه والمتفضل عليه ، حتى يكون القلب ذا ملكة الشكر .

٣ ـ الشكر بالجوارح ، بأن يأتي الانسان بما يليق بالمنعم ، من الاطاعة ، والاجتناب عن المعصية ، ولذا قال سبحانه : ﴿ **اعملوا آل داود شكراً** ﴾[٢٥٦] أي آتوا بالعمل الذي هو شكر .

قال الله تعالى : ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم ، إنْ شكرتم وآمنتم** ﴾[٢٥٧] وقال : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنّكم** ﴾[٢٥٨] وقال : ﴿ **فأذكروني اذكركم ، وأُشْكُرُوا لي ولا تكفرون** ﴾[٢٥٩] وقال : ﴿ **سنجزي الشاكرين** ﴾[٢٦٠] الى غيرها من الآيات ولكن هل كل احد يعرف قدر النعم ، ويأتي بالشكر حقه ؟ كلا ، قال سبحانه : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**الطاعم الشاكر ، له من الأجْر كأجر الصائم المحتسب**)(١٢٣٦) أليس كل واحد قد أتىٰ بشرائط العبودية ، ووأجب حقّ الله تعالى ؟ واستطرد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم في بقية الحديث السابق قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (**والمُعافىٰ الشاكر له من الأجر كأجر المُبتلي الصابر ، والمُعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع**)(١٢٣٦) وما ألطف هذا الحديث الذي فاه به الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم حيث قال : (**ان للنعم أو أبد كأوابد الوحش ، فقيدوها بالشكر**)(١٢٣٧) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (**ينادي منادٍ يوم القيامة ليقوم الحمّادون فيقوم زمرة ، فيُنصب لهم لواء ، فيدخلون الجنة**) فقيل: من الحمّادون؟ فقال : (**الذين يشكرون على كل حال**)(١٢٣٨)

وهل من الصحيح ان نشكره على بلائه والبؤْس كما نشكره على فضله ؟ نعم فإن الله تعالى لا يفعل بعبده إلّا خيراً سواء كان نِعمةً أونَقمة ، قل كل من عند الله ، والنقمة في المؤمن أما تأديب أو تخفيف ذنب أو رفع درجة ؟ وأيّة الثلاثة لا يستحق شكراً ؟ .

وقال الإمام السجّاد عليه السلام : « **ان الله سبحانه يحب كل قلب حزين ، ويحب كل عبد شكور** »(١٢٣٩) والظاهر ان المراد بالحزين ، الذي يحزن لأمر آخرته ، أويحزن

لضلال الناس وانحرافهم ، وقال الإمام الباقر عليه السلام : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عائشة ليلتها ، فقالت : يارسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال : ياعائشة ، ألا أكون عبداً شكوراً ؟ قال عليه الصلاة والسلام : وكان يقوم على اطراف أصابع رجليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾ »(١٢٤٠) وفي الحديث تنبيه على انه لا يلزم ان يكون العمل لاجل غفران الذنب ، بل ولو علم الانسان ان ذنبه مغفور ، كان من شرائط الطاعة ان يعمل شكراً لله تعالى ، ثم ان الظاهر ان المراد بالذنب ذنب النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أمام قريش ، فقد فتح الله سبحانه للنبي فتحاً مبيناً ، ومن نتائج الفتح غفران ذنبه السابق على الهجرة والمتأخر عنها ، كما هي العادة من الناس ينظرون الى الرؤ ساء نظرة الإعظام والاكبار ، فيغتفرون بذلك ما يعدونه ذنباً ، وهذا استعمال عادي كثير في المحاورات ، اما كون المراد بالذنب ذنب الأُمة كما ورد ، فذلك من المصاديق لكل غفران الذنب ، الصادق على ذنب الرسول بالنسبة الى قريش ـ كما هو الظاهر من سياق الآيات ـ وعلى ذنب الأُمة ، حيث ان ذنب الشعوب يعدّ ذنب الرؤ ساء ، وكيف كان فللكلام محل آخر .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « ما أنعم الله على عبد من نعمة ، عرفها بقلبه ، وحمد الله ظاهراً بلسانه ، فلم يتم كلامه ، حتى يؤمر له بالمزيد »(١٢٤١) وقال عليه السلام : » ثلاث لا يضر معهنّ شيء : الدعاء عند الكَرْب ، والاستغفار عند الذنب والشكر عند النعمة »(١٢٤٢) فلا كَرَب مع الدعاء ، ولا ذنب مع الاستغفار ، ولا خوف من زوال النعمة مع الشكر .

وقال عليه السلام : « شكر كل نعمة وان عظمت ان تحمد الله عزّ وجل عليها »(١٢٤٣) وليس المراد الحمد باللسان فقط ، بل الحمد بقول مطلق ، ولذا قال عليه السلام : في حديث آخر : « شكر النعم اجتناب المحارم ، وتمام الشكر قول الرجل : الحمد لله رب العالمين »(١٢٤٤) وسئل عليه السلام : هل للشكر حدّ اذا فعله العبد كان شاكراً ؟ « قال عليه السلام : نعم قيل : ماهو ؟ قال عليه السلام : « يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال ، وإن كان فيما انعم الله عليه في ماله حق أدّاه »(١٢٤٥) .

وقال عليه السلام : « كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم اذا ورد عليه أمر

يُسِّره قال : الحمد لله على هذه النعمة ، واذا ورد عليه امر يَغْتم به قال الحمد لله على كل حال »(١٢٤٦) وقال عليه السلام : « اذا ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب ، وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة ، فليضع خده على قربوسه ، وان لم يقدر فليضع خده على كفه ، ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه »(١٢٤٧)

ومن الجدير بالانسان ان يعوِّد نفسه الحمد لله ، بل ذكره سبحانه في كل مناسبة ، نحو : « في امان الله » و« إنْ شاء الله » و« عافاك الله » و« أصلحك الله » وما أشبه . وقد رُويَ ان النبي صلّى الله عليه وآله وسلم : سأل رجلاً قائلاً : (كيف اصبحت ؟) فقال بخير فأعاد صلّى الله عليه وآله وسلم ، فأعاد الرجل الجواب فأعاد صلّى الله عليه وآله وسلم السؤال ، فقال الرجل بخير أحمد الله وأشكره فقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (هذا الذي أردت منك)(١٢٤٨) وقد كانت عادة المسلمين الاتيان بذكره سبحانه ، وبما امر حتى جاءت المناهج الغربية فبدَّلوا كل شيء ، حتى هذا .

فقد كان لِلقاء « سلام عليكم ورحمة الله » . . . والآن : أهلاً ، أو(هالو) .

وللتحية بعد اللقاء : « صبّحكم الله بالخير » أو ما أشبه . . . والآن : صباح الخير . . .

وللتوديع : « في أمان الله » . . . والآن : في الأمان .

وللوعد « إن شاء الله » . . . والآن : صار . .

وللجواب عن سؤال الصحة « الحمد لله » : والآن : لا بأس أو ينقضي ، وهكذا ، وهكذا . . .

ثم ليعرف الانسان ، ان التوفيق للشكر ، والتمكن على الشكر ، من نعم الله التي تستحق ان يشكر الله سبحانه من وفّق له ، ولذا ورد : (ان الله اوحى الى موسى عليه السلام ، يا موسى اشكرني حق شكري ، فقال يا رب ، كيف اشكرك حقّ شكرك ، وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليَّ ؟ قال : يا موسى ، الآن شكرتني ، حيث علمت ان ذلك مني)(١٢٤٩) وورد مثل ذلك بالنسبة الى داود عليه السلام . .

وقد اخذه بعض العلماء فقال في منظومة له :

شكراً ، وأنّى لي بلوغ ما وَجَب   من شكْره والشكرُ للشكرِ سببُ

ثم ان الشكران كما يوجب المزيد من النعمة ، الكفران يوجب المنقصة ، والزوال . قال الله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ﴾ وقال سبحانه : ﴿ فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ وما أعجب هذا التعبير ، حتى كان الجوع والخوف لباس يشتمل على جميع اعضاءا لجسم ، فكل عضووكل جزء من البدن خائف جائع ، وهوكذلك فإن الخوف اذا اشتدّ يحس الشخص ان كل جزء من بدنه خائف وكذلك الجوع .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك ، وانعم على من شكرك ، فإنه لا زوال للنعماء اذا شكرت ، ولا بقاء لها اذا كفرت ، الشكر زيادة في النعم ، وأمان من الغير »(١٢٥٠) أي تغير الحال من الحسن الى السيء .

الصَّبْــــر

لقد مرّ بنا مراراً ، أن الفضيلة هي الوسط بين الإفراط والتفريط والتحفظ على الوسط مشكلٌ جداً ، فإ الانسان غالباً يميل الى احد حافتيْ الطريق .

والاشياء لها موازين خاصة ، ينبغي للانسان ، ان لا يخرج عن تلك الموازين .

فالصبر الذي هو محل الكلام ـ في هذا المبحث ـ إعتدال في السلوك ، لا عجلة لسبب الخبال والزيْغ ، ولا تلكؤ يوجب الإنحطاط والتأخُر ، مثلاً ، إنْ أسرع الرجل في زواج ولده قبل البلوغ ، كان عجلة وان أخّر الزواج الى بعد البلوغ بسنوات كان تفريقاً للأوان ، اما اذا بلغ زوجه مع صبر وتوئدة وروية ، ليختار الزوجة الصالحة ، فهذا هو الصبر المحبوب .

وبعض الناس يزعم أنه ليس في عمل الخير صبر ؟ وهذا غفلة عن معنى الصبر ، فالصبر ليس معناه التأخير ، بل معناه الأنتقاء والإختيار ، مثلاً : إنّ من الضروري ان تسرع في محاربة من يريد الانقضاض على البلاد الاسلامية ، لكن ليس معنى ذلك إلاّ أن تُبادر قبل فوات الأوان ، لا أن معنى ذلك ان لا تعمل الروية والفكر في إختيار الأنقى من الطرق ، والأنجح من السبل ، فالصبر في كل شيء بحسبه .

والصبر بالأضافة الى ما ورد فيه من الفضل في الآيات والأحاديث ، فضيلة انسانية تأتي بنتائج مدهشة ، في الإتقان وصحة العمل واصلاح الفاسد ، ولذا يلزم على الانسان ان يواظب على هذه الفضيلة ، ويقوي ملكتها في نفسه ، وقد قسّم العلماء الصبر الى ثلاثة أقسام :

١ ـ الصبر على الطاعة ، كالصلاة والصيام ، والحج وإيتاء الزكاة وما أشبه .

٢ ـ الصبر على المعصية ، كأنْ يُصبِّر نفسه عن إرتكاب الجريمة وإقتراف الحرام .

٣ ـ الصبر على المعصية ، بأنْ لا يخرج ، ولا يعمل عملاً يُنافي الشرع أو العقل أو العرف ، إنسياقاً وراء العاطفة .

أما الصبر على الأعمال حتى يأتي بالثمر الشهي ، فالغالب دخوله في باب الصبر في الطاعة .

بل لو دقق الانسان في اعمال البر لوجد كثيراً منها من أقسام الصبر فالتعفف عن الزنا ، والربا ، وأكل المال الحرام ، وسائر الجنايات يحتاج الى الصبر ، وإقام الصلاة والإتيان بالواجبات والمندوبات يحتاج الى الصبر والتعلّم والتفقّه والوفاء والحياء ، وما الى ذلك يحتاج الى الصبر ، والمشي مع الناس حتى يصلحهم ويرشدهم يحتاج الى الصبر ، وعدم الجزع في النوائب والمصائب والنوازل يحتاج الى الصبر ، وهكذا ، ولذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : هو الصبر !

وقد حرّض الإسلام على الصبر اكبر تحريض ، وأرصد له من الآيات والأحاديث اكبر رصيد ، ففي القرآن الحكيم اكثر من سبعين آية حول هذه الفضيلة الرفيعة كقوله سبحانه : ﴿ وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا﴾(٢٦١) وقال : ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا﴾(٢٦٢) وقال : ﴿ ولنجزين الذين صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(٢٦٣) وقال : ﴿ اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا﴾(٢٦٤) وقال : ﴿ واصبروا ان الله مع الصابرين﴾(٢٦٥) وقال : ﴿ وتواصوا ، بالحق وتواصوا بالصبر﴾(٢٦٦) وقال : ﴿ بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم ، من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ز آلاف من الملائكة مسوّمين﴾(٢٦٧) قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا ﴾(٢٦٨) وقال : ﴿ وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون﴾(٢٦٩) .

وكل ذلك حقيقة كونية ، بالإضافة الى الإمدادات الغيبية التي يتلقاها الصابرون ، فإن الصبر مفتاح الفرج ، وقد قال الشاعر الفارسي :

صبر وظفر هر دو دوستان قد يمند   دراثـر صبـر نـوبت ظفـر آيـد

يعني : إنّ الصبر والظفر صديقان من القديم ، ففي اثر الصبر يأتي الظفر ، وقبله قال تعالى : ﴿ ولمن صبر وظفر ان ذلك من عزم الأمور ﴾[٢٧٠] وهو كذلك فإن العزم الأكيد هو الذي يوفق الانسان بسببه على الصبر ، وانك اذا رأيت العلماء الكبار ، والشعراء العظام ، والكتّاب النابهين ، والمكتشفين الكبراء والخطباء البارعين ، وغيرهم من الطبقة العلية من الناس ، ترى السمة البارزة فيهم التي أوصلتهم الى تلك المرتبة الرفيعة والمنزلة العالية ، هي الصبر ، وقد قال احد الكِبار من الساسة : « إنّ الاصلاح يحتاج الى الصبر اللانهائي » .

هذا كله في الدنيا ، اما في الآخرة فـ ﴿ إنما يُوّفىٰ الصابرون أجْرهم بغير حساب ﴾[٢٧١] .

والاحاديث الواردة في فضيلة الصبر ، والسيرة النبوية المنهاج العملي للأئمة الطاهرين عليهم السلام ، في باب الصبر كثيرة جداً ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (الصبر رأس الايمان)(١٢٥١) وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (من أقلّ ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أعطى حظه منهما لم يبالِ ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولئن تصبروا على مثل ما انتم عليه احب اليَّ من أن يوافيني كل إمرىء منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي ، فينكر بعضكم بعضاً ، وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظَفر بكمال ثوابه ، ثم قرأ صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى : ﴿ ماعندكم ينفد ، وماعند الله باقٍ ﴾[٢٧٢])(١٢٥٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الصبر كنز من كنوز الجنة)(١٢٥٣) فكما ان الكنز يوجب رفعة صاحبه في الدنيا ، مالاً وجاهاً كذلك الصبر يوجب رفعة صاحبه في الجنة وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : (أفضل الأعمال ما أُكرهت عليه النفوس)(١٢٥٤) فعدم التكلم باللغو مع شدة رغبة الانسان الى الكلام وعدم تناول الطعام الزائد فكيف بالحرام مع وفرة رغبة الانسان اليه والقيام في أخريات الليل مع غلبة المنام وأمثال ذلك مما تكره النفس عليه من أفضل الأعمال الموجبة للقرب والزُلفىٰ لدى ذي الجلال .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم (في الصبر على ما تكره خير كثير)(١٢٥٥) وقال

صلى الله عليه وآله وسلم : (**الصبر من الأيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان**)(١٢٥٦) وسئل صلّى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان ؟ فقال : (**الصبر والسماحة**) وروي ان فيما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انه قال : (**تخلّق باخلاقي ، وان من أخلاقي إنّي أنا الصبور**)(١٢٥٨) .

واستمع الى هذا الحديث قال صلّى الله عليه وآله وسلم : (**ما تجرّع عبد قط جرعتين احب الى الله ، من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ، ولا قطرت بقطرة احب الى الله تعالى ، من قطرة دم أُهرقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خَطا عبدٌ خطوتين احب الى الله تعالى ، الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم**)(١٢٥٩) .

وهذه الأمور بالإضافة الى ما لها من الثواب تُوجب خير الدنيا والسعادة فيها ، فالصبر عند الغيظ والمصيبة يُوجب مهابة الانسان في النفوس ، والدّم في سبيل الله يُوجب التقدم ، والشوكة وقطرة الدمع توجب قوة الاتصال بالله مما هو رأس كل فضيلة ، فإن قوة الايمان تمنع صاحبها من الدنايا ، وهكذا الخطوة الى الصلاة ، اتصال بالله وهيبة عند الناس وصلة الرحم تأليف وقوة ونظام .

ورُويَ عن المسيح عليه السلام ، انه قال للحواريين : (انكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون » وهذه حقيقة بقدر ما هو تأييد من الغيب ، فهل رأيت عالمًا لم يسهر وتاجراً لم يكدح ، ومَلِكاً يتلقىٰ البشر من شعبه بدون نصب وعدل . . و. . . . و. . . ؟

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**الصبر ثلاثة ، صبر عند المصيبة ، وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الأرض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش**)(١٢٦٠) والله وحده يعلم هذه المسافات ، ويعلم ما

لأصحاب الدرجات الأرقىٰ من الابتهاج والسرور .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « **بُنِيَ الإيمان على أربع دعائم : اليقين ، والصبر ، والجهاد ، والعدل ،** » وقال عليه السلام : « **الصبر ، وحسن الخلق ، والبر ، والحلم ، من اخلاق الانبياء** »(١٢٦١) وقال الإمام الباقر عليه السلام : « **الجنة محفوفة بالمكاره ، والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات ، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار** »(١٢٦٢) والمراد الشهوة المحرمة .

الى غيرها وغيرها من الروايات الواردة بهذا الشأن .

ثم أن معنى الصبر على الطاعة ، عدم إطاعة الكسل والخوْر في عدم الاتيان بالطاعة . . ومعنى الصبر على المعصية ، ان يصبر نفسه فلا يأتي بالعصيان وإن كان فيه لذة وتاقت نفسه الى الاقتراف . . ومعنى الصبر على المصيبة ، ان لا يجزع بقول سيء أو عمل منافٍ ، للحلم . . ومعنى الصبر على العمل ، ان يستمر بدون إعارة أهمية للتعب أو كلام الناس والمصادمات .

وما في الروايات ، من أن الصبر الايمان ، أو جزءه أو نصفه وكرأسه ، أو امثال ذلك ، يراد به مراتب الصبر . . . والصبر من أهم أُسس النجاح في الدنيا والآخرة ، فعلى الانسان ان يهتم لتحصيل هذه الفضيلة ، أولاً ، ثم إنماؤ ها حتى يأتي بأحسن الثمار وأجمل الآثار ، والله الموفق وهو المستعان .

خاتمـــة

تم كتاب (الفضيلة الاسلامية) باجزائها الأربعة ، والحمد لله ربِّ العالمين .

وقد فكرت ذات مرة ، إنه لو كان للوقت متسع ، وللتوفيق سعة ، لكان بالامكان انهاء اجزاء الكتاب الى (الخمسين) لما للفضيلة من عرض عريض ، كما لا يخفى لمن راجع (الوسائل) و (المستدرك) و (البحار) و (جامع السعادات) و (مكارم الاخلاق) وغيرها .

ومن الضروري على كل مسلم ، فكيف بطلاب العلوم الدينية التملّي من هذا العلم ، ثم إقرانه بالعمل بالإضافة الى نسائر العلوم الاسلامية التي هي :

١ ـ تفسير القرآن الحكيم .

٢ ـ فقه الاسلام .

٣ ـ عِلْم الحديث الوارد عن النبي والأئمة الطاهرين في مختلف الشؤون كالأمور الكونية والطب وما اشبه .

٤ ـ علم الكلام .

٥ ـ التاريخ الإسلامي ، بشقيه : أعني تاريخ الرسول (ص) و الأئمة الطاهرين ، وتاريخ حضارة الإسلام بصورة عامة .

٦ ـ الآداب الاسلامية ، وهي من قبيل آداب الأَكل والمجْلِس والحَمام والزواج وما اشبه .

٧ـ الأَخلاق ـ التي وُضِع الكتاب لأجل الإلمام بجانب منه .

٨ ـ فلسفة الأحكام ، وتطبيق العصر الحاضر على المنهاج الاسلامي والمقارنة بين الاحكام والقوانين وبين النظام الاسلامي والنظام غير الاسلامي .

٩ ـ المقارنة بين الاسلام وسائر الأديان المنحرفة ، والمذاهب المخترعة كالبابية وما أشبه .

١٠ ـ الدعاء وما يتبعه فلسفة وقراءة وتطبيقاً .

والله المسؤول ان يُوفقنا جميعاً لما يحب ويرضىٰ ، ويتقبل هذا الكتاب بقبول حسن ، وهو المستعان .

كربلاء المقدسة :

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي



تخريج الآيات الواردة

رقم التسلسل	اسم السورة	رقم الآية
١	العنكبوت	٦٩
٢	النساء	١٢٣
٣	الزمر	٥٦
٤	الزمر	٩
٥	البقرة	٢٦٩
٦	العنكبوت	٤٣
٧	الاعراف	١٦٩
٨	يونس	٣٩
٩	النور	٢٦
١٠	آل عمران	٥٤
١١	البقرة	١٩٥
١٢	الفتح	٢٩
١٣	فاطر	٢٨
١٤	الاعراف	١٥٤
١٥	البينة	٨
١٦	الانفال	٢
١٧	آل عمران	١٧٥
١٨	الأعلىٰ	١٠
١٩	النازعات	٤٠
٢٠	فاطر	٢٨
٢١	المائدة	٤٤
٢٢	الطلاق	٢
٢٣	الزمر	٥٣
٢٤	البقرة	٢١٨
٢٥	الأعراف	١٦٩
٢٦	المنافقون	٨
٢٧	البقرة	٢١٦
٢٨	الحج	٢٤
٢٩	الحجرات	١٢
٣٠	الفتح	١٢
٣١	فصلت	٢٣
٣٢	المائدة	٢٧
٣٣	آل عمران	١٣٤
٣٤	آل عمران	١٣٤
٣٥	البقرة	١٩٤
٣٦	المائدة	٤٥
٣٧	الاعراف	١٩٩
٣٨	البقرة	٢٣٧

رقم التسلسل	اسم السورة	رقم الآية	رقم التسلسل	اسم السورة	رقم الآية
٣٩	آل عمران	١٥٩	٧٢	الحج	٣٦
٤٠	فصلت	١١	٧٣	طه	١٣١
٤١	المنافقون	٨	٧٤	الاسراء	٢٩
٤٢	غافر	٣٥	٧٥	الفرقان	٦٧
٤٣	الاعراف	١٤٦	٧٦	آل عمران	١٨٠
٤٤	الانعام	٩٣	٧٧	النساء	٥
٤٥	الزمر	٧٢	٧٨	الحشر	٩
٤٦	النحل	٢٢	٧٩	الأحزاب	٢١
٤٧	غافر	٦٠	٨٠	البقرة	١١٠
٤٨	غافر	٥٦	٨١	التوبة	٣٥
٤٩	الاحزاب	٢١	٨٢	آل عمران	١٨٠
٥٠	الاعراف	١٢	٨٣	المؤمنون	١٠٠
٥١	الحمد	١-٢	٨٤	البقرة	٢٦٣
٥٢	الانعام	١٤١	٨٥	التوبة	١٠٤
٥٣	النور	٣٠-٣١	٨٦	النساء	٨٦
٥٤	النور	٣٢	٨٧	الانفال	٤١
٥٥	المائدة	٩٠	٨٨	المسد	١
٥٦	المؤمنون	١٠٠	٨٩	المائدة	٢٧
٥٧	الجاثية	٢٢	٩٠	الاسراء	٢٩
٥٨	الأعراف	١٩	٩١	البقرة	٢٦٧
٥٩	البقرة	١٨٠	٩٢	المدثر	٤٣-٤٤
٦٠	نوح	١٢	٩٣	الانفال	٣
٦١	المنافقون	٩	٩٤	العنكبوت	٦٩
٦٢	الجمعة	١١	٩٥	النجم	٣٩
٦٣	الأنفال	٢٨	٩٦	الانعام	١٤١
٦٤	الكهف	٤٦	٩٧	الذاريات	١٩
٦٥	الاحقاف	٣٥	٩٨	المزمل	٢٠
٦٦	البقرة	٢٠١	٩٩	ابراهيم	٣١
٦٧	الصافات	١٨٠ - ١٨١ ١٨٢	١٠٠	الرعد	٢١
٦٨	العلق	٦	١٠١	النحل	٣٣
٦٩	النحل	٤٣	١٠٢	الحديد	١١
٧٠	الضحى	١٠	١٠٣	ألبقرة	٢٨٠
٧١	الذاريات	١٩	١٠٤	الفرقان	٢٣

رقم التسلسل	اسم السورة	رقم الآية	رقم التسلسل	اسم السورة	رقم الآية
١٠٥	النساء	٦٩	١٣٧	غافر	٦٠
١٠٥	النساء	٦٩	١٣٨	البقرة	٤٠
١٠٦	المائدة	٢٧	١٣٩	طه	٤٤
١٠٧	الحج	٣٧	١٤٠	طه	١٩
١٠٨	الاعراف	١٥٧	١٤١	النساء	٣٦
١٠٩	الاحزاب	٢١	١٤٢	النساء	١
١١٠	المدثر	٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦	١٤٣	الرعد	٢١-٢٢
١١١	النساء	٥٤	١٤٤	النساء	١
١١٢	البقرة	١٠٩	١٤٥	الرعد	٢١
١١٣	آل عمران	١٢٠	١٤٦	محمد	٢٢
١١٤	الاحزاب	٥٨	١٤٧	الحجرات	١٠
١١٥	الهمزة	١	١٤٨	لقمان	١٥
١١٦	غافر	٥١	١٤٩	الاسراء	٢٤
١١٧	الحجرات	١٣	١٥٠	النساء	٣٦
١١٨	المسد	١	١٥١	التوبة	٢٤
١١٩	آل عمران	٨٥	١٥٢	الاسراء	٢٣
١٢٠	الشورى	٤٢	١٥٣	الاسراء	٢٤
١٢١	ابراهيم	٤٢	١٥٤	المائدة	٢٧
١٢٢	الشعراء	٤٢٧	١٥٥	النساء	٣٦
١٢٣	الفجر	١٤	١٥٦	النساء	٣٦
١٢٤	لقمان	١٣	١٥٧	سبأ	٢٤
١٢٥	النساء	٩	١٥٨	الفرقان	٧٤
١٢٦	الاسراء	١٥	١٥٩	القلم	١١
١٢٧	النحل	٩٠	١٦٠	الانعام	٦٥
١٢٨	النساء	٥٨	١٦١	النور	١٩
١٢٩	الاحزاب	٥٨	١٦٢	البقرة	٢٧
١٣٠	المائدة	٢	١٦٣	الاعراف	٨٥
١٣١	البقرة	١٥٦	١٦٤	الانفال	١
١٣٢	آل عمران	١٧١	١٦٥	الحجرات	١١
١٣٣	ال عمران	١١٠	١٦٦	الحجرات	١٢
١٣٤	الشورى	٤٢	١٦٧	النور	١٩
١٣٥	المائدة	٦٣	١٦٦	الحجرات	١٢
١٣٦	الانعام	٦٥	١٦٧	النور	١٩

رقم التسلسل	اسم السورة	رقم الآية
١٦٨	النحل	١٠٥
١٦٩	التوبة	٧٧
١٧٠	الأخلاص	١
١٧١	الفرقان	٧٢
١٧٢	الصف	٢
١٧٣	الاحزاب	٢٣
١٧٤	التوبة	١١٩
١٧٥	آل عمران	١٧
١٧٦	البقرة	١٧٧
١٧٧	الحجرات	١٥
١٧٨	الصف	٢ـ٣
١٧٩	الاحزاب	٧٢
١٨٠	هود	١١٤
١٨١	الشورى	٢٥
١٨١	الشورى	٢٥
١٨٢	ق	١٨
١٨٣	النساء	١١٤
١٨٤	آل عمران	٤٦
١٨٥	الفرقان	٧٤
١٨٦	القصص	٨٣
١٨٧	هود	١٥
١٨٨	النصر	١ـ٢ـ٣
١٨٩	النور	١١
١٩٠	العلق	٦
١٩١	النور	١١
١٩٢	المائدة	٢
١٩٣	التوبة	٣١
١٩٤	الزمر	٣
١٩٥	النساء	١٤٦
١٩٦	الكهف	١١٠
١٩٧	هود	٧
١٩٨	الاسراء	٨٤
١٩٩	النساء	٣٨
٢٠٠	النساء	١٤٢
٢٠١	البقرة	٢٦٤
٢٠٢	الكهف	١١٠
٢٠٣	القيامة	١٤
٢٠٤	الشعراء	٨٤
٢٠٥	النساء	١٤٥
٢٠٦	المنافقون	١
٢٠٧	المنافقون	٧
٢٠٨	الرعد	٨
٢٠٩	الحجر	١٩
٢١٠	لقمان	٣٣
٢١١	فاطر	٥
٢١٢	الحديد	١٤
٢١٣	النساء	١٢٣
٢١٤	المؤمنون	٩٩
٢١٥	البقرة	٢٠١
٢١٦	الروم	٧
٢١٧	المؤمنون	٩٩
٢١٨	العصر	١ـ٢ـ٣
٢١٩	الشورى	٣٠
٢٢٠	الاعراف	٢٠١
٢٢١	البقرة	٢٢٢
٢٢٢	النور	٣١
٢٢٣	البقرة	٢٢٢
٢٢٤	غافر	٧
٢٢٥	الفرقان ـ ٦٨ـ ٦٩ ـ ٧٠	
٢٢٦	الشورى	٢٥
٢٢٧	النساء	١١٠
٢٢٨	الحشر	١٨
٢٢٩	السجدة	٥
٢٣٠	البقرة	٢٨٣
٢٣١	الانعام	٥٢
٢٣٢	البقرة	٢٨٤
٢٣٣	المائدة	٥٤
٢٣٤	البقرة	١٦٥

رقم التسلسل	اسم السورة	رقم الآية
٢٣٥	التوبة	٢٤
٢٣٦	الذاريات	١٧
٢٣٧	فصلت	١١
٢٣٨	يونس	٦٢
٢٣٩	الانفال	١٧
٢٤٠	الذاريات	٥٨
٢٤١	المائدة	٢٣
٢٤٢	آل عمران	١٢٢
٢٤٣	آل عمران	١٥٩
٢٤٤	الطلاق	٣
٢٤٥	الانفال	٤٩
٢٤٦	الانفال	٦٥
٢٤٧	الفجر	١٨
٢٤٨	الانفال	٦٠
٢٤٩	النساء	١٠٢
٢٥٠	التوبة	١٠٥
٢٥١	النحل	٩٦
٢٥٢	المنافقون	٧
٢٥٣	الطلاق	٣
٢٥٤	ابراهيم	٧
٢٥٥	غافر	٦٠
٢٥٦	سبأ	١٣
٢٥٧	النساء	١٤٧
٢٥٨	ابراهيم	٧
٢٥٩	البقرة	١٥٢
٢٦٠	آل عمران	١٤٥
٢٦١	السجدة	٢٤
٢٦٢	الاعراف	١٣٧
٢٦٣	النحل	٩٦
٢٦٤	القصص	٥٤
٢٦٥	الانفال	٤٦
٢٦٦	العصر	٣
٢٦٧	آل عمران	١٢٥
٢٦٨	آل عمران	٢٠٠
٢٦٩	البقرة	١٥٥ ـ ١٥٦ - ١٥٧
٢٧٠	الشورىٰ	٤٣
٢٧١	الزمر	١٠
٢٧٢	النحل	٩٦

تخريج الروايات

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم التسلسل :	المصدر	صفحة	جزء
١	جامع السعادات	٤٣	١
٢	=	٤٤	١
٣	=	٤٥	١
٤	=	٤٥	١
٥	=	٤٥	١
٦	اصول الكافي	٨٦	٢
٧	جامع السعادات	٢٠	٢
٨	=	١٣٩	١
٩	=	١٣٩	١
١٠	أصول الكافي	٣١	١
١١	جامع السعادات	١٤٠	١
١٢	أصول الكافي	٣٥	١
١٣	جامع السعادات	١٤٠	١
١٤	أصول الكافي	٣٠	١
١٥	=	٤٧	١
١٦	جامع السعادات	١٤٢	١
١٧	=	١٤٣	١
١٨	أصول الكافي	٤٤	١
١٩	=	٤٤	١
٢٠	=	٣٦	١

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٢١	أصول الكافي	٤٢	١
٢٢	=	٤٣	١
٢٣	=	٤٣	١
٢٤	=	٤٣	١
٢٥	=	٣٩٩	٢
٢٦	=	٤٠٠	٢
٢٧	=	٤٠٠	٢
٢٨	=	٤٠٠	٢
٢٩	=	٤٠٠	٢
٣٠	جامع السعادات	١٥٥	١
٣١	=	١٥٥	١
٣٢	=	١٥٥	١
٣٣	=	١٥٥	١
٣٤	=	١٥٥	١
٣٥	=	١٧٨	١
٣٦	=	١٧٩	١
٣٧	=	٢٠٢	١
٣٨	=	٢٠٢	١
٣٩	اصول الكافي	٥٥	٢
٤٠	=	٥٤	٢
٤١	جامع السعادات	٢٠٢	١
٤٢	=	٢٠٢	١
٤٣	أصول الكافي	٥٥	٢
٤٤	أصول الكافي	٤٢٥	٢
٤٥	جامع السعادات	١٩٧	١
٤٦	اصول الكافي	٤٢٥	٢
٤٧	=	٤٢٤	٢
٤٨	=	٤٢٤	٢
٤٩	=	٣٣٧	٢
٥٠	=	٣٣٦	٢
٥١	جامع السعادات	٢٣٩	١
٥٢	=	٢٤٢	١
٥٣	=	٢٤٣	١
٥٤	=	٢٤٤	١

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٥٥	جامع السعادات	٢٤٤	١
٥٦	=	٢٦١	١
٥٧	=	٢٦١	١
٥٨	=	٢٦١	١
٥٩	=	٢٦٢	١
٦٠	=	٢٦٣	١
٦١	=	٢٦٣	١
٦٢	=	٢٨٣	١
٦٣	=	٢٨٤	١
٦٤	اصول الكافي	٧١	٢
٦٥	جامع السعادات	٢٨٩	١
٦٦	اصول الكافي	٦٨	٢
٦٧	=	٧١	٢
٦٨	جامع السعادات	٢٩٧	١
٦٩	=	٢٩٧	١
٧٠	=	٢٩٦	١
٧١	=	٣٠١	١
٧٢	=	٣٠١	١
٧٣	=	٣٠١	١
٧٤	=	٣٠١	١
٧٥	=	٣٠٥	١
٧٦	=	٣٠٥	١
٧٧	=	٣١٠	١
٧٨	=	٣١١	١
٧٩	=	٣١٦	١
٨٠	=	٣١٨	١
٨١	=	٣١٨	١
٨٢	=	٣١٨	١
٨٣	=	٣٣٢	١
٨٤	=	٣٣٢	١
٨٥	=	٣٣٢	١
٨٦	=	٣٣٢	١
٨٧	أصول الكافي	١١١	٢
٨٨	جامع السعادات	٣٣٢	١

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٨٩	جامع السعادات	٣٣٢	١
٩٠	=	٣٣٣	١
٩١	اصول الكافي	٣٠٤	٢
٩٢	=	٣٠٢	٢
٩٣	=	٣٠٣	٢
٩٤	=	٣٠٣	٢
٩٥	=	٣٠٢	٢
٩٦	جامع السعادات	٣٢٦	١
٩٧	أصول الكافي	١١٠	٢
٩٨	=	١٠٩	٢
٩٩	=	١١٠	٢
١٠٠	=	١١٠	٢
١٠١	جامع السعادات	٣٣٣	١
١٠٢	=	٣٣٣	١
١٠٣	=	٣٣٥	١
١٠٤	=	٣٣٥	١
١٠٥	=	٣٣٧	١
١٠٦	أصول الكافي	١٠٩	٢
١٠٧	اصول الكافي	١٠٧	٢
١٠٨	جامع السعادات	٣٣٨	١
١٠٩	أصول الكافي	١٠٩	٢
١١٠	=	١٠٨	٢
١١١	أصول الكافي	١٠٨	٢
١١٢	=	١٢٠	٢
١١٣	=	١١٩	٢
١١٤	اصول الكافي	١١٨	٢
١١٥	اصول الكافي	١١٩	٢
١١٦	اصول الكافي	١٢٠	٢
١١٧	اصول الكافي	١١٩	٢
١١٨	اصول الكافي	١٢٠	٢
١١٩	جامع السعادات	٣٤٠	١
١٢٠	جامع السعادات	٣٤٠	١
١٢١	اصول الكافي	١١٩	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١٢٢	جامع السعادات	٣٤٠	٢
١٢٣	اصول الكافي	١٢٠	٢
١٢٤	اصول الكافي	١١٩	٢
١٢٥	بحار الأنوار	٤٤٠	٧٥
١٢٦	بحار الأنوار	٤٣٧	٧٥
١٢٧	بحار الأنوار	٤٤٠	٧٥
١٢٨	بحار الأنوار	٤٣٨	٧٥
١٢٩	بحار الأنوار	٤٣٨	٧٥
١٣٠	بحار الأنوار	٤٤١	٧٥
١٣١	جامع السعادات	٣٤٤	١
١٣٢	اصول الكافي	١٠٣	٢
١٣٣	اصول الكافي	١٠٠	٢
١٣٤	اصول الكافي	١٠٢	٢
١٣٥	جامع السعادات	٣٤٤	١
١٣٦	جامع السعادات	٣٤٤	١
١٣٧	اصول الكافي	١٠٠	٢
١٣٨	جامع السعادات	٣٤٤	١
١٣٩	اصول الكافي	٩٩	٢
١٤٠	اصول الكافي	١٠٣	٢
١٤١	جامع السعادات	٣٤٤	١
١٤٢	جامع السعادات	٣٤٤	١
١٤٣	جامع السعادات	٣٤٥	١
١٤٤	جامع السعادات	٣٤٢	١
١٤٥	جامع السعادات	٣٤٢	١
١٤٦	جامع السعادات	٣٤٣	١
١٤٧	اصول الكافي	٣٢١	٢
١٤٨	جامع السعادات	٣٤٣	١
١٤٩	اصول الكافي	٣٢١	٢
١٥٠	اصول الكافي	٩٩	٢
١٥١	اصول الكافي	١٠٣	٢
١٥٢	اصول الكافي	١٠٠	٢
١٥٣	اصول الكافي	١٠٠	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١٥٤	اصول الكافي	١٠٠	٢
١٥٥	اصول الكافي	١٠٠	٢
١٥٥	اصول الكافي	١٠٣	٢
١٥٦	اصول الكافي	١٠٣	٢
١٥٧	جامع السعادات	٣٤٧	١
١٥٨	اصول الكافي	٣٠١	٢
١٥٩	اصول الكافي	٣٠١	٢
١٦٠	اصول الكافي	٣٠٢	٢
١٦١	جامع السعادات	٣٥٠	١
١٦٢	جامع السعادات	٣٥٠	١
١٦٣	جامع السعادات	٣٥٠	١
١٦٤	جامع السعادات	٣٥٠	١
١٦٥	جامع السعادات	٣٥٠	١
١٦٦	جامع السعادات	٣٥٠	١
١٦٧	اصول الكافي	٣٦٠	٢
١٦٨	اصول الكافي	٣٢٣	٢
١٦٩	جامع السعادات	٣٥٠	١
١٧٠	اصول الكافي	٣٢٥	٢
١٧١	اصول الكافي	٣٢٥	٢
١٧٢	اصول الكافي	٣٥٩	٢
١٧٣	جامع السعادات	٣٥١	١
١٧٤	مكارم الأخلاق	٤٧٠	
١٧٥	اصول الكافي	٣٢٧	٢
١٧٦	جامع السعادات	٣٥٢	١
١٧٧	اصول الكافي	٣٢٣	٢
١٧٨	اصول الكافي	٣٢٥	٢
١٧٩	اصول الكافي	٣٢٧	٢
١٨٠	اصول الكافي	٣٦٠	٢
١٨١	اصول الكافي	٣٦٠	٢
١٨٢	اصول الكافي	٣٦١	٢
١٨٣	اصول الكافي	٣٦١	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١٨٤	جامع السعادات	٣٥٥	١
١٨٥	جامع السعادات	٣٥٥	١
١٨٦	اصول الكافي	٥٠٧	٢
١٨٧	جامع السعادات	٣٥٥	١
١٨٨	اصول الكافي	٥٠٨	٢
١٨٩	جامع السعادات	٣٥٦	١
١٩٠	جامع السعادات	٣٥٩	١
١٩١	اصول الكافي	٣١٣	٢
١٩٢	جامع السعادات	٣٥٩	١
١٩٣	جامع السعادات	٣٥٩	١
١٩٤	اصول الكافي	٣١٤	٢
١٩٥	اصول الكافي	٣١٤	٢
١٩٦	اصول الكافي	٣١٤	٢
١٩٧	اصول الكافي	٣١٣	٢
١٩٨	اصول الكافي	٣١٣	٢
١٩٩	اصول الكافي	٣١٣	٢
٢٠٠	جامع السعادات	٣٦٠	١
٢٠١	اصول الكافي	٣١٤	٢
٢٠٢	اصول الكافي	١٢٣	٢
٢٠٣	اصول الكافي	٣١٠	٢
٢٠٤	جامع السعادات	٣٨٢	١
٢٠٥	جامع السعادات	٣٨٢	١
٢٠٦	جامع السعادات	٣٨٢	١
٢٠٧	جامع السعادات	٣٨٢	١
٢٠٨	جامع السعادات	٣٨٣	١
٢٠٩	جامع السعادات	٣٨٣	١
٢١٠	جامع السعادات	٣٨٢	١
٢١١	اصول الكافي	٣١١	٢
٢١٢	جامع السعادات	٣٨٢	١
٢١٣	جامع السعادات	٣٨٣	١
٢١٤	جامع السعادات	٣٨٣	١

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء		
٢١٥	جامع السعادات	٣٨٣	١		
٢١٦	جامع السعادات	٣٨٣	١		
٢١٧	جامع السعادات	٣٨٣	١		
٢١٨	جامع السعادات	٣٨٣	١		
٢١٩	جامع السعادات	٣٨٣	١		
٢٢٠	جامع السعادات	٣٨٣	١		
٢٢١	جامع السعادات	٣٨٣	١		
٢٢٢	جامع السعادات	٣٩٣	١		
٢٢٣	بحار الأنوار	١٢٠	١	باب	٥١
٢٢٤	جامع السعادات	٣٩٥	١		
٢٢٥	جامع السعادات	٣٦٤	١		
٢٢٦	جامع السعادات	٣٩٥	١		
٢٢٧	جامع السعادات	٣٩٥	١		
٢٢٨	جامع السعادات	٣٦٤	١		
٢٢٩	جامع السعادات	٣٩٥	١		
٢٣٠	اصول الكافي	١٢٢	٢		
٢٣١	بحار الأنوار	١٢٨	٧٥	باب	٥١
٢٣٢	اصول الكافي	١٢١	٢		
٢٣٣	جامع السعادات	٣٩٦	١		
٢٣٤	اصول الكافي	١٢٣	٢		
٢٣٥	جامع السعادات	٣٩٦	١		
٢٣٦	بحار الأنوار	١١٨	٧٥	باب	٥١
٢٣٧	جامع السعادات	٣٩٨	١		
٢٣٨	بحار الأنوار	١٣٥	٧٥	باب	٥١
٢٣٩	=	١٣٥	٧٥	باب	٥١
٢٤٠	جامع السعادات	٣٩٩	١		
٢٤١	جامع السعادات	٣٩٩	١		
٢٤٢	اصول الكافي	٣٢٨	٢		
٢٤٣	اصول الكافي	٣٢٩	٢		
٢٤٤	اصول الكافي	٣٢٨	٢		
٢٤٥	اصول الكافي	٣٢٩	٢		
٢٤٦	جامع السعادات	٤٠٠	١		

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء		
٢٤٧	اصول الكافي	٣٢٧	٢		
٢٤٨	جامع السعادات	٤٠٠	١		
٢٤٩	جامع السعادات	٤٠١	١		
٢٥٠	اصول الكافي	٣٢٧	٢		
٢٥١	جامع السعادات	٤٠١	١		
٢٥٢	جامع السعادات	٤٠٢	١		
٢٥٣	اصول الكافي	٣٠٨	٢		
٢٥٤	اصول الكافي	٣٠٨	٢		
٢٥٥	اصول الكافي	٣٠٨	٢		
٢٥٦	اصول الكافي	٣٠٨	٢		
٢٥٧	بحار الأنوار	٢٧	٧٥	باب	٣٥
٢٥٨	بحار الأنوار	٣٠	٧٥	باب	الانصاف والعدل
٢٥٩	بحار الأنوار	٣١	٧٥	باب	الانصاف والعدل
٢٦٠	بحار الأنوار	٢٥	٧٥	باب	الانصاف والعدل
٢٦١	بحار الأنوار	٣٩	٧٥	باب	٣٥
٢٦٢	بحار الأنوار	٣٣	٧٥	باب	الأنصاف والعدل
٢٦٣	بحار الأنوار	٣٠	٧٥	باب	الانصاف والعدل
٢٦٤	بحار الأنوار	٣٤	٧٥	باب	٣٥
٢٦٥	بحار الأنوار	٢٥	٧٥	باب	الانصاف والعدل
٢٦٦	بحار الأنوار	٤٠	٧٥	باب	٣٥
٢٦٧	بحار الأنوار	٢٦	٧٥	باب	الانصاف والعدل
٢٦٨	بحار الأنوار	٤٠	٧٥	باب	الانصاف والعدل
٢٦٩	جامع السعادات	٤٠٥	١		
٢٧٠	بحار الأنوار	٤٠١	٧٤	باب	٢٨
٢٧١	بحار الأنوار	٣٩٩	٧٤	باب	٢٨
٢٧٢	جامع السعادات	٤٠٦	١		
٢٧٣	جامع السعادات	٤	٢		
٢٧٤	جامع السعادات	٤	٢		
٢٧٥	اصول الكافي	٧٩	٢		
٢٧٦	اصول الكافي	٧٩	٢		
٢٧٧	جامع السعادات	٥	٢		

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٢٧٨	جامع السعادات	٥	٢
٢٧٩	جامع السعادات	٥	٢
٢٨٠	جامع السعادات	٥	٢
٢٨١	جامع السعادات	٥	٢
٢٨٢	جامع السعادات	٥	٢
٢٨٣	جامع السعادات	٥	٢
٢٨٤	جامع السعادات	٥	٢
٢٨٥	جامع السعادات	٧	٢
٢٨٦	جامع السعادات	٧	٢
٢٨٧	جامع السعادات	٧	٢
٢٨٨	جامع السعادات	٧	٢
٢٨٩	جامع السعادات	٧	٢
٢٩٠	جامع السعادات	٧	٢
٢٩١	جامع السعادات	٧	٢
٢٩٢	جامع السعادات	٧	٢
٢٩٣	جامع السعادات	٧	٢
٢٩٤	جامع السعادات	٦	٢
٢٩٥	جامع السعادات	٦	٢
٢٩٦	جامع السعادات	٦	٢
٢٩٧	جامع السعادات	٦	٢
٢٩٨	جامع السعادات	١٢	٢
٢٩٩	جامع السعادات	١٢	٢
٣٠٠	مكارم الاخلاق	١٩٦	
٣٠١	مكارم الاخلاق	١٩٧	
٣٠٢	جامع السعادات	١٤	٢
٣٠٣	اصول الكافي	٧٩	٢
٣٠٤	=	٨٠	٢
٣٠٥	=	٧٩	٢
٣٠٦	=	٧٩	٢
٣٠٧	=	١٣٠	٢
٣٠٨	جامع السعادات	٢٠	٢
٣٠٩	=	٢٠	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٣١٠	=	٢٠	٢
٣١١	=	١٥	٢
٣١٢	=	٢٠	٢
٣١٣	=	٢٠	٢
٣١٤	=	٢٠	٢
٣١٥	جامع السعادات	٢٠	٢
٣١٦	=	٢١	٢
٣١٧	مكارم الاخلاق	٤٦٢	
٣١٨	=	٤٦٢	
٣١٩	=	٤٦١	
٣٢٠	جامع السعادات	٢٦	٢
٣٢١	=	٢٦	٢
٣٢٢	=	٢٦	٢
٣٢٣	=	٢٦	٢
٣٢٤	=	٢٦	٢
٣٢٥	أصول الكافي	١٣١	٢
٣٢٦	جامع السعادات	٢٦	٢
٣٢٧	=	٢٦	٢
٣٢٨	=	٢٦	٢
٣٢٩	=	٢٧	٢
٣٣٠	=	٢٧	٢
٣٣١	=	٢٧	٢
٣٣٢	=	٢٧	٢
٣٣٣	=	٢٧	٢
٣٣٤	=	٢٧	٢
٣٣٥	=	٢٧	٢
٣٣٦	=	٢٧	٢
٣٣٧	أصول الكافي	١٣٤	٢
٣٣٨	جامع السعادات	٢٨	٢
٣٣٩	=	٢٨	٢
٣٤٠	=	٢٨	٢
٣٤١	=	٢٨	٢
٣٤٢	=	٢٩	٢
٣٤٣	أصول الكافي	١٣٦	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٣٤٤	جامع السعادات	٢٩	٢
٣٤٥	اصول الكافي	١٣٦	٢
٣٤٦	جامع السعادات	٢٩	٢
٣٤٧	=	٣٠	٢
٣٤٨	أصول الكافي	١٣١	٢
٣٤٩	=	١٣٠	٢
٣٥٠	=	١٣٢	٢
٣٥١	=	١٣٦	٢
٣٥٢	=	١٣٥	٢
٣٥٣	جامع السعادات	٣٣	٢
٣٥٤	أصول الكافي	١٣٤	٢
٣٥٥	=	١٣٤	٢
٣٥٦	جامع السعادات	٤٨	٢
٣٥٧	=	٥١	٢
٣٥٨	=	٤٨	٢
٣٥٩	جامع السعادات	٤٨	٢
٣٦٠	=	٤٨	٢
٣٦١	=	٤٨	٢
٣٦٢	=	٤٨	٢
٣٦٣	=	٤٨	٢
٣٦٤	=	٤٨	٢
٣٦٥	=	٤٨	٢
٣٦٦	=	٥٩	٢
٣٦٧	مكارم الاخلاق	٤٦٣	
٣٦٨	جامع السعادات	٥٩	٢
٣٦٩	=	٥٩	٢
٣٧٠	=	٥٩	٢
٣٧١	اصول الكافي	٩١	٢
٣٧٢	مكارم الاخلاق	٤٤٧	
٣٧٣	جامع السعادات	٦٠	٢
٣٧٤	=	٦٠	٢
٣٧٥	=	٦٠	٢
٣٧٦	مكارم الاخلاق	٤٦٣	
٣٧٧	جامع السعادات	٦٠	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٣٧٨	جامع السعادات	٦١	٢
٣٧٩	مكارم الاخلاق	٤٦٣	
٣٨٠	=	٤٤٧	
٤٨١	جامع السعادات	٦١	٢
٣٨٢	أصول الكافي	١٤٠	٢
٣٨٣	جامع السعادات	٦٢	٢
٣٨٤	=	٦٢	٢
٣٨٥	=	٦٣	٢
٣٨٦	اصول الكافي	١٢٩	٢
٣٨٧	=	١٣٠	٢
٣٨٨	=	١٣١	٢
٣٨٩	=	١٣٧	٢
٣٩٠	جامع السعادات	٦٣	٢
٣٩١	أصول الكافي	١٢٨	٢
٣٩٢	=	١٢٩	٢
٣٩٣	=	١٣٠	٢
٣٩٤	جامع السعادات	٦٤	٢
٣٩٥	أصول الكافي	١٣٠	٢
٣٩٦	جامع السعادات	٦٤	٢
٣٩٧	=	٦٤	٢
٣٩٨	أصول الكافي	٣٠٧	٢
٣٩٩	جامع السعادات	٧٩	٢
٤٠٠	=	٧٩	٢
٤٠١	=	٧٩	٢
٤٠٢	=	٧٩	٢
٤٠٣	جامع السعادات	٨٤	٢
٤٠٤	=	٨٤	٢
٤٠٥	=	٨٤	٢
٤٠٦	اصول الكافي	٢٦٥	٢
٤٠٧	جامع السعادات	٨٤	٢
٤٠٨	=	٨٥	٢
٤٠٩	=	٨٥	٢
٤١٠	=	٨٥	٢
٤١١	=	٨٥	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٤١٢	جامع السعادات	٨٥	٢
٤١٣	=	٨٥	٢
٤١٤	=	٨٥	٢
٤١٥	=	٨٦	٢
٤١٦	=	٨٦	٢
٤١٧	=	٨٦	٢
٤١٨	=	٨٦	٢
٤١٩	=	٨٦	٢
٤٢٠	=	٧٩	٢
٤٢١	=	٨٩	٢
٤٢٢	أصول الكافي	٢٦٣	٢
٤٢٣	=	٢٦١	٢
٤٢٤	=	٢٦٠	٢
٤٢٥	اصول الكافي	٢٦٥	٢
٤٢٦	=	٢٦٤	٢
٤٢٧	=	٢٦٥	٢
٤٢٨		٢٦٤	٢
٤٢٩	جامع السعادات	٨٨	٢
٤٣٠	=	٨٩	٢
٤٣١	=	٨٩	٢
٤٣٢	=	٨٩	٢
٤٣٣	=	٨٩	٢
٤٣٤	=	٨٩	٢
٤٣٥	=	٨٩	٢
٤٣٦	=	٨٩	٢
٤٣٧	اصول الكافي	٢٦٠	٢
٤٣٨	جامع السعادات	٩٠	٢
٤٣٩	=	٩٥	٢
٤٤٠	=	٩٩	٢
٤٤١	=	٩٩	٢
٤٤٢	=	٩٩	٢
٤٤٣	=	٩٩	٢
٤٤٤	=	٩٩	٢
٤٤٥	=	٩٩	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٤٤٦	جامع السعادات	٩٩	٢
٤٤٧	=	١٠٠	٢
٤٤٨	=	١٠٠	٢
٤٤٩	=	١٠٠	٢
٤٥٠	=	١٠٠	٢
٤٥١	مكارم الاخلاق	١٣٧	
٤٥٢	جامع السعادات	١٠٠	٢
٤٥٣	=	٩٩	٢
٤٥٤	=	١٠٠	٢
٤٥٥	=	١٠١	٢
٤٥٦	=	١٠١	٢
٤٥٧	=	١٠١	٢
٤٥٨	=	١٠١	٢
٤٥٩	=	١٠٠	٢
٤٦٠	=	١٠٣	٢
٤٦١	=	١٠٣	٢
٤٦٢	=	١٠٣	٢
٤٦٣	=	١٠٣	٢
٤٦٤	=	١٠٣	٢
٤٦٥	=	١٠٣	٢
٤٦٦	أصول الكافي	١٤٠	٢
٤٦٧	جامع السعادات	١٠٤	٢
٤٦٨	=	١٠٤	٢
٤٦٩	جامع السعادات	١٠٤	٢
٤٧٠	=	١٠٤	٢
٤٧١	=	١٠٥	٢
٤٧٢	=	١٠٥	٢
٤٧٣	=	١٠٥	٢
٤٧٤	اصول الكافي	١٣٧	٢
٤٧٥	=	١٣٩	٢
٤٧٦	=	١٣٨	٢
٤٧٧	=	١٣٨	٢
٤٧٨	جامع السعادات	١٠٦	٢
٤٧٩	=	١٠٩	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٤٨٠	مكارم الاخلاق	٤٧٣		
٤٨١	اصول الكافي	١٤٩	٢	
٤٨٢	جامع السعادات	١٠٩	٢	
٤٨٣	أصول الكافي	٣٢٠	٢	
٤٨٤	=	٣٢٠	٢	
٤٨٥	احياء العلوم	٢٣٨	٢	
٤٨٦	جامع السعادات	١١٠	٢	
٤٨٧	اصول الكافي	١٤٩	٢	
٤٨٨	بحار الانوار	١٠٦	٧٥	باب ٤٩
٤٨٩	=	١١٠	٧٥	باب ٤٩
٤٩٠	جامع السعادات	١١١	٢	
٤٩١	بحار الانوار	١٠٨	٧٥	باب ٤٩
٤٩٢	=	١٠٩	٧٥	باب ٤٩
٤٩٣	جامع السعادات	١١١	٢	
٤٩٤	بحار الأنوار	١٠٧	٧٥	باب ٤٩
٤٩٥	=	١٠٧	٧٥	باب ٤٩
٤٩٦	الخلق الكامل	٤٧٠	٤	
٤٩٧	جامع السعادات	١١٣	٢	
٤٩٨	=	١١٣	٢	
٤٩٩	=	١١٣	٢	
٥٠٠	=	١١٣	٢	
٥٠١	=	١١٤	٢	
٥٠٢	=	١١٤	٢	
٥٠٣	=	١١٤	٢	
٥٠٤	=	١١٤	٢	
٥٠٥	=	١١٤	٢	
٥٠٦	=	١١٤	٢	
٥٠٧	=	١١٤	٢	
٥٠٨	=	١١٤	٢	
٥٠٩	=	١١٤	٢	
٥١٠	=	١١٤	٢	
٥١١	=	١١٤	٢	
٥١٢	=	١١٨	٢	
٥١٣	جامع السعادات	١١٧	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٥١٤	جامع السعادات	١١٧	٢
٥١٥	مكارم الاخلاق	١٣٦	
٥١٦	جامع السعادات	١١٦	٢
٥١٧	=	١١٦	٢
٥١٨	=	١١٦	١
٥١٩	=	١١٧	٢
٥٢٠	=	١١٧	٢
٥٢١	=	١١٧	٢
٥٢٢	=	١١٧	٢
٥٢٣	=	١١٧	٢
٥٢٤	=	١١٧	٢
٥٢٥	=	١١٧	٢
٥٢٦	=	١١٧	٢
٥٢٧	=	١١٧	٢
٥٢٨	=	١١٧	٢
٥٢٩	=	١١٧	٢
٥٣٠	=	١١٨	٢
٥٣١	=	١١٨	٢
٥٣٢	=	١١٨	٢
٥٣٣	=	١١٨	٢
٥٣٤	=	١١٨	٢
٥٣٥	=	١١٩	٢
٥٣٦	=	١١٩	٢
٥٣٧	=	١١٨	٢
٥٣٨	=	١١٩	٢
٥٣٩	=	١١٩	٢
٥٤٠	=	١١٩	٢
٥٤١	=	١١٩	٢
٥٤٢	مكارم الاخلاق	١٣٦	
٥٤٣	جامع السعادات	١٢٠	٢
٥٤٤	=	١٢٢	٢
٥٤٥	=	١٢٣	٢
٥٤٦	=	١٢٧	٢
٥٤٧	=	١٢٧	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
٥٤٨	جامع السعادات	١٢٧	٢
٥٤٩	=	١٢٨	٢
٥٥٠	=	١٢٨	٢
٥٥١	=	١٢٩	٢
٥٥٢	=	١٢٨	٢
٥٥٣	=	١٣٣	٢
٥٥٤	=	١٣٥	٢
٥٥٥	=	١٣٥	٢
٥٥٦	=	١٣٧	٢
٥٥٧	=	١٣٧	٢
٥٥٨	=	١٣٧	٢
٥٥٩	=	١٣٧	٢
٥٦٠	=	١٣٨	٢
٥٦١	=	١٣٨	٢
٥٦٢	=	١٣٨	٢
٥٦٣	=	١٣٨	٢
٥٦٤	=	١٣٩	٢
٥٦٥	=	١٣٩	٢
٥٦٦	=	١٣٩	٢
٥٦٧	=	١٤٠	٢
٥٦٨	=	١٤٠	٢
٥٦٩	=	١٤٠	٢
٥٧٠	=	١٤١	٢
٥٧١	=	١٤٢	٢
٥٧٢	=	١٤٢	٢
٥٧٣	=	١٤٣	٢
٥٧٤	=	١٤٣	٢
٥٧٥	=	١٤٣	٢
٥٧٦	=	١٤٣	٢
٥٧٧	=	١٤٣	٢
٥٧٨	=	١٤٤	٢
٥٧٩	=	١٤٤	٢
٥٨٠	=	١٤٥	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء		
٥٨١	جامع السعادات	١٤٥	٢		
٥٨٢	=	١٤٥	٢		
٥٨٣	=	١٤٥	٢		
٥٨٤	=	١٤٥	٢		
٥٨٥	=	١٤٥	٢		
٥٨٦	=	١٤٥	٢		
٥٨٧	=	١٤٥	٢		
٥٨٨	=	١٤٦	٢		
٥٨٩	=	١٤٧	٢		
٥٩٠	=	١٤٧	٢		
٥٩١	=	١٤٧	٢		
٥٩٢	=	١٤٧	٢		
٥٩٣	=	١٤٧	٢		
٥٩٤	=	١٤٧	٢		
٥٩٥	=	١٤٩	٢		
٥٩٦	=	١٤٩	٢		
٥٩٧	=	١٤٩	٢		
٥٩٨	=	١٤٩	٢		
٥٩٩	=	١٤٩	٢		
٦٠٠	=	١٤٩	٢		
٦٠١	جامع السعادات	١٤٩	٢		
٦٠٢	=	١٤٩	٢		
٦٠٣	=	١٤٩	٢		
٦٠٤	=	١٥٠	٢		
٦٠٥	=	١٥٠	٢		
٦٠٦	=	١٥٠	٢		
٦٠٧	=	١٥٠	٢		
٦٠٨	=	١٥٠	٢		
٦٠٩	=	١٥٠	٢		
٦١٠	=	١٥٠	٢		
٦١١	بحار الأنوار	٤٤	٧٥	باب	٣٨
٦١٢	جامع السعادات	١٥٥	٢		
٦١٣	بحار الأنوار	٤٥	٧٥	باب	٣٨
٦١٤	جامع السعادات	١٥٥	٢		

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٦١٥	جامع السعادات	١٥٥	٢	
٦١٦	=	١٥٥	٢	
٦١٧	=	١٥٥	٢	
٦١٨	=	١٥٥	٢	
٦١٩	بحار الأنوار	٤٦١	٧٥	باب ٩٣
٦٢٠	=	٤٦٠	٧٥	باب ٩٣
٦٢١	=	٤٦١	٧٥	باب ٩٣
٦٢٢	=	٤٦٠	٧٥	باب ٩٣
٦٢٣	بحار الأنوار	٣٧٥	٧٤	باب ٢٣
٦٢٤	=	٣٧١	٧٤	باب ٢٣
٦٢٥	جامع السعادات	١٧٥	٢	
٦٢٦	بحار الأنوار	٣٦٩	٧٤	باب ٢٣
٦٢٧	=	٣٦٨	٧٤	باب ٢٣
٦٢٨	=	٣٦١	٧٤	باب ٢٣
٦٢٩	جامع السعادات	١٥٧	٢	
٦٣٠	=	١٥٧	٢	
٦٣١	بحار الأنوار	٣٧٣	٧٤	باب ٢٣
٦٣٢	=	٣٧٤	٧٤	باب ٢٣
٦٣٣	جامع السعادات	١٦٣	٢	
٦٣٤	=	١٦٢	٢	
٦٣٥	=	١٦١	٢	
٦٣٦	=	١٦٢	٢	
٦٣٧		١٦٢	٢	
٦٣٨	=	١٦٣	٢	
٦٣٩	=	١٦٣	٢	
٦٤٠	=	١٦٣	٢	
٦٤١	=	١٦٤	٢	
٦٤٢	=	١٦٤	٢	
٦٤٣	=	١٦٤	٢	
٦٤٤	=	١٧٠	٢	
٦٤٥	مكارم الاخلاق	٤٦٨		
٦٤٦	جامع السعادات	١٧١	٢	
٦٤٧	=	١٧١	٢	
٦٤٨	=	١٧١	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٦٤٩	جامع السعادات	١٧١	٢	
٦٥٠	=	١٧١	٢	
٦٥١	=	١٧١	٢	
٦٥٢	=	١٧٢	٢	
٦٥٣	مكارم الاخلاق	٤٦٨		
٦٥٤	جامع السعادات	١٨٠	٢	
٦٥٥	اصول الكافي	٧٧	٢	
٦٥٦	=	٧٤	٢	
٦٥٧	=	٧٦	٢	
٦٥٨	=	٧٦	٢	
٦٥٩	جامع السعادات	١٨١	٢	
٦٦٠	اصول الكافي	٧٦	٢	
٦٦١	=	٧٦	٢	
٦٦٢	=	٧٦	٢	
٦٦٣	=	٧٨	٢	
٦٦٤	=	٧٧	٢	
٦٦٥	=	٧٧	٢	
٦٦٦	=	٧٨	٢	
٦٦٧	اصول الكافي	٧٧	٢	
٦٦٨	جامع السعادات	١٨٢	٢	
٦٦٩	=	١٨٢	٢	
٦٧٠	=	١٨٢	٢	
٦٧١	=	١٨٢	٢	
٦٧٢	=	١٨٢	٢	
٦٧٣	=	١٨٢	٢	
٦٧٤	=	١٨٢	٢	
٦٧٥	=	١٨٢	٢	
٦٧٦	=	١٨٢	٢	
٦٧٧	=	١٨٣	٢	
٦٧٨	=	١٨٣	٢	
٦٧٩	=	١٨٣	٢	
٦٨٠	=	١٨٣	٢	
٦٨١	بحار الأنوار	١١٦	٧٥	باب ٥٠
٦٨٢	جامع السعادات	١٨٧	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٦٨٣	بحار الأنوار	١١٦	٧٥	باب ٥٠
٦٨٤	=	٩٢	٧٥	باب ٧٤
٦٨٥	اصول الكافي	٩٩	٢	
٦٨٦	بحار الأنوار	١١٧	٧٥	باب ٥٠
٦٨٧	جامع السعادات	١٨٨	٢	
٦٨٨	=	١٨٩	٢	
٦٨٩	جامع السعادات	١٨٩	٢	
٦٩٠	=	١٩٥	٢	
٦٩١	=	١٩٥	٢	
٦٩٢	=	١٩١	٢	
٦٩٣	=	١٩١	٢	
٦٩٤	=	١٩١	٢	
٦٩٥	=	١٩٥	٢	
٦٩٦	=	١٩٥	٢	
٦٩٧	احياء العلوم	١٨٦	٣	
٦٩٨	جامع السعادات	٢٠٠	٢	
٦٩٩	=	٢٠٠	٢	
٧٠٠	اصول الكافي	٣٠٦	٢	
٧٠١	=	٣٠٧	٢	
٧٠٢	جامع السعادات	٢٠١	٢	
٧٠٣	=	٢٠١	٢	
٧٠٤	اصول الكافي	٣٠٦	٢	
٧٠٥	جامع السعادات	٢٠١	٢	
٧٠٦	اصول الكافي	٣٠٧	٢	
٧٠٧	=	٣٠٧	٢	
٧٠٨	جامع السعادات	٢٠١	٢	
٧٠٩	بحار الأنوار	٣٥٨	٧٤	باب ٢٢
٧١٠	=	٣٥٨	٧٤	باب ٢٢
٧١١	بحارالانوار	٣٥٧	٧٤	باب ٢٢
٧١٢	=	٣٥٨	٧٤	باب ٢٢
٧١٣	=	٣٣٨	٧٤	باب قضاء جاحة المؤمن
٧١٤	=	٢٨٧	٧٤	باب ٢٠
٧١٥	اصول الكافي	٣٦٣	٢	
٧١٦	جامع السعادات	٢١٨	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء		
٧١٧	جامع السعادات	٢١٩	٢		
٧١٨	=	٢١٩	٢		
٧١٩	=	٢١٩	٢		
٧٢٠	=	٢٢٠	٢		
٧٢١	=	٢٢١	٢		
٧٢٢	مكارم الاخلاق	٤٧٢			
٧٢٣	جامع السعادات	٢٢١	٢		
٧٢٤	=	٢٢١	٢		
٧٢٥	=	٧٢٣	٢		
٧٢٦	أصول الكافي	٣٥٢	٢		
٧٢٧	=	٣٥٢	٢		
٧٢٨	=	٣٥٠	٢		
٧٢٩	=	٣٥١	٢		
٧٣٠	=	٣٥١	٢		
٧٣١	=	٣٥١	٢		
٧٣٢	جامع السعادات	٢٢٢	٢		
٧٣٣	جامع السعادات	٢٢٣	٢		
٧٣٤	=	٢٢٣	٢		
٧٣٥	بحار الانوار	٢٩٩	٧٤	باب	٢٠
٧٣٦	=	٢٩٨	٧٤	باب	٢٠
٧٣٧	=	٣٥٧	٧٤	باب	٢٢
٧٣٨	جامع السعادات	٣٢٣	٢		
٧٣٩	بحار الانوار	٢٩٧	٧٤	باب	٢٠
٧٤٠	=	٢٩٨	٧٤	باب	٢٠
٧٤١	=	٢٩٨	٧٤	باب	٢٠
٧٤٢	جامع السعادات	٢٢٣	٢		
٧٤٣	=	٢٢٤	٢		
٧٤٤	اصول الكافي	١٦٥	٢		
٧٤٥	=	١٦٥	٢		
٧٤٦	جامع السعادات	٢٢٤	٢		
٧٤٧	=	٢٢٤	٢		
٧٤٨	=	٢٢٤	٢		
٧٤٩	بحار الانوار	٣٣٩	٧٤	باب	٢٠
٧٥٠	=	٣٣٩	٧٤	باب	٢٠

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٧٥١	جامع السعادات	٢٢٥	٢	
٧٥٢	بحار الانوار	٣٣٠	٧٥	باب الظلم
٧٥٣	جامع السعادات	٢٢٦	٢	
٧٥٤	=	٢٢٧	٢	
٧٥٥	بحار الانوار	٣١٣	٧٥	باب الظلم
٧٥٦	اصول الكافي	٣٣١	٢	
٧٥٧	=	٣٣٢	٢	
٧٥٨	=	٣٣١	٢	
٧٥٩	بحار الانوار	٣٢٢	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦٠	=	٣١٢	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦١	=	٣٢٩	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦٢	=	٣١٣	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦٣	=	٣٣١	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦٤	=	٣٢٨	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦٥	=	٣١٥	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦٦	جامع السعادات	١٢٢	١	
٧٦٧	بحار الانوار	٣٢٤	٧٥	باب ـ الظلم
٧٦٨	=	٣٦	٧٤	باب الانصاف والعدل
٧٦٩	جامع السعادات	٢٣٠	٢	
٧٧٠	=	٢٣٠	٢	
٧٧١	=	٢٣٣	٢	
٧٧٢	=	٢٣٣	٢	
٧٧٣	=	٢٣٣	٢	
٧٧٤	بحار الانوار	٣١٩	٧٤	باب قضاء حاجة المؤمن
٧٧٥	=	٣٨٦	٧٤	باب ـ ٢٣
٧٧٦	=	٢٨٩	٧٤	باب قضاء حاجة المؤمن
٧٧٧	بحار الانوار	٢٨٨	٧٤	= =
٧٧٨	=	٢٩٠	٧٤	= =
٧٧٩	=	٣٢١	٧٤	= =
٧٨٠	=	٢٨٧	٧٤	= =
٧٨١	=	٢٩٤	٧٤	= =
٧٨٢	=	٢٩٦	٧٤	= =
٧٨٣	جامع السعادات	٢٣٢	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٧٨٤	جامع السعادات	٢٣٢	٢	
٧٨٥	=	٢٣٢	٢	
٧٨٦	بحارالانوار	٣٠٢	٧٤	باب قضاء حاجة المؤمن
٨٨٧	جامع السعادات	٢٣٧	٢	
٧٨٨	بحار الانوار	٣٢٩	٧٤	باب قضاء حاجة المؤمن
٧٨٩	=	٣٣٢	٧٤	باب ٢٠
٧٩١	اصول الكافي	١٩٣	٢	
٧٩٢	بحار الانوار	٣٢٤	٧٤	باب ٢٠
٧٩٣	=	٣٢٣	٧٤	= =
٧٩٤	=	٣٢٤	٧٤	= =
٧٩٥	=	٣٢٦	٧٤	= =
٧٩٦	=	٣٢٨	٧٤	= =
٧٩٧	=	٣٠٦	٧٤	= =
٧٩٨	=	٣٢٤	٧٤	= =
٧٩٩	بحار الانوار	٣٢٧	٧٤	= =
٨٠٠	=	٣٣٢	٧٤	= =
٨٠١	=	٣٣٣	٧٤	= =
٨٠٢	=	٣٣٢	٧٤	= =
٨٠٣	جامع السعادات	٢٣٥	٢	
٨٠٤	=	٢٣٥	٢	
٨٠٥	=	٢٣٥	٢	
٨٠٦	=	٢٣٦	٢	
٨٠٧	=	٢٣٦	٢	
٨٠٨	=	٢٣٦	٢	
٨٠٩	=	٢٣٦	٢	
٨١٠	بحار الانوار	٣٣٩	٧٤	باب ٢٠
٨١١	جامع السعادات	٢٤٦	٢	
٨١٢	=	٢٤٦	٢	
٨١٣	=	٢٤٦	٢	
٨١٤	=	٢٤٦	٢	
٨١٥	=	٢٤٦	٢	
٨١٦	=	٢٤٧	٢	
٨١٧	=	٢٤١	٢	
٨١٨	=	٢٤١	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٨١٩	جامع السعادات	٢٤١	٢	
٨٢٠	=	٢٤١	٢	
٨٢١	جامع السعادات	٢٤١	٢	
٨٢٢	=	٢٤١	٢	
٨٢٣	=	٢٤٢	٢	
٨٢٤	=	٢٤٢	٢	
٨٢٥	=	٢٤٢	٢	
٨٢٦	=	٢٤٢	٢	
٨٢٧	=	٢٤٢	٢	
٨٢٨	=	٢٤٢	٢	
٨٢٩	=	٢٤٢	٢	
٨٣٠	=	٢٤٣	٢	
٨٣١	=	٢٤٣	٢	
٨٣٢	بحار الانوار	٣٥٠	٧٤	باب ٢١
٨٣٣	=	٣٤٨	٧٤	باب ٢١
٨٣٤	اصول الكافي	١٧٨	٢	
٨٣٥	جامع السعادات	٢٦١	٢	
٨٣٦	بحار الانوار	٣٥٥	٧٤	باب ٢١
٨٣٧	=	٣٤٥	٧٤	= =
٨٣٩	=	٣٤٧	٧٤	= =
٨٤٠	=	٣٤٩	٧٤	= =
٨٤١	جامع السعادات	٢٦٢	٢	
٨٤٢	=	٢٦٢	٢	
٨٤٣	جامع السعادات	٢٦٢	٢	
٨٤٤	اصول الكافي	١٠٦	٢	
٨٤٥	=	٣٤٤	٢	
٨٤٦	جامع السعادات	٢٦٣	٢	
٨٤٧	=	٢٦٣	٢	
٨٤٨	بحار الانوار	٣٦١	٧٤	باب ٢١
٨٤٩	=	١٢٠	٧٥	باب ٥١
٨٥٠	اصول الكافي	١٨٣	٢	
٨٥١	=	١٨٣	٢	
٨٥٢	=	٣٤٥	٢	
٨٥٣	=	٣٤٤	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٨٥٤	اصول الكافي	٣٤٤	٢	
٨٥٥	=	٣٤٤	٢	
٨٥٦	=	٣٤٦	٢	
٨٥٧	=	٣٤٥	٢	
٨٥٨	بحار الانوار	١٢١	٧٤	باب صلة الرحم
٨٥٩	=	١٠٥	٧٤	=
٨٦٠	=	١٢١	٧٤	=
٨٦١	=	١٢٦	٧٤	=
٨٦٢	=	١٠٤	٧٤	=
٨٦٣	=	١٣٠	٧٤	=
٨٦٤	جامع السعادات	٢٦٨	٢	
٨٦٥	اصول الكافي	١٥٥	٢	
٨٦٦	بحار الانوار	١٠١	٧٤	باب: صلة الرحم
٨٦٧	=	١٠٤	٧٤	=
٨٦٨	=	١١٥	٧٤	=
٨٦٩	=	١١٤	٧٤	=
٨٧٠	=	١١١	٧٤	=
٨٧١	=	١٣١	٧٤	=
٨٧٢	=	١٣٢	٧٤	=
٨٧٣	=	٩٧	٧٤	=
٨٧٤	=	٩٣	٧٤	=
٨٧٥	جامع السعادات	٢٦٥	٢	
٨٧٦	بحار الانوار	١٠٤	٧٤	باب صلة الرحم
٨٧٧	جامع السعادات	٢٦٥	٢	
٨٧٨	بحار الانوار	١٠٥	٧٤	باب صلة الرحم
٨٧٩	=	١٣٧	٧٤	باب صلة الرحم
٨٨٠	=	١٣٧	٧٤	باب صلة الرحم
٨٨١	=	٩٩	٧٤	باب صلة الرحم
٨٨٢	=	١٣٧	٧٤	باب صلة الرحم
٨٨٣	جامع السعادات	٢٦٦	٢	
٨٨٤	=	٢٧٢	٢	
٨٨٥	بحار الانوار	٤٧	٧٤	باب بر الوالدين والاولاد
٨٨٦	=	٥٩	٧٤	=
٨٨٧	اصول الكافي	١٥٨	٢	
٨٨٨	بحار الانوار	٥٥	٧٤	باب بر الوالدين والاولاد

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٨٨٩	بحار الأنوار	٨٥	٧٤	باب بر الوالدين والأولاد
٨٩٠	اصول الكافي	١٦٢	٢	
٨٩١	بحار الانوار	٥٦	٧٤	=
٨٩٢	=	٤٧	٧٤	=
٧٩٣	اصول الكافي	١٥٩	٢	
٨٩٤	=	٣٤٨	٢	
٨٩٥	بحار الانوار	٦٢	٧٤	=
٨٩٦	=	٦٤	٧٤	=
٨٩٧	اصول الكافي	٣٤٩	٢	
٨٩٨	=	٣٤٨	٢	
٨٩٩	جامع السعادات	٢٧٢	٢	
٩٠٠	بحار الانوار	٦٤	٧٤	=
٩٠١	=	٦٩	٧٤	=
٩٠٢	جامع السعادات	٢٧١	٢	
٩٠٣	=	٢٧٦	٢	
٩٠٤	=	٢٧٦	٢	
٩٠٥	بحار الانوار	١٥٩	٧٤	باب حسن المعاشرة
٩٠٦	جامع السعادات	٢٧٦	٢	
٩٠٧	بحار الانوار	١٥٢	٧٤	باب ٩
٩٠٨	=	١٥١	٧٤	باب٩
٩٠٩	جامع السعادات	٢٧٦	٢	
٩١٠	جامع السعادات	٢٨٠	٢	
٩١١	=	٢٨٠	٢	
٩١٢	=	٢٨٠	٢	
٩١٣	بحار الانوار	٢٥٥	٢	باب : الغيبة
٩١٤	جامع السعادات	٢٧٩	٢	
٩١٥	=	٢٧٩	٢	
٩١٦	اصول الكافي	٣٥٥	٢	
٩١٧	بحار الانوار	٢١٥	٧٥	باب : تتبع عيوب الناس
٩١٨	=	٢٧٣	٧٥	باب: البغي
٩١٩	جامع السعادات	٢٧٩	٢	
٩٢٠	=	٢٨٢	٢	
٩٢١	=	٢٨٢	٢	
٩٢٢	=	٢٨٢	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٩٢٣	جامع السعادات	٢٨٢	٢	
٩٢٤	=	٢٨٢	٢	
٩٢٥	=	٢٨٢	٢	
٩٢٦	بحار الانوار	٢٦٥	٧٥	باب النميمة والسعاية
٩٢٧	=	٢٦٨	٧٥	
٩٢٨	جامع السعادات	٢٨٥	٢	
٩٢٩	=	٢٨٤	٢	
٩٣٠	بحار الانوار	٢١٢	٧٥	باب تتبع عيوب الناس
٩٣١	جامع السعادات	٢٨٥	٢	
٩٣٢	جامع السعادات	٢٨٥	٢	
٩٣٣	=	٢٨٥	٢	
٩٣٤	=	٢٨٥	٢	
٩٣٥	=	٢٨٩	٢	
٩٣٦	بحار الانوار	٢١٦	٧٥	باب تتبع عيوب الناس
٩٣٧	جامع السعادات	٢٨٨	٢	
٩٣٨	بحار الانوار	٢٦٦	٧٥	باب النميمة والسعاية
٩٣٩	جامع السعادات	٢٩٠	٢	
٩٤٠	جامع السعادات	٢٩٠	٢	
٩٤١	=	٢٩٠	٢	
٩٤٢	اصول الكافي	٢١٠	٢	
٩٤٣	=	٢٠٩	٢	
٩٤٤	جامع السعادات	٢٩١	٢	
٩٤٥	=	٢٩١	٢	
٩٤٦	=	٢٩٤	٢	
٩٤٧	=	٢٩٤	٢	
٩٤٨	=	٢٩٤	٢	
٩٤٩	=	٢٩٤	٢	
٩٥٠	=	٢٩٤	٢	
٩٥١	اصول الكافي	٣٠١	٢	
٩٥٢	=	٣٠١	٢	
٩٥٣	=	٣٠١	٢	
٩٥٤	=	٣٠٠	٢	
٩٥٥	جامع السعادات	٢٩٦	٢	
٩٥٦	=	٢٩٦	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٩٥٧	جامع السعادات	٢٩٦	٢	
٩٥٨	=	٢٩٦	٢	
٩٥٩	=	٣٠١	٢	
٩٦٠	=	٣٠١	٢	
٩٦١	=	٣٠١	٢	
٩٦٢	=	٣٠٢	٢	
٩٦٣	=	٣٠٢	٢	
٩٦٤	جامع السعادات	٣٠٢	٢	
٩٦٥	=	٣٠٢	٢	
٩٦٦	=	٣٠٢	٢	
٩٦٧	=	٢٩٨	٢	
٩٦٨	=	٣٠٣	٢	
٩٦٩	بحار الانوار	٢٥٢	٧٥	باب الغيبة
٩٧٠	=	٢٢٢	٧٥	باب الغيبة
٩٧١	=	٢٠٨	٧٥	باب تتبع عيوب الناس
٩٧٢	=	٢٢٢	٧٥	باب الغيبة
٩٧٣	جامع السعادات	٣١٢	٢	
٩٧٤	=	٣١٣	٢	
٩٧٥	بحار الانوار	٢٢٠	٧٥	=
٩٧٦	=	٢٢٠	٧٥	=
٩٧٧	=	٢٥٨	٧٥	=
٩٧٨	=	٢٥٩	٧٥	=
٩٧٩	=	٢٢٢	٧٥	=
٩٨٠	جامع السعادات	٣٠٣	٢	=
٩٨١	بحار الانوار	٢٥٩	٧٥	=
٩٨٢	=	٢٥٩	٧٥	=
٩٨٣	جامع السعادات	٣٠٣	٢	
٩٨٤	=	٣٠٤	٢	
٩٨٥	بحار الانوار	٢٤٨	٧٥	=
٩٨٦	بحار الانوار	٢١٦	٧٥	باب تتبع عيوب الناس
٩٨٧	=	٢٥١	٧٥	باب الغيبة
٩٨٨	جامع السعادات	٣١٥	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
٩٨٩	بحار الانوار	٢٤٨	٧٥	باب الغيبة
٩٩٠	جامع السعادات	٣١٥	٢	
٩٩١	بحار الانوار	٢٤٤	٧٥	
٩٩٢	جامع السعادات	٣٢٦	٢	
٩٩٣	=	٣٢٦	٢	
٩٩٤	=	٣٢٦	٢	
٩٩٥	=	٣٢٧	٢	
٩٩٦	=	٣٢٧	٢	
٩٩٧	=	٣٢٧	٢	
٩٩٨	=	٣٢٧	٢	
٩٩٩	=	٣٢٨	٢	
١٠٠٠	=	٣٣١	٢	
١٠٠١	=	٣٣١	٢	
١٠٠٢	=	٣٣٢	٢	
١٠٠٣	=	٣٣٢	٢	
١٠٠٤	=	٣٣٢	٢	
١٠٠٥	=	٣٣٢	٢	
١٠٠٦	=	٣٣٢	٢	
١٠٠٧	=	٣٣٢	٢	
١٠٠٨	جامع السعادات	٣٣٢	٢	
١٠٠٩	=	٣٣٣	٢	
١٠١٠	=	٣٣٣	٢	
١٠١١	=	٣٣٣	٢	
١٠١٢	=	٣٣٣	٢	
١٠١٣	اصول الكافي	٣٣٩	٢	
١٠١٤	جامع السعادات	٣٣٣	٢	
١٠١٥	اصول الكافي	٣٣٩	٢	
١٠١٦	=	٣٣٩	٢	
١٠١٧	=	٣٤٠	٢	
١٠١٨	جامع السعادات	٣٣٣	٢	
١٠١٩	اصول الكافي	٣٦٤	٢	
١٠٢٠	بحار الانوار	٩٤	٧٥	باب ٤٧
١٠٢١	=	٩٦	٧٥	باب ٤٧
١٠٢٢	=	٩٤	٧٥	باب ٤٧

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
١٠٢٣	اصول الكافي	١٠٤	٢	
١٠٢٤	=	١٠٥	٢	
١٠٢٥	=	١٠٥	٢	
١٠٢٦	=	١٠٥	٢	
١٠٢٧	بحار الانوار	١١٦	٧٥	باب ٥١
١٠٢٨	=	١٠٦	٧٥	باب ٥١
١٠٢٩	اصول الكافي	٩٩	٢	
١٠٣٠	جامع السعادات	٣٥٢	٢	
١٠٣١	جامع السعادات	٣٥٢	٢	
١٠٣٢	=	٣٥٢	٢	
١٠٣٣	=	٣٥٢	٢	
١٠٣٤	=	٣٥٢	٢	
١٠٣٥	=	٣٥٢	٢	
١٠٣٦	=	٣٥٢	٢	
١٠٣٧	=	٣٥٢	٢	
١٠٣٨	=	٣٥٢	٢	
١٠٣٩	اصول الكافي	١١٥	٢	
١٠٤٠	=	١١٥	٢	
١٠٤١	جامع السعادات	٣٥٣	٢	
١٠٤٢	=	٣٥٣	٢	
١٠٤٣	اصول الكافي	١١٥	٢	
١٠٤٤	=	١١٥	٢	
١٠٤٥	جامع السعادات	٣٥٥	٢	
١٠٤٦	جامع السعادات	٣٥٥	٢	
١٠٤٧	=	٣٥٥	٢	
١٠٤٨	=	٣٥٥	٢	
١٠٤٩	=	٣٥٥	٢	
١٠٥٠	=	٣٥٥	٢	
١٠٥١	=	٣٥٥	٢	
١٠٥٢	=	٣٥٥	٢	
١٠٥٣	جامع السعادات	٣٥٥	٢	
١٠٥٤	=	٣٥٥	٢	
١٠٥٥	اصول الكافي	١١٤	٢	
١٠٥٦	=	١١٣	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١٠٥٧	اصول الكافي	١١٤	٢
١٠٥٨	=	١١٥	٢
١٠٥٩	جامع السعادات	٣٥٦	٢
١٠٦٠	=	٣٥٦	٢
١٠٦١	اصول الكافي	١١٤	٢
١٠٦٢	=	١١٤	٢
١٠٦٣	=	١١٣	٢
١٠٦٤	=	١١٦	٢
١٠٦٥	=	١١٦	٢
١٠٦٦	جامع السعادات	٣٥٦	٢
١٠٦٧	=	٣٥٧	٢
١٠٦٨	=	٣٥٧	٢
١٠٦٩	اصول الكافي	١١٣	٢
١٠٧٠	اصول الكافي	١١١	٢
١٠٧١	جامع السعادات	٣٦١	٢
١٠٧٢	اصول الكافي	٢٩٧	٢
١٠٧٣	جامع السعادات	٣٦١	٢
١٠٧٤	=	٣٦١	٢
١٠٧٥	جامع السعادات	٣٦١	٢
١٠٧٦	اصول الكافي	٢٩٧	٢
١٠٧٧	=	٢٩٨	٢
١٠٧٨	=	٢٩٧	٢
١٠٧٩	=	٢٩٩	٢
١٠٨٠	جامع السعادات	٣٧٧	٢
١٠٨١	=	٣٧٧	٢
١٠٨٢	=	٣٧٧	٢
١٠٨٣	=	٣٧٧	٢
١٠٨٤	=	٣٧٧	٢
١٠٨٥	اصول الكافي	١٤٠	٢
١٠٨٦	جامع السعادات	٣٧٨	٢
١٠٨٧	=	٣٧٨	٢
١٠٨٨	=	٣٧٨	٢
١٠٨٩	=	٣٧٨	٢
١٠٩٠	=	٣٧٩	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١٠٩١	جامع السعادات	٤١٦	٢
١٠٩٢	=	٤١٦	٢
١٠٩٣	=	٤١٦	٢
١٠٩٤	=	٤١٦	٢
١٠٩٥	=	٤١٧	٢
١٠٩٦	=	٣٨٧	٢
١٠٩٧	=	٣٨٧	٢
١٠٩٨	=	٣٨٧	٢
١٠٩٩	=	٣٨٧	٢
١١٠٠	=	٣٨٧	٢
١١٠١	=	٣٨٧	٢
١١٠٢	=	٣٨٧	٢
١١٠٣	=	٣٨٧	٢
١١٠٤	=	٣٨٧	٢
١١٠٥	=	٣٨٨	٢
١١٠٦	=	٣٨٨	٢
١١٠٧	=	٣٨٨	٢
١١٠٨	=	٣٨٨	٢
١١٠٩	=	٣٨٩	٢
١١١٠	=	٣٨٩	٢
١١١١	=	٣٨٩	٢
١١١٢	=	٣٨٩	٢
١١١٣	=	٣٨٩	٢
١١١٤	=	٣٨٩	٢
١١١٥	=	٣٩٤	٢
١١١٦	=	٣٩٤	٢
١١١٧	=	٤٢٤	٢
١١١٨	=	٤٢٤	٢
١١١٩	جامع السعادات	٤٢٤	٢
١١٢٠	=	٤٢٤	٢
١١٢١	=	٤٢٤	٢
١١٢٢	=	٥	٣
١١٢٣	=	٥	٣
١١٢٤	=	٣٢	٣

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١١٢٥	جامع السعادات	٣٤	٣
١١٢٦	اصول الكافي	٣٣٦	٢
١١٢٧	جامع السعادات	٣٥	٣
١١٢٨	مكارم الاخلاق	٤٥٩	
١١٢٩	جامع السعادات	٣٥	٣
١١٣٠	مكارم الاخلاق	٤٦٥	
١١٣١	جامع السعادات	٣٦	٣
١١٣٢	=	٣٥	٣
١١٣٣	=	٣٨	٣
١١٣٤	=	٣٨	٣
١١٣٥	=	٣٨	٣
١١٣٦	=	٣٨	٣
١١٣٧	=	٣٨	٣
١١٣٨	=	٣٨	٣
١١٣٩	=	٣٨	٣
١١٤٠	=	٣٨	٣
١١٤١	جامع السعادات	٣٩	٣
١١٤٢	=	٣٩	٣
١١٤٣	=	٣٩	٣
١١٤٤	=	٣٩	٣
١١٤٥	=	٣٩	٣
١١٤٦	=	٣٩	٣
١١٤٧	=	٣٩	٣
١١٤٨	=	٤١	٣
١١٤٩	=	٤١	٣
١١٥٠	مكارم الاخلاق	٤٥٣	
١١٥١	اصول الكافي	١٠٦	٢
١١٥٢	=	١٠٦	٢
١١٥٣	=	١١٥	٢
١١٥٤	=	١٠٦	٢
١١٥٥	جامع السعادات	٤٧	٣
١١٥٦	=	٤٧	٣
١١٥٧	=	٤٧	٣
١١٥٨	=	٤٧	٣

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١١٥٩	جامع السعادات	٤٧	٣
١١٦٠	=	٤٨	٣
١١٦١	=	٤٨	٣
١١٦٢	=	٤٨	٣
١١٦٣	=	٤٨	٣
١١٦٤	=	٤٨	٣
١١٦٥	=	٤٨	٣
١١٦٦	=	٦٥	٣
١١٦٧	=	٦٥	٣
١١٦٨	=	٦٥	٣
١١٦٩	=	٦٥	٣
١١٧٠	=	٦٥	٣
١١٧١	=	٦٧	٣
١١٧٢	=	٦٧	٣
١١٧٣	=	٦٨	٣
١١٧٤	=	٦٨	٣
١١٧٥	=	٦٧	٣
١١٧٦	=	٦٧	٣
١١٧٧	=	٦٧	٣
١١٧٨	=	٦٨	٣
١١٧٩	=	٩١	٣
١١٨٠	=	١١٢	٣
١١٨١	=	١١٢	٣
١١٨٢	=	١١٢	٣
١١٨٣	=	١١٢	٣
١١٨٤	=	١١٢	٣
١١٨٥	=	١١٣	٣
١١٨٦	=	١١٣	٣
١١٨٧	=	١١٣	٣
١١٨٨	=	١١٣	٣
١١٨٩	=	١١٩	٣
١١٩٠	=	١٥١	٣
١١٩١	=	١٥١	٣
١١٩٢	=	١٥١	٣
١١٩٣	=	١٥١	٣

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء	
١١٩٤	جامع السعادات	١٥١	٣	
١١٩٥	=	١٥١	٣	
١١٩٦	اصول الكافي	١٢٥	٢	
١١٩٧	=	١٢٥	٢	
١١٩٨	بحار الانوار	٣٩٩	٧٤	باب ٢٨
١١٩٩	اصول الكافي	١٢٦	٢	
١٢٠٠	=	١٢٦	٢	
١٢٠١	=	١٢٧	٢	
١٢٠٢	=	١٢٤	٢	
١٢٠٣	بحار الانوار	٣٩٩	٧٤	باب ٢٨
١٢٠٤	جامع السعادات	١٩٥	٣	
١٢٠٥	=	١٩٥	٣	
١٢٠٦	=	١٩٥	٣	
١٢٠٧	جامع السعادات	١٩٥	٣	
١٢٠٨	=	١٩٥	٣	
١٢٠٩	=	١٩٥	٣	
١٢١٠	=	١٩٦	٣	
١٢١١	=	١٩٦	٣	
١٢١٢	=	٢٠٠	٣	
١٢١٣	=	٢٠٠	٣	
١٢١٤	=	[illegible]٠٠	٣	
١٢١٥	اصول الكافي	٦٢	٢	
١٢١٦	=	٦٢	٢	
١٢١٧	جامع السعادات	٢٠٠	٣	
١٢١٨	=	٢٠٣	٣	
١٢١٩	=	٢٠٣	٣	
١٢٢٠	=	٢٠٣	٣	
١٢٢١	=	٢٠٤	٣	
١٢٢٢	اصول الكافي	٦٠	٢	
١٢٢٣	=	٦٢	٢	
١٢٢٤	=	٦٠	٢	
١٢٢٥	=	٦١	٢	
١٢٢٦	=	٦١	٢	
١٢٢٧	=	٦٢	٢	

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١٢٢٨	جامع السعادات	٢١٤	٣
١٢٢٩	جامع السعادات	٢٢١	٣
١٢٣٠	=	٢٢١	٣
١٢٣١	=	٢٢١	٣
١٣٣٢	اصول الكافي	٦٣	٢
١٢٣٣	=	٦٥	٢
١٢٣٤	=	٦٥	٢
١٢٣٥	=	٦٣	٢
١٢٣٦	=	٩٤	٢
١٢٣٧	جامع السعادات	٢٣٩	٣
١٢٣٨	جامع السعادات	٢٣٩	٣
١٢٣٨	=	٢٣٩	٣
١٢٣٩	اصول الكافي	٩٩	٢
١٢٤٠	=	٩٥	٢
١٢٤١	=	٩٥	٢
١٢٤٢	=	٩٥	٢
١٢٤٣	=	٩٥	٢
١٢٤٤	=	٩٥	٢
١٢٤٥	=	٩٦	٢
١٢٤٦	=	٩٧	٢
١٢٤٧	=	٩٨	٢
١٢٤٨	جامع السعادات	٢٣٧	٣
١٢٤٩	اصول الكافي	٩٩	٢
١٢٥٠	=	٩٤	٢
١٢٥١	اصول الكافي	٨٧	٢
١٢٥٢	جامع السعادات	٢٨٧	٣
١٢٥٣	=	٢٨٧	٣
١٢٥٤	=	٢٨٧	٣
١٢٥٥	=	٢٨	٣
١٢٥٦	اصول الكافي	٨٧	٢
١٢٥٧	جامع السعادات	٢٨٧	٣
١٢٥٨	=	٢٨٧	٣
١٢٥٩	=	٢٨٧	٣
١٢٦٠	اصول الكافي	٩١	٢

رقم التسلسل	المصدر	صفحة	جزء
١٢٦١	جامع السعادات	٢٩٠	٣
١٢٦٢	اصول الكافي	٨٩	٢



فهرس

الإمام الشيرازي

الفضيلة الإسلامية

مقتطفات من الكتاب

- الفضيلة والرذيلة
- الدنيا والآخرة
- المكر والخديعة
- الرجاء
- الغيرة
- الانتقام والعفو
- اللسان
- الحسد
- العدل
- أمك وأبوك
- النميمة
- الشماتة
- الاحتقار
- التورع عن الحرام
- قضاء الحوائج